حوزه نمایندگی ولی فقیه در امور حج و زیارت
معاونت امور روحانیون

صفوة الصّحیح من سیرة النّبی الاعظم صلی الله علیه و آله

التلخیص و التحقیق:
علي الرفيعي القوچاني

بسم الله الرحمن الرحیم

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

صفوة
الصّحيح من سيرة النّبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

العلامة المحقق: السيد جعفر مرتضى العاملي

التلخيص والتحقيق: علي الرّفيعي القوچاني

کتابخانه
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی
شماره ثبت: ۳۸۹۶۸
تاریخ ثبت :

جمهوری اسلامی ایران

حوزه نمایندگی ولی فقیه در امور حج و زیارت

نشانی: تهران ـ خیابان آزادی نبش رودکی ـ سازمان حج و زیارت
طبقه اول ـ معاونت امور روحانیون
تلفن: ۶۶۵۸۲۰۹۶ و ۵۰ ـ ۶۴۵۱۲۱۴۹

صفوة الصحيح من سيرة النبيّ الاعظم صلی الله علیه وآله • العلامة المحقّق: السيّد جعفر مرتضى العاملي • التّلخيص و التحقيق: علي الرّفيعي القوچاني • چاپ: نگين
نوبت چاپ: اول • شمارگان: ۲۲۰۰ • قيمت: ۴۵۰۰۰ ريال

فهرس العناوين

المقدمة ١٩

القسم الأوّل: ما قبل البعثة

الفصل الأوّل: ما قبل ميلاد النّبيّ صلى الله عليه وآله

بداية ٢٥
ميّزات أساسيّة في تاريخ الإسلام المدوّن ٢٦
الوضع الجغرافي لشبه جزيرة العرب ٣٣
الحضر في شبه جزيرة العرب ٣٤
الحالة الاجتماعيّة عند العرب ٣٥
المرأة في الجاهليّة ٣٦
حالة العرب الجاهليّة في منظار أميرالمؤمنين عليه السلام ٣٧
نسب النّبيّ صلى الله عليه وآله ٣٨
إيمان آباء النّبيّ صلى الله عليه وآله إلى آدم عليه السلام ٣٨
بعض الأدلّة على إيمانهم ٤٠

الفصل الثّاني: عهد الطّفوليّة

مولد النّبيّ صلى الله عليه وآله ٤٥

تعقيب هام ٤٦
مصير الدار التي ولد صلى الله عليه وآله فيها ٤٧
رضاعه صلى الله عليه وآله ٤٧
فقد النبي صلى الله عليه وآله لأبويه ٥٠
كفيل النبي صلى الله عليه وآله ٥١
الرحلة الأولى إلى الشام ٥٢
رعيه الغنم ٥٢

الفصل الثالث: خديجة في بيت النبي صلى الله عليه وآله

السفر الثاني إلى الشام ٥٧
زواجه بخديجة ٥٨
خطبة أبي طالب عليه السلام ٦٠
مهر خديجة ٦١
عمر خديجة حين الزواج ٦١
هل تزوج صلى الله عليه وآله خديجة طمعاً في مالها؟! ٦٣
هل تزوجت خديجة بأحد قبل النبي صلى الله عليه وآله؟ ٦٣

الفصل الرابع: حتى البعثة

حضور النبي صلى الله عليه وآله حرب الفجار ٦٩
حلف الفضول ٧٠
ملاحظات على حلف الفضول ٧١
ولادة الزهراء عليها السلام ٧٢
بماذا كان يدين النبي قبل البعثة؟ ٧٥

القسم الثاني: من البعثة حتّى الهجرة

الفصل الأول: الدّعوة في مراحلها الأولى

أوّل من أسلم ٨٥
مراحل الدّعوة ٨٧
قريش و مرحلة ما قبل الإعلان ٨٩

الفصل الثّاني: إنذار العشيرة

نقاط هامّة في حديث الإنذار ٩٤
ألف. لماذا تخصيص العشيرة بالدّعوة؟ ٩٤
ب. علي عليه السلام في يوم الإنذار ٩٥
ج. موقف أبي طالب عليه السلام ٩٦
د. موقف أبي لهب ٩٧
هـ. الإنذار أوّلاً ٩٧

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

الفصل الثّالث: حتّى الهجرة إلى الحبشة

فاصدع بما تؤمر ١٠١
المفاوضات الفاشلة ١٠٢
ماذا بعد فشل المفاوضات؟ ١٠٤
المعذّبون في مكّة ١٠٦

الفصل الرّابع: هجرة الحبشة

لابدّ من حلّ ١١١
سرّ اختيار الحبشة ١١١
الهجرة إلى الحبشة ١١٣

محاولة قريش اليائسة ١١٤
قريش و خططها المستقبليّة ١١٦
عودة بعض المهاجرين ١١٨

الفصل الخامس: في شعب أبي طالب عليه السلام

المقاطعة ١٢١
أموال خديجة و سيف علي عليه السلام ١٢٣
نقض الصّحيفة ١٢٤
حُنكةُ أبي طالب و إيمانه ١٢٥
ما بعد نقض الصّحيفة ١٢٦
عام الحُزن ١٢٧

الفصل السّادس: حتّى بيعة العقبة

لابدّ من تحرّك جديد ١٣١
الهجرة إلى الطّائف ١٣١
نكات هامّة ١٣٢
١. الطّائف و علاقاتها بمن حولها ١٣٢
٢. الإسلام دين الفطرة ١٣٣
٣. هل كان هذه سفرة فاشلة؟! ١٣٤
عرض الإسلام على القبائل ١٣٤
بنو عامر بن صعصعة و نصرة النّبي صلى الله عليه وآله ١٣٥
١. الأمر لله ١٣٦
٢. الدّين و السّياسة ١٣٧
٣. نتائج عرضه صلى الله عليه وآله دعوتّه على القبائل ١٣٧
دخول الإسلام إلى المدينة ١٣٨

١. إخبارات أهل الكتاب ١٣٩
٢. المشاكل بين الأوس و الخزرج ١٤٠
٣. تعاليم الشّريعة السّمحاء ١٤٠
۴. المدنيّون و المكّيّون ١٤١

الفصل السّابع: بيعة العقبة

بيعة العقبة الأولى ١۴۵
ميّزات البيعة ١۴۶
بيعة العقبة الثانية ١۴۶

الفصل الثّامن: هجرة المسلمين إلى المدينة

ابتداء هجرة المسلمين إلى المدينة ١۵٣
سرّ اختيار المدينة ١۵۵

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

القسم الثّالث: من الهجرة حتّى الرّحلة

الفصل الاول: هجرة الرّسول الأعظم صلی الله علیه و آله

المؤامرة ١۶١
مبيت عليّ عليه السلام و هجرة النّبيّ صلی الله علیه و آله ١۶٢
قريش في طلب النّبيّ صلی الله علیه و آله ١۶۴
من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله؟! ١۶۶

الفصل الثّاني: إلى المدينة

في الطّريق إلى المدينة ١۶٩
تأسيس مسجد قبا ١٧١

الفصل الثّالث: أعمال تأسيسيّة في مطلع الهجرة

ورود النّبي ﷺ المدينة ١٧٥
القيام بأعمال تأسيسيّة ١٧٦
١. بناء المسجد ١٧٦
لماذا المسجد أوّلاً؟ ١٧٧
٢. المؤاخاة بين المهاجرين و الأنصار ١٧٩
مؤاخاة النّبي ﷺ لعلي عليه السلام ١٨٠
مع قضيّة المؤاخاة ١٨١
ألف. تواتر حديث المؤاخاة ١٨١
ب. البديل الأنسب ١٨٢
ج. السمّو بالعلاقات الإنسانيّة ١٨٢
د. دور المؤاخاة في بناء المجتمع الجديد ١٨٣
٣. أسس العلاقات في المجتمع الجديد ١٨٣
موادعة اليهود ١٨٧

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الرّابع: معركة بدر

غزواته ﷺ و سراياه ١٩١
غزوة بدر ١٩١
الانتداب إلى بدر ١٩٢
النّبي ﷺ يستشير في أمر الحرب ١٩٤
عُدّة و عدد المسلمين و المشركين ١٩٦
مواقع الجيشين ١٩٧
في المواجهة ١٩٧
الملائكة في بدر ١٩٩
نتائج الحرب ٢٠١

بطولات علي عليه السلام ٢٠١
الغنائم و الأسرى ٢٠٣
فداء الأسير تعليم الكتابة ٢٠٦
عودة خيبة و ظفر ٢٠٧
بعض نتائج حرب بدر ٢٠٨

الفصل الخامس: غزوة أحد

أجواء و مواقف ٢١٣
جيش المشركين إلى أحد ٢١٣
النّبي صلى الله عليه و آله يستشير أصحابه ٢١٤
عقد الألوية ٢١٦
عُدّة و عدد المسلمين ٢١٨
التعبئة للقتال ٢١٩
نشوب الحرب، و قتل أصحاب اللّواء ٢١٩
الهزيمة بعد النّصر ٢٢٠
لماذا كانت الهزيمة؟! ٢٢٢
عودة المسلمين إلى القتال ٢٢٤
من مشاهد الحرب ٢٢٦
بعد ماهبت الرّياح ٢٢٧
الصّلاة على الشّهداء و تغسيلهم و دفنهم ٢٢٩
عدد الشّهداء و القتلى ٢٣٠

الفصل السّادس: غزوة الخندق

موجز عن غزوة الخندق ٢٣٥

۱. أهداف الحرب ۲۳۷
۲. المشورة و التّخطيط ۲۳۸
۳. أين كان الخندق و ما هي مواصفاته؟ ۲۴۱
۴. عَدّة و عدد الجيشين ۲۴۴
۵. الحصار و القتال ۲۴۶
۶. ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثّقلين ۲۴۷
۷. الشّهداء و القتلى ۲۵۰

الفصل السّابع: بيعة الرّضوان

إلى الحَدَيبيّة ۲۵۳
اتّصالات و مداولات ۲۵۶
رسول النّبي ﷺ إلى مكّة ۲۵۸
بيعة الرضوان ۲۵۹
النّساء و البيعة ۲۶۰
حديث البيعة ۲۶۱
عهد الحديبيّة ۲۶۲
صلح الحديبيّة أعظم الفتح ۲۶۴
نتائج و آثار ۲۶۵

الفصل الثّامن: غزوة خيبر

تقديم ۲۷۱
ماذا عن خيبر؟ ۲۷۲
تاريخ غزوة خيبر ۲۷۲
وصول رسول الله ﷺ إلى خيبر ۲۷۳

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قَتْلُ علي عليه السلام مرحباً ۲۷۵
علي عليه السلام قالع باب خيبر ۲۷۸
ما قلعته بقوّة جسمانيّة ۲۷۹
استقبال النّبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام بعد الفتح ۲۸۰
خيبر بين الفتح و الصّلح ۲۸۱
موقف النّبي صلى الله عليه وآله من يهود فدك ۲۸۱
قدوم جعفر من الحبشة ۲۸۲
فتح خيبر و قدوم جعفر، مترابطان ۲۸۳

الفصل التّاسع: سريّة مؤته

أوّل بعث إلى خارج الجزيرة ۲۸۷
جعفر هو الأمير الأوّل ۲۸۹
المسلمون في مؤتة ۲۹۱

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

الفصل العاشر: فتح مكّة

بداية ۳۰۱
التّجهيز لسفرٍ مبهم ۳۰۴
اكتشاف تجسّس أبي بلتعة لقريش ۳۰۵
على طريق مكّة ۳۰۶
أبوسفيان في أيدي المسلمين ۳۰۷
عشرة آلاف نار لماذا؟! ۳۰۹
العبّاس النّاصح لقريش على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله ۳۱۰
الإعلان بالأمان ۳۱۱
كتائب الإسلام إلى مكّة ۳۱۳

أهداف حضور العَرض ۳۱۵
يوم المرحمة و عزّ قريش ۳۱۵
دخول النّبي ﷺ مكّة ۳۱۶
شعار النّبي ﷺ في فتح مكّة ۳۱۸
منزل النّبي ﷺ في مكّة ۳۱۹
طواف النّبي ﷺ و تحطيم الأصنام ۳۲۱
لماذا لم يباشر النّبي ﷺ تحطيم الأصنام؟ ۳۲۲
البيعة ۳۲۳
تجديد أنصاب الحرم ۳۲۴
عتّاب بن أسيد على مكّة ۳۲۵

الفصل الحادي عشر: غزوة حنين

بداية ۳۲۹
الاستعدد للرّحيل و عقد الألوية ۳۳۰
الهزيمة في اللّحظات الأولى ۳۳۱
ما الّذي جرى بعد الهزيمة؟ ۳۳۲
ألف. النّبي ﷺ يعالج الموقف ۳۳۳
ب. هزيمة المشركين على يد علي ؑ ۳۳۴
ج . نزول السّكينة ۳۳۶
د. الثّابتون في حنين ۳۳۷
مقارنتان بين بدر و حنين ۳۳۸
حصار الطّائف ۳۴۰
نهاية حرب الطّائف ۳۴۲
فكّ الحصار لتسهيل الاستسلام ۳۴۳
السّبايا و الغنائم ۳۴۴

رجوع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة ٣٤٦

الفصل الثّاني عشر: غزوة تبوك

الإعداد و الاستعداد ٣٤٩
العدد و العُدّة ٣٥١
علي عليه السلام خليفة النّبي صلى الله عليه وآله في أهله أو على المدينة كلّها؟ ٣٥١
لماذا خلّف علياً في المدينة؟ ٣٥٣
جيش الإسلام في تبوك ٣٥٤
بركات غزوة تبوك ٣٥٦
مسجد ضرار ٣٥٨

الفصل الثّالث عشر: حجّة الوداع

الأذان بالحجّ ٣٦٣
لماذا هذا الاهتمام؟! ٣٦٤

الفصل الرّابع عشر: غدير خم

توطئة و تمهيد ٣٦٩
الصَّخَب و الغضب ٣٧٠
حديث الغدير ٣٧٢
في ظلال حديث الغدير ٣٧٥
١. الخروج السّريع من مكّة ٣٧٥
٢. إرجاع المتقدّم و حبس المتأخّر ٣٧٥
٣. الدّوحات الخمس منطقة محظورة ٣٧٥
٤. دقّة و بلاغة في أسلوب الإبلاغ ٣٧٦
٥. رفع مستوي اليقظة و التّنبّه ٣٧٦

۶. حرّ الرّمضاء ٣٧۶
٧. فليبلّغ الشاهدُ الغائبَ ٣٧٧

الفصل الخامس عشر: إلى الرّفيق الأعلى

مرض النّبي صلی الله علیه وآله و وصاياه ٣٨١
الكتاب الّذي لم يكتب ٣٨٣
لماذا يريد النّبي صلی الله علیه وآله الكتابة؟ ٣٨۵
لماذا لا يصرّ النّبيّ على الكتابة؟ ٣٨۶
ملك الموت يستأذن على النّبي صلی الله علیه وآله ٣٨٧
يوم وفاة النّبي صلی الله علیه وآله ٣٨٧
متى دفن النّبي صلی الله علیه وآله؟ ٣٨٨
جسد النّبي صلی الله علیه وآله يرفع إلى السّماء ٣٨٩

المصادر و المراجع ٣٩٣

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

مقدمه

تحقق اهداف و آرمان‌های یک سازمان، به علل و عوامل مختلفی بستگی دارد. در این میان، به گفته کارشناسان و صاحب نظران "مدیریت سازمانی" و نیز به گواهی "آموزه های وحیانی"، "عامل انسانی" اساسی‌ترین و محوری‌ترین نقش را در موفقیت و بالندگی سازمانی ایفا می‌کند. دیگر عوامل سازمانی در پرتو عامل انسانی و حول محور او، شکل گرفته و حرکت می‌کنند.

سیاست‌ها، برنامه‌ها، روش‌ها، ابزار و سخت‌افزارهای سازمان، تابعی از خواست و اراده نیروی انسانی و دانش و تدبیر او می‌باشد. بالطبع کمّ و کیف نتایج و خروجی‌های سازمان نیز مانند "ورودی‌ها" و "فرآیند"، متأثر از فعالیت و تدبیر نیروی انسانی است. بنابراین نیروی انسانی، افزون بر اینکه عامل موفقیت هر سازمانی است، شاخص و معیاری برای پیش‌بینی میزان موفقیت آن سازمان نیز محسوب می‌شود.

بی‌جهت نیست که دنیای مدرن با پی‌ریزی علومی همچون روان‌شناسی کار، جامعه‌شناسی مشاغل و مدیریت، بخش اعظمی از مباحث این علوم را به عامل انسانی اختصاص داده است. پیش‌تر از این نیز آموزه‌های وحیانی بر جایگاه و اهمیت نیروی انسانی و نقش محوری آن در رستگاری و موفقیت جمعی اشاره کرده و به مؤمنان و جامعه دینی اکیداً توصیه نموده که در واسپاری کارها و مسئولیت‌ها، به اهلیّت و صلاحیت نیروهای انسانی توجه کنند؛

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَ إِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً[1]

در آیات دیگر، این رویه را، تدبیر خداوند متعال در عالم تکوین و تشریع معرفی کرده است:

اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ[2]

قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ[3]

---

۱. نساء: ۵۸.

۲. انعام: ۱۲۴.

۳. بقره: ۱۲۴.

هدف و رسالت اساسی انبیای الهی نیز، تربیت و پرورش انسان ها بوده است:

رَبَّنا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيهِمْ آياتِكَ وَ يعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يزَكِّيهِمْ[1]

نهادها و مؤسسات دینی نیز برای تضمین موفقیت و دستیابی به اهداف و آرمان‌های سازمان، باید بر مبنای آموزه‌های وحیانی و یافته‌های بشری، جذب و گزینش نیروهای کارآمد و تعلیم و تربیت آنان را در اولویت مأموریت‌های خود قرار دهند.

در همین راستا، "**حوزه نمایندگی ولی فقیه در امور حج و زیارت**" پس از فراغت از طراحی و اجرای فرآیند جذب و گزینش، "آموزش و ارتقای سطح علمی و فرهنگی نیروی انسانی به ویژه روحانیون" را در کانون برنامه‌های ستادی خود قرار داد و دوره‌های آموزش بدو خدمت، ضمن خدمت و تکمیلی را راه‌اندازی نمود. از آنجا که تدوین متون آموزشی کاربردی متناسب با واحدها و سرفصل‌های مصوب، از مراحل و عناصر اصلی و اساسی دوره‌های آموزشی محسوب می‌شود، به طور همزمان گردونه تدوین متون آموزشی نیز به حرکت درآمد. نکته حائز اهمیت این که متون آموزشی پس از تدوین توسط گروه‌های علمی و تخصصی معاونت امور روحانیون و ارزیابی ناظران محتوایی، به صورت "درسنامه" برای حداقل یک ترم، به طور آزمایشی تدریس می‌شود، تا پس از نظرسنجی و گردآوری نقطه نظرات مدرّسان و دانش‌پژوهان، به رفع و اصلاح کاستی‌های احتمالی اقدام شود و برای آموزش در دوره‌های بعد، تدوین نهایی شود.

نوشتار حاضر، از جمله همین متون آموزشی است که توسط "**گروه علمی و تخصصی تاریخ اسلام**" تهیه و تنظیم و در قالب "درسنامه" منتشر شده و در اختیار شرکت‌کنندگان دوره‌های آموزشی روحانیون قرار می‌گیرد. فرصت را مغتنم شمرده و از تدابیر و تلاش‌های ارزشمند گروه علمی و تخصصی تاریخ اسلام به ویژه محقق و مؤلف گرانمایه جناب **حجت الاسلام والمسلمین آقای علی رفیعی قوچانی** تقدیر و سپاس به عمل می‌آید.

انتظار می‌رود که مدرسان و دانش‌پژوهان محترم پس از طی دوره، نقطه نظرات اصلاحی خود را پیرامون متن، محتوا، منابع و دیگر بخش‌های درسنامه، جهت رفع و اصلاح نواقص و اشکالات احتمالی به کمیته تدوین ارایه نمایند.

معاونت امور روحانیون

کمیته تدوین متون آموزشی

بهار ۱۳۸۸

---

۱. همان: ۱۲۹.

المقدمة

ألحمدلله ربّ العالمين، و الصّلاة و السّلام علي محمّد خاتم النّبيّين، و على آله الطّاهرين المنتجبين، الّذين أذهب الله الرّجس عنهم و طهّرهم تطهيراً.

الكتاب الّذي بين يديک أيّها القارئ و الدّارس الكريم هو تلخيص للكتاب القيّم «الصّحيح من سيرة النّبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله»، تأليف العالم الجليل، المحقق المدقّق في تاريخ الإسلام، العلّامة السّيّد جعفر مرتضى العاملي حفظه الله تعالى.

كتب هذا الكتاب القيّم «الصحيح من سيرة النّبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله» في ٣٥ مجلّداً، و هو أفضل و أكثر ما ألّف في عالم التّشيّع تفصيلاً و دراسةً بطريقةٍ علميّة نقديّة في التّاريخ النّبوي و سيرة النّبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله.

تبلورت فكرة تأليف كتاب جامع في السّيرة النّبويّة في ذهن الأستاذ العلّامة العاملي قبل الثّورة الإسلاميّة، و في وقت كان فيه العلّامة مشغولاً بتدريس تاريخ الإسلام في إحدى مدارس الحوزة العلميّة بقم المقدّسة، و بعد انتصار الثّورة الإسلاميّة أينعت ثمار هذه الفكرة، فشرع السّيّد العلّامة بالتّأليف.

تمّ تأليف كتاب «الصّحيح» في عدّة مراحل، و على مدى ٢٥ سنة، خرج منه أربعة مجلّدات عام (١٣٦١ ه. ش / ١٩٨٣ م)، فقامت بطبعها و نشرها مؤسّسة النّشر الإسلامي التّابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة.

و بعد مرور نحو عشر سنوات من بداية التّأليف، تمّ الفراغ من عدد آخر من

المجلّدات، و بعد إعادة و تجديد النّظر في المجموعة الأولى، تمّ طبع الكتاب في عشرة مجلّدات.

و في سنة (١٣٧٠ ه. ش / ١٩٩٢ م) انتخبت الجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة كتاب «الصّحيح» بصفته الكتاب السّنوي الأفضل في البلاد. بعد ذلك توالى طبع المجلّدات الآخر تباعاً، و أخيراً – و في عام (١٣٨٥ ه. ش / ٢٠٠٦ م) فرغ المؤلّف من تأليف الكتاب في وقت تزامن مع اعتداء إسرائيل الغاصبة على لبنان في حرب استغرقت ٣٣ يوماً، خرج منها حزب الله منتصراً على العدوّ الغاشم.

يعدّ كتاب «الصّحيح من سيرة النّبيّ الأعظم ﷺ» بلاريب عملاً رائعاً في مجال السّيرة النّبويّة، بحيث ترك أثراً على أفكار و أقلام الباحثين و علماء هذا الميدان.

إنّ هيمنة الكاتب المحترم و تسلّطه على العلوم الدينيّة بما فيها: الأدب، الفقه، الحديث، التّفسير و غيرها من العلوم، و أيضاً إشرافه التّامّ و إحاطته بمصادر التاريخ الشّيعيّة و السّنّية إلى جانب ذهنه الوقّاد، كلّ ذلك مكّنه أن يجعل من «الصّحيح» كتابا ممتازاً منقطع النّظير في موضوعه.

لقد حاول العلّامة في كتابه «الصّحيح» سحب القضايا التّاريخيّة إلى طاولة النّقد، مستفيداً في ذلك من المنهج الاجتهادي في دراسة و تحليل تلك القضايا، كما أنّه عيّن موارد التّناقض في النّصوص و الأخبار التّاريخيّة، معتمداً في ذلك على الحقايق التاريخيّة المسلّمة و المتواترة و الثابتة.

و من خصائص الكتاب الممتازة، استناد المؤلّف إلى القرآن الكريم في توثيق الأحداث التّاريخيّة، حيث جعل العلّامة المحور الأساسي في هذه الدّراسة موافقة الوقايع و الأحداث للنّص القرآني الوارد فيها، و بذلك أضحى كلام الله معياراً و فصل الخطاب؛ ذلك لأنّ القرآن نزل و على مدى ٢٣ سنة مواكباً مرحلة رسالة النّبيّ ﷺ، فكان مصوناً من التّلاعب و التّحريف، و لذا جعله المؤلّف أحد أدلّة و مستندات السّيرة، و أصدق شاهد على ذلك.

و بناءً على هذا الأصل نجد أنّ المؤلّف جعل في كلّ موضع من كتاب «الصحيح» روايات القرآن محوراً في ترجيح الحدث على روايات المؤرّخين و أهل السّير غير المدعونة بالقرآن الكريم، و لذا يمكننا القول بأنّ روح القرآن حاكمة على الكتاب «الصّحيح».

لقد أخذ العلّامة السيّد جعفر مرتضى العاملي- إلى جانب ما استفاده كثيراً من القرآن الكريم في توثيق سيرة النّبيّ الأعظم صلى الله عليه و آله – من المصادر الحديثيّة و التّاريخيّة؛ الشيعيّة و السّنيّة كثيراً أيضاً، فا استطاع توسعة نطاق العمل، و تثبيت دعائم البحث في تاريخ الإسلام، في مرحلة الرّسالة بشكل ملفت للأنظار، و فتح آفاقاً جديدة أمام الرّاغبين في دراسة السّيرة النبويّة.

منهجنا في التّلخيص

لا يخفى على أحد أنّ تلخيص كتاب «الصّحيح» بهذا الكمّ الواسع – ٣٥ مجلّداً – و اختصاره في مجلّد واحد عمل صعب و شاقّ للغاية، خصوصاً مع الحفاظ على مقصود المؤلّف، دون إحداث خلل في العبارة و المراد؛ و مع ذلك فقدتمّ هذا العمل – على الرّغم من استغراقه وقتاً أطول ممّا كنّا نتوقع – بتوفيق الله و عناية رسوله الكريم صلى الله عليه و آله، فخرج التّلخيص بهذه الحلّة حيث نقدّمه بين يديک، و بهذه المناسبة نلفت نظر القرّاء الكرام إلى النّكات التّالية:

١- إنّ كتاب «الصّحيح من سيرة النّبيّ الأعظم صلى الله عليه و آله» تأليف العلّامة السّيد جعفر مرتضى العاملي لم يدوّن بطريقة دراسيّة، إلّا أنّنا حاولنا في تلخيصه ترتيب المطالب و الأحداث التّاريخيّة بطريقة تعليميّة دراسيّة، فكان مدى تأثيره و دراسة أبحاثه المختارة بمستوى الحاجة لمرشدي الحجّاج من طلبة العلوم الدّينيّة الأفاضل في السّفر المعنوي إلى الحرمين الشّريفين لغرض هداية و إرشاد حجّاج

بيت الله الحرام و زوّار القبر النّبوي الشّريف.

٢- حاولنا قدر الإمكان الاكتفاء بنقل أقلّ ما يمكن من الأخبار و الأحداث التّاريخيّة إلى الحدّ الّذي ينسجم مع تسلسل و ترتيب تلك الأحداث و زمان وقوعها، ملقين ثقل البحث على دراسة الأحداث، و بيان صحّتها و عدم صحّتها و آثارها و نتائجها.

٣- إنّ المنهج في اختيار العناوين و رئوس الفصول هو ما كانت قرّرته اللّجنة الدّراسيّة للحلقة الأولى من التّاريخ (السيّرة النّبويّة) الّذي وردت أغلب عناوينه هنا، و لم نأت ببعض العناوين الّتي تمّ ابلاغها من قِبل اللّجنة؛ لأنّه لم يتعرّض لها كتاب «الصّحيح».

٤- لمّا كان أحد أبعاد هذا الكتاب هو البعد الدّراسي عن طريق الدّراسة الحُرّة و غير الحضوريّة لطلّاب العلوم الدّينيّة المبتدئين في دراسة أصول التبليغ و الإرشاد و التّوعية الدينيّة في حملات حجّاج بيت الله الحرام، فقد حاولنا بيان و شرح الألفاظ المشكلة و الغير المأنوسة، و كذا أمثلة الكتاب، و ما جاء فيه من الأمثال في حدود ما يلزم و قدر الضّرورة في الهامش، و كذلك حاولنا إعراب الألفاظ المبهمة لئلّا يشكل فهم معناها.

٥- قد يجد القاريء في بعض الموارد بالنّسبة لبعض الأحداث أنّ المطلب بالتّلخيص لم يؤدّ حقّه كما ينبغي، و قد يخطر في ذهن القاريء بالنّسبة لبعض أبعاد و زوايا البحث سؤال، أو يجد إيهاماً؛ فإنّه سرعان مايزول ذلك بمراجعة أصل كتاب «الصّحيح» فتكون قراءة البحث بتفاصيله في الأصل مفيدة و مزيلة للشّبهات.

٦- ذكر المؤلّف في مقام توثيق مطالب الكتاب مصادر كثيرة و متعدّدة في الهامش، أشرنا في كثير من الموارد- رعاية للاختصار- إلى بعضها، لذا بإمكان القاريء الكريم مراجعة أصل الكتاب للتّعرف على جميعها.

و في الختام نرجو من الله السّلامة و طول العمر بخير و بركة لأستاذنا الكريم

العلّامة السّيد جعفر مرتضى العاملي و نأمل له مزيداً من التّوفيق لخدمة القرآن و العترة الطّاهرة، كما نأمل ذلك للباحث الكريم حجّة الاسلام و المسلمين الشيخ علي الرّفيعي القوچاني، الّذي بذل جهداً كبيراً في إعداد هذا الكتاب، و نرجو من الإخوة و الأخوات الأعزّاء إسعافنا بآرائهم و انتقاداتهم البنّاءة و اقتراحاتهم العلميّة لغرض إكمال هذا الأثرالخالد.

معاونيّة شئون طلبة العلوم الدّينيّة
في بعثة قائد الثّورة الإسلاميّة
١٣٨٨ هـ ش

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بداية

إنّ حياة المجتمعات ليست أحداثا متباينة و منفصلة بعضها عن البعض الآخر، و إنّما هي استمرارٌ، يضع الماضي كلّ ماحصل عليه من عمله الدائب و جهاده المستمر في صميم هذا الحاضر، ليستمدّ منه الكثير من عناصر قوّته و حركته و وسائل تطوّره، ثمّ تقدّمه بخطى ثابتة و مطمئنّة نحو المستقبل الّذي يطمح له و يصبو إليه.

فمن الطّبيعي أن نجد لكثير من الأحداث التاريخيّة آثاراً بارزةً في واقع حياتنا اليوميّة الحاضرة، بل تظهر آثارها في حياة الشعوب، على الحالة الدينيّة، والأدبيّة، والعلميّة والسّياسيّة، والإقتصادية، والعلاقات الإجتماعية، و غير ذلک؛ و إن كان تأثير هذه الأحداث يختلف شمولا و عمقاً من أمّة لأخرى، و من شَعب لآخر.

و هذا يؤكّد لنا أهميّة التّاريخ، و يبرز مدى تأثيره في الحياة، و يعرفنا سرّ اهتمام الأمم على اختلافها به تدويناً، و درساً و بحثا، و تمحيصاً و تعليلاً.

فهي تريد أن تتعرّف من خلال ذلک على بعض الملامح الخفيّة لواقعها الّذي تعيشه؛ و لتكشف منه أيضا بعضاً من عوامل رقيها و انحطاطها، ليكون ذلک معيناً لها على بناء نفسها بناءً قويّاً سليماً، والإعداد لمستقبلها على أسس متينةٍ و قويّةٍ و راسخةٍ.

و نحن أمّة تريد أن تحيا الحياة بكلّ قوّتها و حيويّتها و فاعليّتها. ولكنّنا – في الوقت الّذي نملک فيه أغنى تاريخ عرفته أمّة – لا نملک من كتب التاريخ و التّراث

ما نستطيع أن نعوّل عليه في إعطاء صورة كاملة و شاملة و دقيقة عن كلّ ما سلف من أحداث؛ لأنّ أكثر ما كتب منه تتحكّم فيه النّظرة الضّيّقة (عمليّة ملاحظة الحدث منفصلاً عن جذوره و أسبابه، ثمّ عن نتائجه و آثاره) و يهيمن عليه التّعصّب والهوى المذهبي و يسير في اتّجاه التزلّف للحكّام.

إذن، فلابدّ لمن يريد دراسة التّاريخ و الاستفادة من الكتب التّاريخيّة و التّراثيّة، من أن يقرأها بحذر و وعي، و بدقّة و تأمّل، حتّى لا يقع في فخّ التّضليل و التّجهيل.

و ليس ذلك بالأمر اليسير و السّهل، و لا سيّما فيما يربط بتاريخ الإسلام الأوّل الّذي هبت عليه رياح الأهواء الرّخيصة، و العصبيّات الظّالمة، و عبثت به أيدي الحاقدين، و ابتزّت منه رواءه و صفاءه إلى حدّ كبير و خطير.

... و نحن بدورنا في كتابنا هذا سوف نحاول استخلاص صورةٍ نقيّةٍ و واضحةٍ قدر الإمكان عن تاريخ نبيّنا الأعظم ﷺ.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ميّزات أساسيّة في تاريخ الإسلام المدوّن

إنّ تاريخ الإسلام المدوّن – على ما فيه من هنات و نقص – أغنى تاريخ مكتوب لأيّة أمّةٍ من الأمم، و هو يمتاز عن كلّ ما عداه بدقّته و شموله، حتّى إنّك لتجده كثيراً ما يسجّل لک الحركات، و اللّفتات، و اللّمحات، فضلاً عن الكلمات و المواقف و الحوادث، بدقّة متناهية و استيعاب لا نظير له.

أضف إلى ذلک أنّه يملک من الآيات القرآنيّة، ثمّ من النّصوص الصّحيحة والصّريحة الشّيء الكثير، ممّا لا تجده في أي تاريخ آخر على الإطلاق، و لا سيّما في جزئيّات الأمور، و في التّفاصيل و الخصوصيّات.

و ميّزة أخرى يمتاز بها تاريخ الإسلام، و هي أنّه يمتلک قواعد و منطلقات تستطيع أن توفّر للباحث السّبل المأمونة، الّتي يستطيع من خلال سلوكها أن

يصل إلى الحقايق الّتي يريدها.

البداية الطّبيعيّة لتاريخ الإسلام

و واضح أنّ البداية الطّبيعيّة لتاريخ الإسلام، و أعظم و أهمّ ما فيه هو سيرة سيّد المرسلين محمّد(صلى الله عليه و آله الطّاهرين).

فلابدّ من البدء بها، ولو ببحث قضايا و أحداث رئيسة فيها، ليكون ذلك بمثابة خطوةٍ أوّلي على طريق التّصدي لبحوثٍ مستوعبةٍ و شاملة، من قِبَلِ المتخصّصين والباحثين من ذوي الكفاءات و الهمم العالية.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

القسم الأوّل

ما قبل البعثة

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الأوّل

ما قبل ميلاد النّبيّ صلى الله عليه وآله

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الوضع الجغرافي لشبه جزيرة العرب

هي شبه جزيرة مستطيلة يحدّها شمالاً: الفرات، و آخر قطعاتها بادية الشّام و السّماوة، و فلسطين، و شرقاً خليج فارس، و جنوباً خليج عدن و المحيط الهندي، و غرباً البحر الأحمر.[1]

ولا يعنينا الوضع الجغرافي هنا إلّا في النّواحي التّالية:

الأولى: إنّه لم يكن في جزيرة العرب حتّى نحر واحد، بالمعنى الصّحيح للكلمة،[2] و أكثرها جبالٌ، و أودية و سهول جرداء، لا تصلح للزّراعة والعمل، و من ثمّ فهي لا تساعد على الاستقرار و تنظيم الحياة.

و من هنا فقد كان أكثر سكّانها، بل قيل خمسة أسداسهم من البدو الرّحل، الّذين يمسون في مكان، و يصبحون في آخر.

الثّانية: إنّ هذا الوضع قد جعل هذه المنطقة في مأمن من فرض السيطرة عليها من قِبَلِ الدّولتين العظيمتين آنئذ: الرّومان و الفُرس، و غيرهما، فلم تتأثّر المنطقة بمفاهيمهم و أديانهم كثيراً، بل لقد هرب اليهود من حكّامهم الرّومان إلى جزيرة العرب و اجتمعوا فيها في يثرب و غيرها.

و قد نشأت عن هذا الوضع للجزيرة العربيّة ظاهرة الدّويلات القِبَليّة، فلكلّ قبيلة حاكم و كلّ ذي قوّة له سلطان.

---

١. راجع: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ١٤٠ فيما بعدها.

٢. المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١،ص ١٥٧ فيما بعدها.

الثّالثة: إنّ هذه الحياة الصّعبة، و هذه الحكم القِبَلي، و عدم وجود روادع دينيّة أو وجدانيّة قويّةٍ، قد دفع بهذه القبائل إلى ممارسة الإغارة والسّلب ضدّ بعضها البعض، كوسيلة من وسائل العيش أحياناً، و أحياناً لفرض السّيطرة والسّلطان، و أحياناً أخرى للثّأر و إدراک الأوتار إلى آخر ما هنا لک، فَتُغيرُ هذه القبيلة على تلک؛ فتستولي على أموالها، و تسبي نساءها و أطفالها، و تقتل أوتأسر من تقدر عليه من رجالها، ثمّ تعود القبيلة المنكوبة لتتربّص بهذه الغالبة الفرصة لمثل ذلک، و هكذا.

و من هنا، فإنّ من الطّبيعي أن يكون شعور أفراد كلّ قبيلة بالنّسبة لأبناء قبيلتهم قويّاً جداً، بدافع من شعورهم بالحاجة إلى بعضهم البعض للدّفاع عن الحياة و الكفاح من أجلها ممّا كان سبباً قويّاً لزيادة حدّة التّعصب القِبَلي، الّذي لا يرثى و لا يرحم و لا يلين، حيث لابدّ من الوقوف إلى جانب ابن القبيلة، سواء أكان الحقّ له، أو عليه، حتّى لقد قال شاعرهم يتمدّحهم بذلک:

لا يسئلون أخاهم حين يندبهم   في النّائبات على ما قال برهاناً[1]

و من الجهة الأخرى، فإنّ القبيلة تتحمّل كلّ جنايةٍ أو جريمة يرتكبها أحد أبناءها، و تحميه من كلّ مَن أراده بسوءٍ، بل يكون أخذ الثأر من غير الجاني إذا كان من قبيلته كافياً و شافياً للموتورين، الّذين يريدون شفاء ما في نفوسهم و إدراک أوتارهم.

الحضر في شبه جزيرة العرب

أمّا الحضر في جزيرة العرب، و هم الّذين يسكنون المدن و يستقرّون فيها، فإنّهم و إن كانوا في حياتهم أرقى من العرب الرّحل، إلّا أنّ رقيهم هذا لم يكن

۱. البيت منسوب لقريط بن أنيف العنبري. راجع تفسير جامع الجوامع، ج ۲، ص ۶۸۲ عن خزانة الأدب، ج ۷، ص ۴۴۱.

بحيث يجعل الفارق بينهما كبيراً.

و من هنا، فإنّنا نلاحظ تشابهاً كبيراً فيما بينهما في العقليّة و في المفاهيم و العادات و التّقاليد و أساليب الحياة و بدائيّتها.

هذا إن لم نقل: إنّ العرب الرّحل كانوا أصحّ أبداناً، و أفصحَ لساناً، و أقوى جناناً، و أصفى نفساً و فكراً و قريحةً.

الحالة الاجتماعيّة عند العرب

إنّ مَن يطالع كتب التّاريخ يرى بوضوحٍ إلى أي حدٍّ كانت الحالة الاجتماعيّة متردّية في العصر الجاهلي.

و قد قدّمنا أنّ السّلب و النّهب و الإغارة و التّعصب القِبَلي و غير ذلك قد كان من مميّزات الإنسان العربي، حتّى إنّه اذا لم تجد القبيلة مَن تُغيرُ عليه من أعدائها أغارت على أصدقائها، و حتّى على أبناء عمّها، يقول القطامي:

و كنّ إذا أغرن على قبيل ... و أعوزهنّ نهب حيث كانا
أغرن من الضّباب على حلال[1] ... و ضبّة إنّه من حان حاناً
و أحياناً على بكر أخينا ... إذا ما لم نجد إلّا أخانا

و لقد رأينا أنّ تلك الظّروف الصّعبة، و الفقر، والجوع، و الخلافات الّتي كانوا يعانون منها، و المفاهيم الخاطئة الّتي كانت تعيش في أذهانهم – و خصوصاً عن المرأة – و كذلك ظروف الغزو و الإغارة الّتي تعني سبي النّساء و الأطفال، قد دفعتهم إلى قتل، أو وأد أولادهم، و لا سيّما البنات، و كان ذلك في قبائل تميم و قيس و أسد و هُذيل و بكر بن وائل.[2]

---

١. الضّباب اسم قبيلة، و الحلال: المجاور.

٢. راجع: شرح النهج للمعتزلي، ج ١٣، ص ١٧٤.

بل إنّنا نستطيع أن نعرف مدى شيوع الوأد بينهم من تعرّض القرآن لهذه المسئلة وردعه لهم عنها، حيث قال تعالي: «وَ لاتَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِياهُمْ»[۱]

و قال ايضاً:

«وَ إِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ بِأَي ذَنْبٍ قُتِلَتْ»[۲]

كما أنّنا نجده ﷺ، قد نصّ على ذلك في بيعة العقبة و قد قال محمد بن إسماعيل التّيمي — و غيره — تعليقاً على هذا:

«خصّ القتل بالأولاد، لأنّه قتل و قطيعة رحم؛ فالعناية بالنّهي عنه آكد و لأنّه كان شائعاً فيهم و هو وأد البنات و قتل البنين خشية الإملاق.»[۳]

المرأة في الجاهليّة

و قد كانت حياة المرأة في الجاهليّة أصعب حياة، حيث لم يكن لها عندهم قيمة أبداً و يكفي بذلك قوله تعالي:

«وَ إِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ يتَوارى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ أَ يمْسِكُهُ عَلى هُونٍ أَمْ يدُسُّهُ فِي التُّرابِ أَلا ساءَ ما يحْكُمُونَ»[۴]

سياق الآية الشّريفة يشير إلى كثرة ذلك و شيوعه فيهم.

---

۱. الأنعام: ۱۵۱.

۲. التكوير: ۸ و ۹.

۳. راجع: فتح الباري، ج ۱، ص ۶۱.

۴. النحل: ۵۸ و ۵۹.

حالة العرب الجاهليّة في منظار أميرالمؤمنين عليه السلام

و عن حالة العرب في الجاهلية يكفي أن نذكر بعض ما قاله أميرالمؤمنين عليه السلام؛ فمن ذلك:

«بعثه والنّاس ضلّال في حيرة و حاطبون في فتنةٍ و قد استهوتهم الأهواء، و استزلّتهم الكبرياء و استخفّتهم الجاهليّة الجهلاء، حيارى في زلزالٍ من الأمر و بلاءٍ من الجهل.» [1]

و قال:

و انتم معشر العرب على شرّ دين و في شرّ دار، تنيخون[2] بين حِجارة خُشن و حيّات صُمّ،[3] تشربون الكدر، و تأكلون الجَشِب،[4] و تسفكون دماءكم و تقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة، و الآثام بكم معصوبة[5].»

و قال أيضاً:

«فالأحوال مضطربة، و الأيدي مختلفة، و الكثرة متفرقة، في بلاء أزل، و أطباق جهل، من بنات موؤودةٍ، و أصنام معبودة، و أرحام مقطوعة، و غاراتٍ مشنونةٍ.» [6]

لقد أوضح لنا الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام في هذه الكلمات حالة العرب و مستواهم العلمي و الثّقافي و الإقتصادي، و أنّهم كانوا يعيشون في ظلمات الجهل و الحيرة و الضّلالة.

---

١. نهج البلاغه، الّذي بهامشه شرح الشيخ محمد عبده، الخطبة ٩١، والامامة والسياسة، ج ١، ص ١٥٤.

٢. تنيخون: تقيمون.

٣. الصُّم جمع أصَمّ وهي الحيّة الّتي لا تقبل الرّقي والرّجل الأصمّ: أي به انسداد السّمع و ثقل الأذن.

٤. الجشب من الطّعام: الغليظ الخشن.

٥. نهج البلاغه، شرح عبده، الخطبه ٢٥، والمعصوبة: المشدودة.

٦. نهج البلاغه، شرح عبده، الخطبة ١٨٧.

نسب النّبيّ ﷺ

هو أبوالقاسم محمّد ﷺ بن عبدالله بن عبدالمطّلب «شيبة الحمد» بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن نضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

قالوا: إنّ هذا هو المتّفق عليه من نسبه الشّريف؛ أمّا ما فوقه ففيه اختلاف كثير، غير أنّ ممّا لا شكّ فيه هو أن نسب عدنان ينتهي إلى إسماعيل عليه السلام و قد روي أنه ﷺ قال: «إذا بلغ نسبي إلى عدنان فَأمسِكوا»[1] و نحن نمسک هنا امتثالاً لأمره ﷺ.

إيمان آباء النّبيّ ﷺ إلى آدم عليه السلام

إنّ كلمة الإماميّة قد اتّفقت على أنّ آباء النّبيّ ﷺ من آدم إلى عبدالله كلّهم مؤمنون موحّدون،[2] بل و يضيف المجلسي قوله:

«بل كانوا من الصّديقين، إمّا أنبياء مرسلين، أو أوصياء معصومين، و لعلّ بعضهم لم يَظهِر الإسلامَ لتقيّةٍ، أو مصلحة دينيّة.»[3]

---

١. كشف الغمة، للإربلي، ج ١، ص ١٥.

٢. راجع: أوائل المقالات، ص ١٢، و تصحيح الإعتقاد، ص ٦٧، و تفسير الرّازي، ج ٢٤، ص ١٧٣، دار الكتب العلمية بطهران و في طبعة أخرى، ج ٤، ص ١٠٣، و البحار، ج ١٥، ص ١١٧ و مجمع البيان، ج ٤، ص ٣٢٢، و ليراجع البداية و النهاية، ج ٢، ص ٢٨١.

٣. البحار، ج ١٥، ص ١١٧.

و يضيف الصّدوق هنا: أن أمّ النّبيّ ﷺ آمنه بنت وهب كانت مسلمة أيضاً.[1]

و معنى ذلك هو أنّه ليس في آباء الرّسول ﷺ إلّا الاستقامة على جادّة الحقّ و الخير و البركة، و هذا هو ماورثه الرّسول عنهم و يتأكّد بذلك طهارته ﷺ من الأرجاس والرّذائل، حتّى ما يكون عن طريق الوراثة، والنّاس معادن كمعادن الذّهب و الفضّة، و هو ما أثبته العلم الحديث أيضاً، حيث لم يبق ثمّة أيّة شبهة في تأثير عامل الوراثة في تكوين شخصيّة الإنسان و في خصاله و مزاياه.

قال أبوحيّان الأندلسي:

«ذهبت الرّافضة إلى أنّ آباء النّبيّ ﷺ كانوا مؤمنين.»[2]

أمّا غير الإماميّة، فذهب أكثرهم إلى كفر والدي النّبيّ و غيرهما من آبائه ﷺ و ذهب بعضهم إلى إيمانهم. و ممّن صرّح بإيمان عبدالمطّلب و غيره من آبائه المسعودي، و اليعقوبي، و هو ظاهر كلام الماوردي و الرّازي في كتابه « أسرار التّنزيل»، و السّنوسي، و التّلمساني محشي الشّفا، و السّيوطي، و قد ألّف هذا الأخير عدّة رسائل لإثبات ذلك.[3]

و في المقابل، قد ألّف بعضهم رسائل لإثبات كفرهم، مثل إبراهيم الحلبي، و عليّ القاري الّذي فصّل ذلك في شرح الفقه الأكبر، و اتّهموا السّيوطي بأنّه متساهل، لا عبرة بكلامه، ما لم يوافقه كلام الأئمّة النّقّاد.

و السّبب الرّئيسي في تكفير آباء رسول الله ﷺ و أعمامه من ذلك البعض هو مشاركة عليّ عليه السلام له فيهم، أو أنّهم يريدون أن لا يكون آباء الخلفاء من بني أميّة

---

١. تفسير البحر المحيط، ج ٧، ص ٤٧.

٢. تفسير بحر المحيط، ج٧،ص٤٧.

٣. رسائل السّيوطي هي التّالية: (١. مسالك الحنفاء ٢. الدرج المنيفة في الآباء الشّريفة ٣. المقامة السّندسية في النّسبة المصطفويّة ٤. التّعظيم و المنّة في أنّ أبوي رسول الله ﷺ في الجنّة» ٥. السبل الجليّة في الآباء العلية ٦. نشر العلمين المنيفين في إثبات عدم وضع حديث إحياء أبويه ﷺ و إسلامهما على يديه ﷺ.

و من غيرهم، و آباء رجالات الحكم و أعوانه كفّاراً، و يكون آباء النّبيّ و أهل بيت النّبيﷺ مؤمنين، فلابدّ من سلب هذه الفضيلة عنهﷺ ليستوي هو و غيره في هذا الأمر.

بعض الأدلّة على إيمانهم

إنّ ثمّة روايات كثيرة تدلّ على إيمان آبائهﷺ بالإضافة إلى إجماع الطّائفة المحقّة، و مستند ذلک هو الأخبار و هذا هو الدّليل المعتمد.[1] و استدلّوا على ذلک أيضاً:

١. بقولهﷺ «لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطّاهرين إلى أرحام المطهّرات حتّى أخرجني في عالمكم و لم يدنسني بدنس الجاهليّة».[2]

ولو كان في آبائه، أو أمّهاتهﷺ كافر لم يصفهم كلّهم بالطّهارة، مع أنّ الله تعالى يقول: «إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ».[3]

و إطلاق قولهﷺ «لم يدنسني بدنس الجاهليّة» شامل لكلّ دنس، والكفر من هذه الأدناس، فلا وجه لتخصيص الطّهارة بالطّهارة من العهر، أومن الأرجاس والرّذائل فقط؛ فإنّه تخصيص بلا مخصّص.

٢. و استدلوا على ذلک أيضاً بقوله تعالى: «الَّذِي يراکَ حِينَ تَقُومُ وَ تَقَلُّبَکَ فِي

---

١. ذكر طائفة منها العلامة المجلسي(ره) في البحار، ج ١۵ والسيوطي في رسائله المشار إليها، فراجع: رسالة السبل الجليّة، ص ١٠ فيما بعدها، و راجع أيضا: السيرة الحلبيّة و غير ذلک و تاريخ الخميس، ج ١، ص ٢٣۴ فيما بعدها.

٢. مجمع البيان، ج ۴، ص ٣٢٢، و البحار، ج ١۵، ص ١١٧ و ١١٨، و تفسير الرازي، ج ٢۴، ص ١٧۴، و السيرة الحلبية، ج ١، ص ٣٠، والدر المنثور، ج ۵، ص ٩٨.

٣. التّوبة: ٢٨.

السّاجِدِينَ»[1].

لما روي عن ابن عبّاس، و أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام أنه ﷺ لم يزل ينقل من صلب نبيّ إلى نبيّ، و لا يجب أن يكونوا أنبياء مبعوثين فلعلّ أكثرهم كان نبياً لنفسه أو لبيته.

۳. و يمكن أن يستدلّ على إيمان آبائه ﷺ إلى إبراهيم، بقوله تعالى، حكاية لقول إبراهيم و إسماعيل: «وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَينِ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيتِنا»[2] مع قوله تعالى: «وَ جَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ»[3]

أي في عقب إبراهيم؛ فيدلّ على أنّه لابدّ أن تبقى كلمة الله في ذريّة إبراهيم، ولو في واحدٍ واحدٍ، على سبيل التّسلسل المستمرّ فيبقى أناس منهم على الفطرة، يعبدون الله تعالى حتّى تقوم الساعة، و لعلّ ذلك استجابة منه تعالى لدعاء إبراهيم عليه السلام الّذي قال: «وَ اجْنُبْنِي وَ بَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنامَ»[4] و قوله: «رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَ مِنْ ذُرِّيتِي»[5].

و واضح أنّه، لو أنّه تعالى قد استجاب لإبراهيم في جميع ذرّيته لما كان أبولهب من أعظم المشركين و أشدّهم على رسول الله ﷺ و هذا ما يفسّر الإتيان بـ «مِنْ» التبعيضيّة في قوله: «وَ مِنْ ذُرِّيتِي» و لا يصحّ القول: بأنّه كما خرج أبولهب، فلعلّ بعض آباء النّبي ﷺ قد خرج أيضاً، و ذلك لأنّ كلمة «باقِيَةً فِي عَقِبِهِ» تفيد الاتّصال و الاستمرار من دون انقطاعٍ؛ أمّا خروج أبي لهب فهو لا يقطع هذا الاتّصال.

---

۱. الشعراء: ۲۱۸ و ۲۱۹.

۲. البقرة: ۱۲۸.

۳. الزخرف: ۲۸.

۴. ابراهيم: ۳۵.

۵. إبراهيم: ۴۰.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الثّاني

عهد الطّفوليّة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مولد النّبيّ صلى الله عليه وآله

ولد رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة عام الفيل على المشهور،[1] أي قبل البعثة بأربعين سنةً.

و المشهور عند الإماميّة و بعض من غيرهم أنّه ولد في السّابع عشر من شهر ربيع الأوّل؛ و المشهور عند غيرهم و وافقهم الكليني: أنّه ولد لاثنتي عشرة ليلة خلت منه.[2] و ثمّة أقوال آخر لا مجال لذكرها.

و نصّ الطّبرسي و الكليني على أنّه صلى الله عليه وآله قد ولد في يوم الجمعة، و عند غير الإماميّة أنّه ولد في يوم الإثنين.

و أمّه صلى الله عليه وآله هي آمنة بنت سيّد بني زهرة، وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب. لقد ورد أنّ أمّه قد حملت به في أيّام التّشريق، و هي الحادي عشر، و الثّاني عشر، و الثّالث عشر من ذي الحجّة.[3]

و لا يخلو ذلک من إشكال؛ لِأنّها إن كانت ولدته في تلک السّنة، فإنّ حملها به صلى الله عليه وآله يكون ثلاثة أشهر و تزيد قليلاً، و إن كانت ولدته في السّنة الثّانية، فمدّة حمله تكون خمسة عشر شهراً، مع أنّ أقلّ مدّة الحمل ستّة أشهر و أقصاها سنة عند المشهور من الإماميّة.

---

١. راجع : سيرة مغلطاي، ص۶ – ۷ و تاريخ الخميس، ج ۱، ص ۱۹۵ و غير ذلک و حكي الإتفاق عليه.

٢. أصول الكافي، ج ۱، ص ۳۶۴.

٣. اصول الكافي، ج ۱، ص ۳۶۴، و ليراجع: تاريخ الخميس، ج ۱، ص ۱۹۶.

و أجيب بأنّ ذلك مبني على النّسيء في الأشهر الحُرُم عند العرب، فإنّهم كانوا يقولون مثلاً: إنّ الأشهر الحُرُم توضع بعد أربعة أشهر مثلاً، ثمّ يستحلّون القتال في نفس الأشهر الّتي رفع الإعتبار عنها.

ولكن، إن لم نقل بأنّ الحمل به ﷺ أربعة أشهر قد كان من خصوصيّاته، فلا يمكننا قبول تلك الرّواية – حتّى ولو صحّ سندها – و ذلك لأنّ كون تلك الرّواية واردة بناءاً على أشهر النّسيء يحتاج إلى إثبات؛ إذ لم نعهد في تعبيرات المعصومين بناء كلامهم على النّسيء الّذي هو زيادة في الكفر، كما لم نعهد ذلك في كلمات المحدّثين و المؤرّخين و لا سيّما مع عدم نصب قرينة على ذلك.

تعقيب هامّ

لقد قال الإربلي بعد أن أشار إلى الإختلاف في تاريخ ولادته ﷺ:

إنّ اختلافهم في يوم ولادته سهل، إذ لم يكونوا عارفين به و بما يكون منه و كانوا أميّين لا يعرفون ضبط مواليد أبنائهم؛ فأمّا اختلافهم في موته فعجيب، و الأعجب من هذا، اختلافهم في الأذان و الإقامة بل اختلافهم في موته أعجب؛ فإنّ الأذان ربّما ادّعى كلّ قومٍ أنّهم رووافيه رواية، فأمّا موته فيجب أن يكون معيّناً معلوماً.»[1]

فإذن... فما هو مدى معرفتهم بأحكام الله الّتي يقلّ الا بتلاء بها، و التّعرّض لها عادة يا تري؟!

و أيضا... هل يصحّ اعتبار أقوال هؤلاء و أفعالهم سنّة ماضية، و شريعة متّبعة؟ – كما هو عند بعض الفرق الإسلاميّة – بل تجد بعضهم ربّما يردّ الحديث الصّحيح لقول صحابي، أو لقول حاكم. إنّ ذلك عجيب و أي عجيب!

---

۱. كشف الغمه، ج ۱، ص ۱۵.

و إذا كانوا يختلفون حتّى في مثل هذه الأمور، فهل يعقل بعد هذا أن يصحّ قول البعض: إنّه صلى الله عليه و آله قد ترک الأمّة هکذا هملاً بلا قائدٍ و لا رائد و لا معلّمٍ و لا مرشدٍ؟ على اعتبار أنّ الأمّة تكون مستغنيةً عن الهداية و الرّعاية. و هذا موضع هامّ جدّاً يحتاج إلى بحث و تمحيص بصورة مفصّلة.

مصير الدّار الّتي ولد صلى الله عليه و آله فيها

و كانت ولادته في شِعب بني هاشم، أو شعب أبي طالب، في الدّار الّتي اشتراها محمّد بن يوسف، أخوالحجّاج من ورثة عقيل بن أبي طالب(ره) بمائة ألف دينار، ثمّ صيّرتها الخيزران، أمّ الرّشيد مسجداً يصلّي فيه النّاس[1] و يزورونه، و يتبرّكون به و بقي على حالته تلک. فلمّا «أخذ الوهّابيّون مكّة في عصرنا هذا، هدموه و منعوا من زيارته، علي عادتهم في المنع من التّبرّک بآثار الأنبياء و الصّالحين و جعلوه مربطاً للدّواب».[2]

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

رضاعه صلى الله عليه و آله

و يقولون: إنّ أمّه صلى الله عليه و آله قد أرضعته يومين أو ثلاثة، ثمّ أرضعته ثويبة مولاة أبي

---

١. اصول الكافي، ج ١، ص ٢٦٤. و قيل: إنّ زبيدة قد فعلت ذلک. راجع: التبرک، ص ٢٤٣ و ٢٥٥ و تاريخ الخميس، ج ١، ص ١٩٨ و أيضاً: الروض الأنف، ج ١، ص ١٨٤ و المواهب اللدنيّة، ج ١، ص ٢٥ و تاريخ الأمم و الملوک، ج ١، ص ٥٧١ و الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٤٥٨ و أخبار مكة للأزرقي، ج ١، ص ٤٣٣.

٢. أعيان الشيعه، ج ٢، ص ٧. و كانت على هذه الحالة حتّى تصدّى الشيخ عبّاس القطّان إدارة بلديّة مكّة في ذلک الوقت (١٣٤٧ – ١٣٦٤ ق) فطلب من الملک عبدالعزيز آل سعود و أصرّ عليه أن تنشأ مكتبة في مكانها، فوافق الأخير، و تمّ ذلک و سمّيت بـ «مكتبة مكة المكرمة» و لا تزال موجودة حتّى وقتنا الحاضر.

لهب أياماً.[۱]

ثمّ قدمت حَليمة السّعدية مكّة مع رفيقات لها بحثاً عن ولد ترضعه، لتستفيد من رعاية أهله و معوناتهم، فعُرِضﷺ عليها فرفضتهُ - في بادى الأمر - لِيُتْمِه و لكنّها عادت فقبلته، حيث لم تجد غيره فرأت فيه كلّ خيرٍ و بركةٍ، فأرضعته سنتين، ثم أعادته إلى أهله، و هو ابن خمس سنين و يومين - كما يقولون - ليكون في كفالة جدّه عبدالمطّلب، ثمّ عمّه أبي طالب.

و يقول بعض المحقّقين[۲] : «إنّ قولهم: إنّها رفضته في أول الأمر ليتمه إنّما يصح بالنّسبة ليتيم ضائع، لا أهميّة له، و أمّا بالنّسبة لمحمّدﷺ فإنّ كافِله عبدالمطّلب سيّد هذا الوادي، و أمّه آمنه، بنت وهب من أشراف مكّة؛ بل ثَمّ من يقول: إنّه لم يكن حينئذٍ يتيماً، و إنّ أباه قد توفّي بعد ولادته بعدّة أشهر، قيل: ثمانية و عشرين شهراً و قيل: سبعة أشهر».[۳]

و كذلک نشکّ في قولهم: إنّ ثُويبة قد أرضعت النّبيﷺ أياماً و أن أبا سلمة كان أخاً للنبيﷺ من الرّضاعة و أخوهما منها أيضاً حمزة بن عبدالمطّلب، أرضعتهم ثُويبة بلبن ولدها مسروح،[۴] وشكّنا في ذلک ناشيء عن أمرين:

أحدهما، تناقض الرّوايات في ذلک؛ ففي بعضها أنّها أرضعته أياماً[۵] و في بعض الآخر: أربعة أشهرٍ تقريباً.[۶]

---

۱. قاموس الرجال، ج ۱۰، ص ۴۱۷، ترجمة ثويبة، عن البلاذري.

۲. هو العلّامة الفاضل السيّد مهدي الرّوحاني رحمة الله عليه.

۳. صفة الصفوة، ج ۱، ص ۵۱ و كشف الغمه، ج ۱، ص ۱۶.

۴. راجع: أسد الغابة، ج ۳، ص ۹۵ و ج ۲، ص ۴۶، و البدأ و التاريخ، ج ۵، ص ۸، و تاريخ اليعقوبي، ج ۲، ص ۹، و طبقات ابن سعد، ج ۱، قسم ۱، ص ۶۷؛ والبحار، ج ۱۵، ص ۳۸۴، و قاموس الرجال، ج ۱۰، ص ۴۱۷.

۵. الإصابة، ج ۴، ص ۲۵۸، و البحار، ج ۱۵، ص ۳۳۷، و كشف الغمه، ج ۱، ص ۱۵.

۶. تاريخ الخميس، ج ۱، ص ۲۲۲، عن شواهد النبوّة.

و في حين نجد بعضها يقول: إنّ أمّه أرضعته ثلاثة أيّام،[1] و قيل: سبعة،[2] و قيل: تسعة[3] و قيل: سبعة أشهر،[4] و بعضها لم تحدّد مدّة إرضاعها له[5] صلّى الله عليه وآله.

ثمّ إنّنا في حين نجدهم يقولون ذلک بالنّسبة لإرضاع أمّه له، نجدهم يذكرون أنّ حليمة السّعديّة أرضعته بعد سبعة أيّام من مولده فقط،[6] من دون تحديد من أرضعته مدّة الأيام السّبعة نفسها، مع العلم أنّه بعد إرضاع حليمة له، لم يرتضع من غيرها و إذا كانت أمّه قد أرضعته فيها، فمتى أرضعته ثُويبة ياترى؟؟.

و من جهة أخرى، فإنّ البعض يصرّح بأنّ أوّل من أرضعته ثويبة[7] و بعضهم بأن أمّه أوّل من أرضعته.[8]

ثانيهما، عدم صحّة ارتضاع النّبي صلّى الله عليه وآله وحمزة من لبن ثويبة، لولدها مسروح لأنّ حمزة كان أكبر من النّبي صلّى الله عليه وآله بأربع سنين[9] و قيل: بسنتين.[10]

---

١. تاريخ الخميس، ج ١، ص ٢٢٢ و السيرة الحلبية، ج ١، ص ٨٨ و نور الأبصار، ص ١٠.

٢. تاريخ الخميس، ج ١، ص ٢٢٢ و نور الأبصار، ص ١٠.

٣. السيرة الحلبيّة؛ ج ١، ص ٨٨، و لعلّ أحدهما تصحيف للآخر، بسبب عدم النقط في تلک العصور و تشابه رسم الكلمتين.

٤. السيرة الحلبيّة، ج ١، ص ٨٨ عن الإمتاع.

٥. راجع: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٩ و إسعاف الرّاغبين بهامش نور الأبصار، ص ٨ و تاريخ ابن الوردي، ج ١، ص ١١٣.

٦. مختصر التاريخ لابن الكازروني، ص ٣٨.

٧. راجع: الأنس الجليل، ج ١، ص ١٧٦ وصفة الصفوة، ج ١، ص ٥٦ – ٥٧ و دلائل النبوية لأبي نعيم، ص ١١٣ و غيرها من المصادر.

٨. راجع: السيرة الحلبيّة، ج ١، ص ٨٨ عن الإمتاع.

٩. إعلام الورى، ص ٧ و كشف الغمة، ج ١، ص ١٥ و تهذيب الأسماء، ج ١، ص ١٦١ بلفظ قيل.

١٠. تهذيب الأسماء، ج ١، ص ١٦٨ و الإصابة، ج ١، ص ٣٥٤ و الإستيعاب بهامشه، ج ١، ص ٢٧١ عن البكائي واختاره في أسد الغابة، ج ٢، ص ٤٦ و ٤٩.

فإنّنا حتّى لوأخذنا بالسّنتين، فإنّ حمزة يكون قد بلغ الفطام قبل أن يولد رسول الله ﷺ كما أنّها إذا كانت قد ولدت ولدها قبل فطام حمزة، فلابدّ أن يفطم قبل ولادة رسول الله ﷺ فكيف تكون قد أرضعت الرّسول بلبن ولدها؟ و إن كان قد ولد بعد فطام حمزة فكيف تكون قد أرضعت حمزة بلبن ولدها مسروح.

و أمّا إذا أخذنا بالقول الأول فإن القضيّة تصبح أكثر إشكالاً و أبعد منالاً.

فقد النّبيّ ﷺ لأبويه

لقد شاءت الإرادة الإلهيّة أن يفقد النّبيّ ﷺ أباه و هو لا يزال جنيناً أو طفلاً صغيراً. و ربّما يقال: إنّ الأصحّ هو الأوّل؛ لأنّ يتمه هذا كانَ هو الموجب لتردّد حليمة السّعديّة في قبوله رضيعاً،[1] و لكن قد تقدّم بعض المناقشة في ذلک.

ثمّ فَقَد أمّه بعد عودته من بني سعد و هو في الرّابعة من عمره، أو في السّادسة، أو أكثر، حسب الرّوايات.

و لعلّ ما تقدم من إرجاع حليمة له إلى أمّه، و هو في الخامسة من عمره، يؤيّد أنّ أمّه قد تُوفيّت و هو في السّادسة، إلّا أن يقال: إنّه يمكن أن يكون المراد أنّه قد أرجع إلى أهله، ولكنّه احتمال بعيد عن مساق الكلام.

هذا ... و قد استأذن رسول الله ﷺ ربّه في زيارة قبر أمّه، فأذن له. فقد روي مسلم في صحيحه أنّه ﷺ قال: «استأذنت ربي في زيارة أمّي، فأذن لي، فزوروا القبور تذكّركم الموت».[2]

---

١. و بذلک يعلم أنّ ماورد في كشف الغمة، ج ١، ص ١٦ من أنّه عاش مع أبيه سنتين و أربعة أشهر لا يمكن المساعدة عليه؛ رغم أن الاربلي قد نصّ بعد ذلک في صفحة ٢٢ على أنّ أباه قد توفّي و أمّه حبلي به.

٢. كشف الغمة، ج ١، ص ١٦ عن مسلم و صحيح مسلم ط سنة ١٣٣٤ هـ ج ٣، ص ٦٥ و تاريخ الخميس، ج ١، ص ٣٣٥ و الحديث موجود في مصادر عديدة كما يظهر من مراجعة كتاب الجنائز في كتب الحديث.

و هذا الحديث حجّة دامغة على من يمنع من زيارة القبور، وله مؤيّدات كثيرة، كزيارة فاطمة عليها السلام لقبر حمزة عليه السلام و غير ذلك.

كفيل النّبيّ صلى الله عليه وآله

ولقد عاش صلى الله عليه وآله في كنف جدّه عبدالمطّلب الّذي كان يرعاه خير رعاية، و لا يأكل طعاماً إلّا إذا حضر، و كان عارفاً بنبوّته حتّى لقد روي: أنّه قال عنه لمن اراد أن ينحيه عنه و هو طفل يدرج: دع ابني فإنّ الملك قد أتاه،[1] والرّواية معتبرة على الظّاهر.

و في السّنة الثّامنة من عمره صلى الله عليه وآله توفّي جدّه عبدالمطّلب بعد أن اختار له أباطالب(ره) ليكفله و يقوم بشؤونه، و يحرص على حياته، رغم أنّ أباطالب لم يكن أكبر ولد عبدالمطّلب سنّاً و لا أكثرهم مالاً؛ لأنّ الأسنّ فيهم كانت هو الحارث، و الأكثر مالاً هو العبّاس.

ولكن عذر العباس هو أنّه كان حينئذ صغيراً أيضاً؛ لأنّه كان أسنّ من النّبيّ صلى الله عليه وآله بسنتين فقط، كما يقولون[2]، و إن كنّا قد قلنا: إنّه كان يكبره بأكثر من ذلك.

كما أنّ أباطالب قد كان شقيق عبدالله، والد النّبيّ صلى الله عليه وآله لأبيه و أمّه؛ فإنّ أمّهما هي فاطمة المخزوميّة، و طبيعي أن يكون لأجل ذلك أكثر حناناً و عطفاً عليه و حبّاً له.

ثمّ إنّ أباطالب الّذي كان هو و زوجته، أمّ أميرالمؤمنين عليه السلام يحملان نور

---

١. أصول الكافي، ج ١، ص ٣٧٢ ط سنة ١٣٨٨ هـ.

٢. و إن كنّا نعتقد أنّه حتّى ولو كان سنّه إلى الحدّ الّذي يتمكّن فيه من كفالته صلى الله عليه وآله فإنّ عبدالمطّلب لا يعهد به إليه؛ فإنّه هو الّذي احتفظ بالسّقاية دون الرّفادة بسبب حرصه على المال و ضنّه به و هو الّذي كان يحاول أن يحصل على فضلة من المال من عمر بأسلوب عاطفي و بطريقة لا يتبعها إلا من يهتمّ بالمال و بجمعه بشكل ظاهر.

الولاية، قد كانا يحملان من المكارم و الفضائل النفسيّة و المعنويّة و من الطّهارة ما يؤهّلهما لأن يكونا كفلين لرسول اللهﷺ و أبوين لوصيّه و للأئمة من ذريته.

الرّحلة الأولى إلى الشّام

و يقولون: إنّهﷺ قد سافر إلى الشّام بصحبة عمّه أبي طالب وراه بحيرا راهب بُصري، و أخبر عمّه أنّه نبي هذه الأمّة و أصرّ عليه بأن يُرجعه إلى مكّة، حتّى لا يغتاله اليهود الّذين يرون العلامات الّتي في كتبهم متحقّقة فيه، فخرج به عمّه أبوطالب حتّى أقدمه مكّة.

و كان عمر النّبيﷺ حينئذ إثني عشر سنة، و قيل: تسع سنين.[1] و للنّبيﷺ سفرة أخرى إلى الشّام للتّجارة، ستأتي الإشارة إليها إن شاءالله في موضعها.

رعيه الغنم

و يذكر المؤرّخون: أنّهﷺ قد رعى الغنم في بني سعد، و أنّه رعاها لأهله، بل و يقولون: رعاها لأهل مكّة أيضاً؛ حتّى ليذكرون – والبخاري منهم في كتاب الإجارة و غيره – أنّهﷺ قال: «ما بعثَ الله نبيّاً إلّا رعى الغنم! قال أصحابه: و أنت؟ قال: نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكّة».[2]

---

۱. راجع الطبري، ج ۲، ص ۳۳ و البداية و النهاية، ج ۲، ص ۲۸۶ و السيرة الحلبيّة، ج ۱، ص ۱۲۰ و قال: إنّ صاحب كتاب الهدي قدرجحّ هذا القول.

۲. البخاري هامش فتح الباري، ج ۴، ص ۳۶۳ و السيرة النبوية لدحلان، ج ۱، ص ۵۱ و السيرة الحلبيّة، ج ۱، ص ۱۲۵.

و فسّرت القراريط بأنّها أجزاء الدّراهم و الدّنانير يُشترى بها الحوائج الحقيرة.[١]

ولكنّا نشكّ كثيراً في أن يكون ﷺ قد رعى لغير أهله بأجر كهذا، تزهد به حتّى العجائز، و لا يصحّ مقابلته بذلك الوقت و الجهد الّذي يبذله في رعي الغنم، لأنّنا نجد أوّلاً؛ أنّ اليعقوبي – و هو المؤرّخ الثَّبَت – قد نصّ على أنّه ﷺ لم يكن أجيراً لأحدٍ قطّ.[٢]

و ثانياً؛ تناقض الرّوايات فبعضها يقول: لأهلي، و بعضها يقول: لأهل مكّة؛ و بعضها يقول: بالقراريط، و أخرى قد أبدلت ذلك بكلمة «بأجياد»، و إذا كان الرّاوي واحداً لم يقبل منه مثل هذه الاختلاف.

و يمكن أن يدفع هذا: بأنّ من المحتمل أن يكون قراريط إسم جبل في مكّة و قد رعى ﷺ الغنم عليه.

ولكن هذا و سواه من الاحتمالات لا شاهد له و إنّما يلجأ إليه لو كانت الرّواية صحيحة السّند عن معصوم، و ليست كذلك، بل هي عن أبي هريرة و غيره ممّن لا يمكن الاعتماد عليهم.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

---

١. السيرة النبوية، ج ١، ص ٥١ لزيني دحلان و السيرة الحلبيّة، ج ١، ص ١٢٥ و فتح الباري، ج ۴، ص ٣۶۴.

٢. تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢١ ط صادر.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الثّالث

خديجة في بيت النّبيّ صلى الله عليه وآله

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

السّفر الثّاني إلى الشّام

و يقولون: إنّه صلّى الله عليه و آله قد سافر سفره الثّاني إلى الشّام، و هو في الخامسة و العشرين من عمره.[1]

و يقولون: إنّ سفره هذا كان في تجارة لخديجة، و إنّ أباطالب هو الّذي اقترح عليه ذلک، حينما اشتدّ الزّمان و ألحّت عليهم سنون منكرة، فلم يقبل صلّى الله عليه و آله أن يعرض نفسه على خديجة؛ فبلغ خديجة ما جرى بينه صلّى الله عليه و آله و بين أبي طالب، فبادرت هي، و بذلت للرّسول صلّى الله عليه و آله ضعف ما كانت تبذله لغيره، لما تعرفه من صدق حديثه و عظيم أمانته و كرم أخلاقه.

و يرى بعضهم: أنّ أباطالب نفسه قد كلّم خديجة في ذلک فأظهرت سرورها و رغبتها و بذلت له ما شاء من الأجر.

فسافر صلّى الله عليه و آله إلى الشّام و ربح في تجارته أضعاف ما كان يربحه غيره، و ظهرت له في سفره بعض الكرامات الباهرة، فلمّا عادت القافلة إلى مكّة أخبر ميسرة غلام خديجة سيّدته بذلک، فذكرت ذلک بالإضافة إلى ما ظهر لها هي منه صلّى الله عليه و آله لورقة بن نوفل، ابن عمّها – كما يقولون! و إن كنّا نحن نشکّ في ذلک – فقال لها: إن كان ذلک حقّاً فهو نبي هذه الأمة.[2]

---

١. و في البحار عن بعضهم: أنّ سفره كان إلى سوق حباشة بتهامة، و كذا في كشف الغمة، ج ٢، ص ١٣٥ عن الجنابذي في معالم العترة.

٢. راجع: البداية و النهاية، ج ٢، ص ٢٩٦ و السيرة الحلبيّة، ج ١، ص ١٣٦.

ثمّ اهتمّت خديجة بالعمل على الاقتران به صلى الله عليه وآله كما سنرى.

هكذا يقولون؛ ولكنّا نشكّ في بعض ما تقدم، لا سيّما و أنّ ورقة لم يُسلم حتّى بعد أن بعث رسول الله صلى الله عليه وآله. كما أنّ قولهم: إنّ خديجة قد استأجرته في تجارتها لا يمكن المساعدة عليه؛ و ذلک لأنّنا نجد المؤرّخ الأقدم، الثَّبَت، ابن واضح المعروف باليعقوبي يقول: «و إنّه ما كان ممّا يقول الناس: إنّها استأجرته بشيءٍ، و لا كان أجيراً لأحدٍ قطّ».[١]

و لعلّ في عزّة نفس النّبي صلى الله عليه وآله و إبائها، و أيضاً في تسديد الله تعالى له، و أيضا في شرف أبي طالب و سؤدده ما يبعد كثيراً أن يكون قد صدر شيءٌ ممّا نسب إلى أبي طالبٍ منه.

و على هذا، فقد يكون سفره صلى الله عليه وآله إلى الشّام، لا لكونه كان أجيراً لخديجة، بل لأنّه كان يضارب بأموالها أو شريكاً لها و يدلّ على ذلک تصريح رواية الجنابذي بالمضاربة،[٢] فراجع. و يؤيّده ما رواه المجلسي من أنّ أباطالب قد ذكر له صلى الله عليه وآله اتّجار الناس بأموال خديجة و حثّه على أن يبادر إلى ذلک، ففعل و سافر إلى الشّام.[٣]

زواجه بخديجة

و لقد كانت خديجة عليها السلام من خيرة نساء قريش شرفاً و أكثرهنّ مالاً و أحسنهنّ جمالاً و كانت تدعى في الجاهليّة بـ «الطّاهرة»[٤] و يقال لها: «سيّدة قريش» و كلّ

---

١. تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢١ و نقل عن سفر السعادة، أنّه صلى الله عليه وآله بعد البعثة و قبل الهجرة كان يشتري أكثر مما يبيع، و بعد الهجرة لم يبع إلّا ثلاث مرّات، أمّا شراؤه فكثيرٌ ... و أما شراكته مع غيره ففيها كثير من الإضطراب و ليس لنا مجال لتحقيق ذلک.

٢. البحار، ج١٦، ص٩ و كشف الغمة، ج٢، ص١٣٤عن معالم العترة للجنابذي.

٣. البحار، ج ١٦، ص ٢٢ عن البكري و ص ٣ عن الخرائج و الجرائح، ص ١٨٦ و ١٨٧.

٤. راجع: الإصابة، ج ٤، ص ٢٨١ – ٢٨٢ و البداية و النهاية،ج٢،ص٢٩٤و تاريخ الإسلام

قومها كان حريصاً على الإقتران بها لو يقدر عليه.[١]

و قد خطبها عظماء قريش و بذلوا لها الأموال. و ممّن خطبها عقبة بن أبي معيط، و الصّلت بن أبي يهاب، و أبوجهل و أبوسفيان،[٢] فرفضتهم جميعاً و اختارت النّبي صلى الله عليه وآله لما عرفته فيه من كرم الأخلاق و شرف النّفس و السّجايا الكريمة العالية. و نكاد نقطع – بسبب تظافر النّصوص – بأنّها هي الّتي قد أبدت أوّلاً رغبتها في الاقتران به صلى الله عليه وآله.

فذهب أبوطالب في أهل بيته و نفر من قريش إلى وليّها و هو عمّها عمر و بن سعد؛ لأنّ أباها كان قد قُتل قبل ذلک في حرب الفجار أو قبلها.[٣] و أمّا أنّه خطبها إلى ورقة بن نوفل و عمّها معاً، أو إلى ورقة وحده[٤] فمردود بأنّه أدّعى الإجماع على الأول.[٥]

نعم، إنّ أباطالب قد ذهب لِخطبة خديجة، و ليس حمزة الّذي اقتصر عليه ابن هشام في سيرته؛[٦] لأنّ ذلک لا ينسجم مع ما كان لأبي طالب من المكانة و السؤدد في قريش، من جهة؛ و لأنّ حمزة كان يكبر النّبي صلى الله عليه وآله بسنتين أو بأربع[٧] كما قيل

للذّهبي، ج ٢، الترجمة النبوية، ص ١٥٢ و قسم السيرة النبوية، ص ٢٣٧ و تهذيب الأسماء، ج٢، ص ٣٤٢.

١. راجع: البداية و النهاية، ج ٢، ص ٢٩٤ و بهجة المحافل، ج ١، ص ٧ و السيرة النبويّة لابن هشام، ج ١، ص ٢٠١ و تاريخ الخميس، ج ١، ص ٢٦٣ و طبقات ابن سعد، ج ١، ص ١٣١ طـ دار صادر.

٢. البحار، ج ١٦، ص ٢٢.

٣. كشف الغمة، ج ٢، ص ١٣٩ و البحار، ج ١٦، ص ١٢ عنه و ص ١٩ عن الواقدي.

٤. البحار، ج ١٦، ص ١٩ عن الواقدي و السيرة الحلبيّة، ج ١، ص ١٩٢ و الكافي، ج ٥، ص ٣٧٤ – ٣٧٥، و فيه أن ورقة كان عمّ خديجة و كذا في البحار، ج ١٦، ص ١٤ و ٢١ عنه و عن البكري، و هو غير صحيح، لأن ورقة هو ابن نوفل بن اسد و خديجة هي بنت خويلد بن أسد.

٥. السيرة الحلبيّة، ج ١، ص ١٣٧.

٦. السيرة النبويّة، ج ١، ص ٢٠١ و السيرة الحلبيّة، ج ١، ص ١٣٨.

٧. تقدمت مصادر ذلک حين الحديث حول إرضاع ثويبة لرسول الله صلى الله عليه وآله.

من جهة أخرى. هذا بالإضافة إلى مخالفة ذلک لما يـذکره عامّـة المـؤرّخين فـي المقام.

و يظهر: أنّ ثمّة مَن يهتمّ بسلب هذه المکرمة عـن أبـي طالـب عليه السلام و إعطائها لأي کان من النّاس سواه، سواء لحمزة أو لغيره.

خطبة أبي طالب عليه السلام

و على کلّ حال فقد خطبها أبوطالب له ﷺ قبل بعثته ﷺ بخمس عشرة سنة على المشهور، و قال في خطبته – على المشهور :

الحمد لربّ هذا البيت، الّذي جعلنا من زرع إبراهيم و ذريّـة إسـماعيل و أنزلنـا حرماً آمناً و جعلنا الحکّام على النّاس و بارک لنا في بلدنا الّذي نحن فيه.

ثمّ إنّ ابن أخي هذا – يعني رسول الله ﷺ – ممّن لا يوزن برجل مـن قـريش إلّا خّج به، و لا يقاس به رجل إلّا عظم عنه، و لا عدل له في الخلق، و إن کان مُقلّـاً في المال؛ فإنّ المال رفد جار و ظلّ زائل، و له فـي خديجـة رغبـة، و قـد جئنـاک لنخطبها إليک برضاها و أمرها، و المهر عليّ في مالي الّذي سألتموه عاجله و آجله. و له – و ربّ هذا البيت – حظّ عظيم، و دين شائع، و رأى کامل.[1]

هذه الخطبة تُظهر مکانة الرّسول الفضلي في قلوب النّاس، و هي صريحة في أنّ النّاس کانوا يجدون في الرّسول علامات النبوّة و نور الهداية و يتوقعون أن يکون هو الّذي بشّر به عيسى و موسى عليهما السلام، و أنّه کان لا يـوزن بـه أحـد إلّـا رجّـح بـه ولا يقاس به رجل إلّا عظم عنه.

ثمّ إنّ کلمات أبي طالب تدلّ دلالةً واضحة على ما کان يتمتّع به بنو هاشم، من

---

۱. الکافي، ج ۵، ص ۳۷۴ – ۳۷۵ و البحـار، ج ۱۶، ص ۱۴ عنـه و ص ۱۶ عمّـن لا يحـضره الفقيه، ص ۴۱۳ و في ص ۵ عن شرف المصطفي و الکشاف و ربيع الأبرار و الإبانة لإبـن بطّـة؛ و السيرة للجويني، عن الحسن و الواقدي و أبي صالح و العتبي، و المناقب، ج ۱، ص ۴۲.

شرف و سؤدد، حتّى ليقول(رحمه الله): «و جَعَلَنا الحكّام على النّاس».

ثمّ إنّ حديثه عن فقر النّبي صلى الله عليه وآله و إعطاء الضابطة للتفضيل بين الرّجال يدلّ على واقعيّة أبي طالب، و أنّه ينظر إلى الإنسان بمنظار سام و نبيل، كما أنّه يتعامل مع الواقع بحنكةٍ و وعي و أناة.

مهر خديجة

إنّ إباطالب قد ضمن المهر في ماله – كما هو صريح خطبة – و لكن خديجة عليها السلام عادت فضمنت المهر في مالها، فقال البعض: يا عجباً! المهر على النّساء للرّجال؟!

فغضب أبوطالب و قال: إذا كانوا مثل ابن أخي هذا طلبت الرّجال بأغلى الأثمان و أعظم المهر، و إن كانوا أمثالكم لم يزوّجوا إلّا بالمهر الغالي.

و عن مقدار المهر، قيل: إنّه عشرون بَكْرَةً،[1] و قيل: إثنا عشر أوقِيَّةً[2] و نَشٌ،[3] أي ما يعادل خمس مئة درهم، و قيل غير ذلك.[4]

عمر خديجة حين الزّواج

و يلاحظ هنا مدى الاختلاف في عمر خديجة حين اقترانها بالرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله و هو يتراوح ما بين ٢٥ سنة إلى ٤٦ سنة و هو على النحو الآتي:

---

١. البَكْر: الفَتِي من الإبل بمنزلة غلام من الناس و الأنثي بَكْرة.

٢. الأوقِيَّة إسم لأربعين درهماً.

٣. النَّشّ نصف الأوقِيَّةِ و هو عشرون درهماً.

٤. راجع السيرة الحلبيّة، ج ١، ص ١٣٨ – ١٣٩.

۲۵ سنة و صحّحه البيهقي؛[۱] ۲۸ سنة و هو ما رجّحه كثيرون؛[۲] ۳۰ سنة،[۳] ۳۵ سنة[۴]، ۴۰ سنة، [۵] ۴۴ سنة،[۶] ۴۵ سنة[۷] و ۴۶ سنة.[۸]

و قد تقدّم أنّ الكثيرين قد رجّحوا القول الثّاني كما ذكره ابن العماد؛ فإذا كانت عليها السلام قد تزوّجت برسول الله قبل البعثة بخمس عشرة سنة كما جزم به البيهقي نفسه، فيكون عمرها حين زواجها خمساً و عشرين سنة. أمّا الحاكم الّذي روي لنا القول الثّاني عن ابن إسحاق، فإنّه لم يوضح لنا حقيقة ما يذهب إليه، غير أنّه حين روي عن هشام بن عروة قوله: «إنّ خديجة قد توفيّت و عمرها خمس و

---

۱. دلائل النبوّة ط دار الكتب العلميّة، ج۲، ص۷۱ و البداية و النهاية، ج ۲، ص ۲۹۴ — ۲۹۵.

۲. شذرات الذهب، ج ۱، ص ۱۴، و اقتصر عليه في بهجة المحافل، ج ۱، ص ۴۸، و رواه عن ابن عباس كلّ من أنساب الأشراف (قسم حياة النّبيّ ﷺ)، ص ۹۸ و تهذيب تاريخ دمشق، ج ۱، ص ۳۰۳ و سير أعلام النبلاء، ج ۲، ص۱۱۱ و مختصر تاريخ دمشق، ج ۲، ص ۲۷۵ و البحار، ج ۱۶، ص ۱۲ عن الجنابذي كلهم عن ابن عباس، و رواه في مستدرک الحاكم، ج ۳، ص ۱۸۲ عن ابن إسحاق دون أن يذكر له قولاً آخر، و راجع ايضاً: سيرة مغلطاي، ص ۱۲، و المحبر، ص ۷۹، و تهذيب الأسماء، ج ۲، ص ۳۴۲ و تاريخ الخميس، ج۱، ص۲۶۴ و السيرة الحلبية، ج ۱، ص ۱۴۰.

۳. راجع: السيرة الحلبيّة، ج ۱، ص ۱۴۰ و تاريخ الخميس، ج ۱، ص ۲۶۴ و سيرة مغلطاي، ص ۱۲ و تهذيب تاريخ دمشق، ج ۱، ص ۳۰۳.

۴. البداية و النهاية، ج ۲، ص ۲۹۵ و السيرة النبوية لابن كثير، ج ۱، ص ۲۶۵ و السيرة الحلبيّة، ج ۱، ص۱۴۰.

۵. أنساب الأشراف (قسم حياة النّبيّ ﷺ) ص ۹۸ و سيرة مغلطاي، ص ۱۲ و المحبر، ص ۴۹ و المواهب اللدنيّة، ج ۱، ص ۳۹ و ۳۰۳ و شذرات الذهب، ج ۱، ص ۱۴ و تاريخ الخميس، ج ۱، ص ۲۶۴ و أسد الغابة (دار الشعب) ج ۷، ص ۸۰ و السيرة الحلبيّة، ج ۱، ص ۱۴۰ و السيرة النبويّة لدحلان، ج ۱، ص ۵۵ ط دار المعرفة.

۶. تهذيب تاريخ دمشق، ج ۱، ص ۳۰۳ عن الواقدي.

۷. تهذيب الأسماء، ج ۲، ص ۳۴۲ و مختصر تاريخ دمشق، ج ۲، ص ۲۷۵ عن الواقدي.

۸. راجع: أنساب الأشراف (قسم حياة النّبيّ ﷺ) ص ۹۸.

ستون سنة» قال: هذا قول شاذّ فإنّ الّذي عندي، أنّها لم تبلغ ستّين سنة.[١] فكلامه يدل على أنّه يعتبر القول بأنّها قد تزوّجت بالنّبيﷺ و عمرها اربعون سنة شاذّ.

هل تزوّجﷺ خديجةَ طمعاً في مالها؟!

هذا، و قد جاء في كلمات بعض المتّهمين على الإسلام كلام باطل، تكذ به كل الشّواهد التّاريخيّة، و هو أنّهﷺ إنّما تزوج خديجةَ طمعاً في مالها.[٢]

ولسنا نريد الإسهاب في الإجابة على هذا الهذيان، فإنّ حياة النّبيﷺ من بدايتها إلى نهايتها لَخير شاهدٍ على أنّهﷺ ما كان يقيم للمال وزناً. و قد أنفقت خديجةعليها السلام كلّ أموالها طائعة راغبة، ليس على النّبيﷺ و مَلَذّاته،[٣] و إنما على الدّعوة إلى الإسلام و في سبيل هذا الدّين. و أيضاً، فإنّ خديجة هي الّتي عرضت نفسها على النّبيﷺ و لم يتقدّم هوﷺ بطلب يدها، ليقال: إنّه إنّما فعل ذلك طمعاً في مالها.

و يرى الشيخ محمد حسن آل ياسين أنّ حبّهﷺ و تقديره لها في أيّام حياتها، بل و بعد مماتها – حتّى لقد كان ذلك منه يثير بعض زوجاته اللّواتي ما رأين و لا عشن مع خديجة – دليل واضح على بطلان هذا الزّعم.[٤]

هل تزوّجت خديجة بأحد قبل النّبيﷺ؟

ثمّ إنّه قد قيل: إنّهﷺ لم يتزوّج بِكراً غير عايشة؛ و أما خديجة، فإنّها قد

---

١. مستدرک الحاكم، ج ٣، ص ١٨٢.

٢. النبوّة، للشيخ محمد حسن آل ياسين، ص ٦٣.

٣. الملاذّ و الملذّات: الشهوات، الواحدة ملذّة.

٤. كتاب النبوّة، ص ٦٣.

تزوّجت قبلهﷺ برجلين و لها منهما بعض الأولاد و هما «عتيق بن عائذ بن عبدالله المخزومي» و «أبوهالة التّميمي».

أمّا نحن، فنشكّ في دعواهم تلك، و نحتمل جدّاً أن يكون كثير ممّا يقال في هذا الموضوع قد صنعته يد السّياسة، و لا نريد أن نسهب في الكلام عن اختلافهم في اسم أبي هالة و هل هو صحابي أولا، و هل تزوّجته قبل عتيق، أو تزوّجت عتيقاً قبله؛[1] و لا في كون هند الّذي ولدته خديجة هو ابن هذا الزّوج أو ذاك، فإن كان ابن عتيق فهو أنثي[2] و إلّا فهو ذكر،

و أنّه هل قتل مع عليعليه السلام في حرب الجمل أومات بالطّاعون بالبصرة.[3]

لا، لا نطيل بذلک و إنّما نکتفي تبسجيل الملاحظات التّالية:

أوّلاً؛ قال ابن شهر آشوب: «و روي أحمد البلاذري، و أبوالقاسم الكوفي في كتابيهما، و المرتضي في الشّافي، و أبوجعفر في التّلخيص: أنّ النّبيﷺ تزوّج بها و كانت عذراء. يؤكّد ذلک ما ذكر في كتابي الأنوار و البدع: أنّ رقيّة و زينب كانتا ابنتي هالة أخت خديجة».[4]

ثانياً؛ قال أبوالقاسم الكوفي: «إنّ الإجماع من الخاصّ و العام من أهل الآثار و نقلة الأخبار على أنّه لم يبق من أشراف قريش و من ساداتهم و ذوي النّجدة منهم،

---

١. راجع: الأوائل، ج ١، هامش، ص ١٥٩.

٢. راجع: الأوائل، ج ١، ص ١٥٩ و قال: «إنّ هنداً هذه قد تزوّجت من صيفي بن عائذ فولدت محمد بن صيفي».

٣. للإطّلاع على هذا الإختلافات و غيرها راجع: المصادر التّالية و قارن بينها: الإصابة، ج ٣، ص ٦١١ – ٦١٢ و نسب قريش لمصعب الزبيري، ص ٢٢ و السيرة الحلبيّة، ج ١، ص ١٤٠ و قاموس الرّجال، ج ١٠، ص ٤٣١ و نقل عن البلاذري و أسد الغابة، ج ۵، ص ١٢ – ١٣ و ٧١، و غير ذلک.

۴. مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ١٥٩ و البحار و رجال المامقاني و قاموس الرّجال كلّهم عن المناقب.

إلّا من خطب خديجة و رام تزويجها، فامتنعت على جميعهم من ذلك، فلمّا تزوّجها رسول الله ﷺ غضب عليها نساء قريش و هجرنها و قلن لها: خطبك أشراف قريش و أمراؤهم فلم تتزوجي أحداً منهم، و تزوّجتِ محمداً يتيم أبي طالب، فقيراً لا مال له. فكيف يجوز في نظر أهل الفهم أن تكون خديجة يتزوّجها أعرابي من تميمٍ و تمتنع من سادات قريش و أشرافها على ما وصفناه؟! ألا يعلم ذووالتّميز و النّظر أنّه من أبين المحال و أفظع المقال؟!»[1]

و أمّا الرّد على ذلك بأنّه لا يمكن أن تبقى إمرأة شريفة و جميلة هذه المدّة الطّويلة بلا زواج، فليس على ما يرام؛ لأنّ ذلك لا يبرّر رفضها لعظماء قريش و قبولها بأعرابي من بني تميم.

و أمّا كيف يتركها أبوها أو وليّها بلا تزويج؟ فقد قلنا إنّ أباها قد قتل في حرب الفِجار أو قبلها، و أمّا وليّها، فلم يكن له سلطة الأب ليجبرها على الزّواج ممّن أراد. و بقاء المرأة الشّريفة و الجميلة مدّة بلا زواج ليس بعزيز إذا كانت تصبر إلى أن تجد الرّجل الفاضل الكامل الّذي كان يعزّ وجوده في تلك الفترة.

ثالثاً: كيف لم يعيّرها زعماء قريش الّذين خطبوها فردّتهم، بزواجها من أعرابي بوّالٍ على عقبيه كعتيق أو غيره؟!

رابعاً: قد ذكروا أنّ أوّلَ شهيد في الإسلام ابن لخديجة عليها السلام اسمه الحارث بن أبي هالة، استشهد حينما جهر رسول الله ﷺ بالدّعوة.[2] و ذلك لا يمكن قبوله؛ حيث قد رُوي بسند صحيح عندهم، عن قتادة، أنّ أول شهيد في الإسلام هو سميّة والدة عمّار[3]، و كذا روي عن مجاهد.[4]

---

١. الإستغاثة، ج ١، ص ٧٠.

٢. الأوائل لأبي هلال العسكري، ج ١، ص ٣١١ – ٣١٢ و الإصابة، ج ١، ص ٢٩٣ عنه و عن ابن الكلبي و ابن حزم و محاضرة الأوائل، ص ٤٦.

٣. الإصابة، ج ٤، ص ٣٣٥ و طبقات ابن سعد، ج ٨، ص ١٩٣ ط ليدن.

٤. الإستيعاب هامش الإصابة، ج ٤، ص ٣٣١.

و عن ابن عباس: «قُتل أبوعمّار و أمّ عمّار و هما أوّل قتيلتين قتلاً من المسلمين».[1] إلّا أن يدّعي: أنّ سميّة كانت أوّل من استشهد من النّساء و الحارث كان أوّل من استشهد من الرّجال، ولكنّه احتمال بعيد و مخالف لظاهر كلماتهم، لا سيّما و أنّ كلمة شهيد تطلق على الذّكر و الأنثى بلفظ واحد، مثل قتيل و جريح.

فظهر ممّا تقدم: أن هذا النّص لا يدل على وجود ابن لخديجة، مادام أنّه قد ثبت حصول الكذب في جزءٍ منه. و لعلّ هذا الكذب قد جاء لأجل الإيحاء بطريق غير مباشر بأنّ لخديجة ولداً من النّبيّ صلى الله عليه وآله و أنّ ذلک غير قابل للنّقاش، و لكن قد قيل: لا حافظة لكذوب.

خامساً: لقد روي أنّه كانت لخديجة أخت اسمها «هالة»، تزوّجها رجل مخزومي، فولدت له بنتاً اسمها «هالة»، ثمّ خلّف عليها ـ أي على هالة الأولى ـ رجل تميمي يقال له: «ابو هند»، فأولدتها ولداً اسمه «هند». و كان لهذا التّميمي امرأة أخرى قد ولدت له «زينب» و «رقيّة»، فماتت و مات التّميمي، فلحق ولده «هند» بقومه، و بقيت «هالة» أخت خديجة و الطّفلتان اللّتان من التّميمي و زوجته الأخرى، فضمّتهم خديجة إليها، و بعد أن تزوّجت بالرّسول صلى الله عليه وآله ماتت «هالة» فبقيت الطّفلتان في حِجر خديجة و الرّسول صلى الله عليه وآله. و كان العرب يزعمون أنّ الرّبيبة بنت، و لأجل ذلک نُسبتا إليه صلى الله عليه وآله مع أنّهما ابنتا أبي هند، زوج أختها و كذلک كان الحال بالنّسبة لهند نفسه.[2]

و لربّما يمكن تأييد هذه الرّوايات بماورد من الإختلاف في اسم والد هند، فلتراجع المصادر الّتي ذكرناهاثمّة.

---

۱. صفين للمنقري، ص ۳۲۵.

۲. راجع: الإستغاثة، ج ۱، ص ۶۸ – ۶۹ و رسالة حول بنات النّبيّ صلى الله عليه وآله، مطبوعة ط حَجَرية في آخر مكارم الأخلاق، ص ۶.

الفصل الرّابع

حتّى البعثة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

حضور النّبيّ صلی الله علیه و آله حرب الفِجار

و يذكر المؤرّخون أنّ حرباً قد هاجت بين قيس من جهة، و قريش و كِنانة من جهة أخرى في الأشهر الحُرُم (أشهر الحج و رجب معها) و لذلک سمّيت حرب الفجار. و يقال: إنّه صلی الله علیه و آله قد حضر بعض أيّامها و شارک فيها فعلاً، بنحو من المشاركة.

و لكنّنا بدورنا لا نستطيع أن نؤكّد صحّة ذلک، بل و نشکّ كثيراً فيه و ذلک لأمور:

الأوّل؛ لقد وقعت حرب الفجار في الأشهر الحرم، في رجب، و لا نرى مبرّراً لأن يهتک أبوطالب و معه الرّسول صلی الله علیه و آله حرمة الأشهر الحرم، كما يظهر لمن راجع سيرتهما و مدى تقيّدهما بمثل هذه الأمور؛ فإنّهما كانا مسلمين.[1] إلّا إذا وجّهت المشاركة بأنّ حرب الفجار قد وقعت في أشهر النّسيء، أو في شعبان، أو شوّال و كان بسببها في الأشهر الحُرُم.[2] و لكنّه توجيه لا يعتمد على أي سند تاريخي، فلا مجال للتّعويل عليه.

الثاني؛ قال اليعقوبي: «و قد روي أنّ أباطالب منع أن يكون فيها (في حرب الفجار) أحدٌ من بني هاشم، و قال: هذا ظلم و عدوان و قطيعة رحم و استحلال للشّهر الحرام، و لا أحضره، و لا أحد من أهلي؛ فأخرج الزّبير بن عبدالمطّلب

---

١. راجع: البحار، ج ١٥، ص ١١٧.

٢. راجع: السّيرة الحلبيّة، ج ١، ص ١٢٨.

مستكرهاً، و قال عبدالله بن جُدعان التّميمي و حرب بن أُميّة: لا نحضر أمراً تغيب عنه بنوهاشم».[١]

الثّالث: اختلاف الرّوايات حول الدّور الّذي أدّاه النّبيّ ﷺ في هذه الحرب؛[٢] بل نجد البعض يناقض نفسه، فيقول: إنّ النّبيّ ﷺ قد ولد عام الفيل، و أنّه حضر الفجار و عمره أربع عشرة سنة، ثمّ يقول في آخر كلامه: إنّ حرب الفجار كانت بعد عام الفيل بعشرين سنة.[٣] و التّناقض الآخر هو أنّ الكلام الّذي نقلناه عن اليعقوبي ينصّ على أنّ حرب بن أميّة قد تغيّب عن هذه الحرب؛ بينما نجد الرّوايات الأخرى تنصّ على أنّه كان قد حضرها و كان قائد قريش و كنانة.

حِلف الفضول

و بعد منصرف قريش من حرب الفجار دعا الزّبير بن عبدالمطّلب[٤] إلى حلف الفضول، و عقد الاجتماع في دار عبدالله بن جُدعان، و غمسوا أيديهم في ماء زمزم، و تحالفوا و تعاقدوا على نصرة المظلوم، و التّأسّي بالمعاش، و النّهي عن المنكر، و كان أشرف حِلف.

---

١. تاريخ اليعقوبي، ط صادر، ج ٢، ص ١٥.

٢. فبعضهم يروي: أنّ عمله ﷺ قد اقتصر على مناولة أعمامه النّبل و ردّ نبل عدوّهم عليه و حفظ متاعهم (سيرة ابن هشام، ج ١، ص ١٩٨ و تاريخ الخميس، ج ١، ص ٢٥٩) و آخر يروي: أنه قد رمى فيها برميات ما يحبّ أنّه لم يكن فعلهما (السيرة النبوية لدحلان، ج ١، ص ٥١ والسيرة الحلبيّة، ج ١، ص ١٢٧) و ثالث يروي: أنّه طعن أبا براء ملاعب الأسنّة فصرعه (المصدران المتقدمان) مع أنّهم يقولون: إنّ عمره حينئذٍ كان أربع عشرة سنة! (المصادر الاربعة المتقدمة. إلّا أنّ صفحة ابن هشام هي ١٩٥) أو أنّه كان حينئذ غلاماً(تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٦، ط صادر).

٣. تاريخ الخميس، ج ١، ص ٢٥٩ و سيرة ابن هشام، ج ١، ص ١٩٥ و ١٩٨.

٤. هو غير زبير بن العوّام، الّذي حارب أميرالمؤمنين عليه السلام في وقعة الجمل.

والمتحالفون على ذلک هم: بنو هاشم و بنو المطّلب و بنو أسد بن عبدالعزّى و زهرة و تميم.[١]

و قد حضر هذا الحلف نبيّنا الأعظم صلّى الله عليه وآله و أثنى عليه بعد نبوّته و أمضاه. فقد رُوي أنّه صلّى الله عليه وآله قال: «ما أحبّ أنّ لي بحلفٍ حضرته في دار ابن جدعان حمر النّعم، ولو دُعيت به لأجبت».[٢]

و سبب هذا الحلف، أنّ رجلاً من زبيد قدم مكة ببضاعة، فاشتراها منه العاص بن وائل، فجلس عنه حقّه، فاستعدى عليه الزّبيدي الأحلاف، الّذين كانوا يُسمّون «لعقة الدّم»؛ لأنّهم حين تحالفوا، غمسوا أيديهم بالدّم. والأحلافُ هم: عبدالدّار و مخزوم و جُمَح و سهم و عَدِيّ بن كعب. فأبى الأحلاف معونة الزّبيدي على العاص بن وائل، و انتهروه؛ و ذلک لما كان يتمتّع به العاص هذا من نفوذ.

فلمّا رأى الزّبيدي الشّر، صعد على أبي قبيس و استغاث، فقام الزّبير بن عبدالمطّلب و دعا إلى الحِلف المذكور، فعقد؛ ثم مشوا إلى العاص، و انتزعوا منه سلعة الزّبيدي، فدفعوها إليه.[٣]

ملاحظات على حِلف الفضول

١. إنّ موقف النّبي صلّى الله عليه وآله لهذا الحلف و إمضائه ايّاه، ليدلّ على أنّ الإسلام قد أمضى هذا الحلف؛ لإنّه قائم على أساس الحقّ و العدل و الخير، و هل الإسلام إلّا

---

١. راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي، ج ١٤، ص ١٢٩ و نسب قريش لمصعب، ص ٣٨٣ و البداية و النهاية، ج ٢، ص ٢٩٣ و الأغاني، ج ١٦، ص ٦٥ – ٦٦، و أنكر البعض أن يكون بنو أسد بن عبدالعزّي في حلف الفضول (الأغاني، ج ١٦، ص ٦٦) و قالوا: إنّ عبدالله بن الزبير قد ادّعى ذلک لهم في الإسلام (المصدر السابق، ص ٧٠).

٢. أعيان الشيعة، ج ٢، ص ١٣ و سيرة ابن هشام، ج ١، ص ١٤٢ و البداية و النهاية، ج ٢، ص ٢٩١ و ٢٩٣ و تاريخ الخميس، ج ١، ص ٢٦١.

٣. البداية و النهاية، ج ٢، ص ٢٩١ – ٢٩٢ و السيرة الحلبيّة، ج ١، ص ١٣٢ و السيرة النبوية لدحلان، ج ١، ص ٥٣.

ذلک؟ إنّه يمضيه مع انّ الّذين قاموا به كانوا وقتها على الشّرک والكفر، و لكنّه يهدم مسجد الضّرار، مع انّ الّذين بنوه كانوا يتظاهرون بالإسلام و يتعاملون على أساسه، بحسب الظّاهر.

و هذا ما يؤكّد واقعيّة الإسلام، و أنّه إنّما ينظر إلى عمل يَدي الصيّاد لا إلى دموع عينيه و أنّه لا يغترّ بالمظاهر و لا تخدعه الشّعارات مهما كانت برّاقةً، إذا كانت تخفى وراءها الوصوليّة، و الخيانة و التآمر؛ فالحقّ حقّ و مقبول ولابدّ من الالتزام به والتّعامل على أساسه، ولو صدر من مشرک؛ و الباطل باطل و مرفوض و لا يجوز الالتزام به ولا التّعامل على أساسه، مهما كانت الشّعارات برّاقة و مُغرية.

٢. إنّ اهتمام النّبي صلى الله عليه وآله بحلف الفضول إنّما يدلّ على انّ الإسلام ليس منغلقاً على نفسه و إنّما هو يستجيب لكلّ عمل إيجابي فيه خيرٌ للانسان، و يشارک فيه على أعلى المستويات، انطلاقاً من الشّعور بالمسئوليّة و انسجاماً مع أهدافه العليا، و مع المقتضيات الفطريّة و أحكام العقل السّليم.

٣.أمّا استجابة الّذين استجابوا للزّبير بن عبدالمطّلب حينما دعا لعقد هذا الحلف، فلعلّ لهم دوافع مختلفة باختلاف الأشخاص و البيوتات و القبائل، و من هذه الدّوافع:

الف. الدّافع الفطري الإنساني؛ لانّ هذا هو ما تحكم به الفطرة و العقل السّليم، ثمّ هو ينسجم مع الشّعور الإنساني و الأخلاقي.

ب. الدّافع المصلحي، و ذلک لانّ عدم الأمن في مكّة لسوف يقلّل من رغبة التّجّار في الوفود عليها و التّعامل مع أهلها.

ج . و ثمّة دوافع أخرى ربّما تكون لدى بعضهم كالحفاظ على قدسيّة مكّة و أهلها في نفوس العرب، و غير ذلک.

ولادة الزّهراء عليها السلام

يذكر البعض: أنّ فاطمة الزّهراء عليها السلام بنت الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله قد ولدت قبل

البعثة، ثمّ يختلفون – أولئک البعض – فيما بينهم في تمديد سنة ولادتها. فبعضهم يقول: انّها ولدت سنة بناء الكعبة، أي قبل البعثة بخمس سنين،[١] و بعضهم يقول: إنّها ولدت قبل البعثة بسبع سنين،[٢] و قيل: بإثنتي عشرة سنة.[٣] و القائلون بأنّها ولدت بعد البعثة اختلفوا أيضاً، بين قائلٍ: إنّها ولدت سنة البعثة،[٤] و قيل: في الثّانية،[٥] و قيل: سنة إحدى و أربعين من عمره الشّريف.[٦]

والقول الحقّ هو ما عليه شيعة أهل البيت تبعاً لأئمّتهم عليهم السلام – و أهل البيت أدرى بما فيه – و تابعهم عليه جماعة من غيرهم، و هو أنّها قد ولدت في السّنة الخامسة من البعثة و توفيّت و عمرها ثمانية عشر عاماً.[٧]

و يدلّ على ذلک و يؤيّده مايلي:

---

١. راجع: تاريخ الخميس، ج ١، ص ٢٧٧ و ذخائر العقبى، ص ٥٢ و مقاتل الطالبيين، ص ٤٨ و سيرة مغلطاي، ص ١٧ عن ابن الجوزي و البحار، ج ٤٣ ، ص ٩.

٢. تاريخ الخميس، ج ١، ص ٢٧٨ و ذخائر العقبى، ٥٢.

٣. تاريخ الخميس، ج ١، ص ٢٧٧ و ذخائر العقبى، ص ٥٢ و المواهب اللّدنيّة، ج ١، ص١٩٨ و الاستيعاب، بهامش الإصابة، ج ٤، ص ٣٧٤ و اختاره الحاكم في المستدرک، ج ٣، ص ١٦١.

٤. البحار، ج ٤٣، ص ٨، عن إقبال الأعمال، عن حدائق الرياض للشيخ المفيد. و تاريخ الخلفاء، ص ٧٥.

٥. البحار، ج ٤٣، ص ٩ و في الاستيعاب (بهامش الإصابه) ج ٤، ص ٣٧٤ و نهاية الإرب، ج ١٨، ص ٢١٣.

٦. في مستدرک الحاكم، ج ٣، ص ١٦٣ ذكر أنّها ماتت و عمرها (٢١) سنة و ولدت على رأس (٤١) من مولده صلى الله عليه وآله و كذا في نهاية الإرب، ج ١٨، ص ٢١٣ و دلائل النبوة للبيهقي (ط دار الكتب العلمية) ج ٢، ص ٧١.

٧. ذخائر العقبى، ص ٥٢ و تاريخ الخميس، ج ١، ص ٢٧٨ نقلاً عن الإمام أبي بكر أحمد بن نصر بن عبدالله الذراع في كتاب تاريخ مواليد أهل البيت. و مروج الذهب، ج ٢، ص ٢٨٩ و البحار، ج ٤٣، ص ١ – ١٠ عن الكافي بسند صحيح و المصباح الكبير و دلائل الإمامة و مصباح الكفعمي و الروضة و مناقب ابن شهر آشوب.

۱. قول أميرالمؤمنين علیه السلام و هو يتحدّث عن بعثة النّبيّ صلی الله علیه و آله:

و لقد كان يجاور في كلّ سنة بحراء فأراه و لا يراه غيري، و لم يجمع بيت واحدٌ يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله صلی الله علیه و آله و خديجة و أنا ثالثهما.[1]

فقد دلّت هذه الفقرة على أنّ الوحي قد نزل على النّبيّ صلی الله علیه و آله و أصبح رسولاً و بزغ فجر الإسلام في حضور علي علیه السلام و كان أوّل بيت تكون في الإسلام بضمّ رسول الله صلی الله علیه و آله و خديجة و علياً علیه السلام فقط، فلو كانت فاطمة علیها السلام قد ولدت قبل البعثة بخمس سنواتٍ، لم يصحّ حصره علیه السلام أهل ذلک البيت بهؤلاء الثّلاث.

۱. تصريح بعض المؤرّخين بأنّ أولاد خديجة كلّهم قد ولدوا بعد الإسلام باستثناء عبد مناف،[2] مع العلم بأنّ فاطمة علیها السلام كانت أصغر أولاده صلی الله علیه و آله. و يدلّ على ذلک ما ذكر في الاستيعاب في ترجمة خديجة بأنّ الطيّب قد ولد بعد النّبوّة، و ولدت بعده أمّ كلثوم، ثمّ فاطمة علیها السلام.

۲. و تدلّ على أنّها قد ولدت بعد البعثة روايات كثيرة أوردها جماعة من العلماء على اختلاف نِحَلهم و مشاربهم، تدلّ على أنّ نطفتها قد انعقدت من ثمر جاء به جبرئيل علیه السلام إلى النّبيّ صلی الله علیه و آله من الجنّة، حين الإسراء و المعراج، و ذلک مروي عن عدد من الصّحابة، منهم عايشة و عمر بن الخطّاب و سعد بن مالک و ابن عبّاس و غيرهم.[3] و إذا أمكن المناقشة في بعض تلک الرّوايات فإنّ البعض الأخر لا

---

۱. نهج البلاغه (بشرح عبده) ج۲، ص ۱۵۷، الخطبة رقم (۱۹۱) و هي المسمّاة بـ «القاصعة».

۲. راجع: البدء و التاريخ، ج ۵، ص ۱۶ و المواهب اللّدنيّة، ج ۱، ص ۱۹۶ و تاريخ الخميس، ج ۱، ص ۲۷۲.

۳. تجد بعض هذه الروايات في كتب الشّيعة، مثل: البحار، ج ۴۳، ص ۴ و ۵ و ۶ عن أمالي الصّدوق و عيون أخبار الرضا و معاني الأخبار و علل الشّرايع و تفسير القمي و الإحتجاج و غير ذلک، و الأنوار النّعمانيّة، ج ۱، ص ۸۰ و في كتب غيرهم، مثل المستدرک على الصّحيحين، ج ۳، ص ۱۵۶ و تلخيصه للذهبي، و نزل الأبرار، ص ۸۸ و الدّرّ المنثور ج ۴، ص ۱۵۳ و تاريخ بغداد، ج ۵، ص ۸۷.

مجال للنّقاش فيه.

و يؤيّد ذلک أيضا ما روي من أنّ خديجة عليها السلام كانت قد هجرتها نساء قريش؛ فلمّا حملت بفاطمة عليها السلام كانت تحدّثها من بطنها و تصبّرها.[١]

بقي هنا شيء و هو استبعاد حمل خديجة بفاطمة عليها السلام في السّنة الخامسة من البعثة، لأنّ سنّ خديجة كان حينئذٍ عالياً. و فيه أنّ سنّ خديجة حينئذ كان ما بين ۴۵ حتّى ۵۰ سنة بناءً على عدد من الأقوال في مقدار عمرها، و لعلّ من بينها ما هو الأقوى و إن كان المشهور خلافه.

و حتّى على هذا المشهور، فانّ عمر خديجة حينئذ كان لا يأبى عن الحمل؛ فإنّ القرشيّة يستمرّ حيضها إلى السّتّين، كما هو مقرّر في الفقه، و هذا يعني: أنّ قابليّة الحمل موجودة أيضاً، كما هو ظاهرٌ.[٢]

و بعد كلّ ما تقدّم، فإنّه إذا كانت فاطمة عليها السلام قد ولدت في السّنة الخامسة من البعثة، فإنّها تكون قد توفيّت و عمرها ثمانية عشر عاماً فقط، كما هو ظاهرٌ.

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

بماذا كان يدين النّبيّ قبل البعثة؟

إنّ إيمان النّبيّ صلّى الله عليه و آله و توحيده قبل بعثته يعتبر من المسلّمات؛ ولكن يبقى أنّهم قد اختلفوا في أنّه صلّى الله عليه و آله هل كان متعبّداً بشرع أحدٍ من الأنبياء قبله أولا؟ فهل هو متعبّد بشرع نوح، أو إبراهيم، أو عيسى، أو بما ثبت أنّه شرع، أو لم يكن متعبّداً

---

١. البحار، ج ۴۳، ص ۲.

۲. و ممّا ذكرنا و من قول المصباح: «و العامّة تروي أن مولدها كان قبل المبعث بخمس سنين (البحار، ج ۴۳، ص ۲) نعرف أن المسعودي قد اشتبه في نسبة القول بالتّسع و العشرين إلى أكثر أهل البيت و شيعتهم (التّنبيه و الإشراف) ص ۲۵۰، و لعلّه سهو من قلمه، أو عمد، أو سهو من النّسّاخ، بحيث كان في الأصل تسع عشرة، فبدّل إلى تسع و عشرين.

بشرع أحد؟ ذهب إلى كلّ فريق،[۱] و توقّف في ذلک بعض، منهم عبدالجبّار و الغزّالي و السيّد المرتضى.

و ذهب المجلسي إلى أنّهﷺ – حسب ما صرّحت به الرّوايات – كان قبل البعثة، مذ أكمل الله عقله في بدو سنّه نبياً مؤيّداً بروح القدس،[۲] يكلّمه المَلَک و يسمع الصّوت، و يرى في المنام، ثمّ بعد أربعين سنة صار رسولاً، و كلّمه الملک معاينةً، و نزل عليه القرآن و أمر بالتّبليغ. إنّ ذلک ظهر له من الآثار المعتبرة و الأخبار المستفيضة.[۳]

و قد استدلّوا على نبوّتهﷺ منذ صِغَره بأنّ الله تعالى قد قال حكايةً عن عيسى:

«قالَ إِنّي عَبْدُ اللّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيا وَ جَعَلَنِي مُبارَكاً أَينَ ما كُنْتُ وَ أَوْصانِي بِالصَّلاةِ وَ الزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيا»[۴]

و يقول الله تعالى عن يحيىعليه السلام: «وَ آتَيناهُ الْحُكْمَ صَبِيا»[۵] فاذا أضفنا إلى ذلک: أنه قد ورد في أخبار كثيرة بعضها صحيح – كما في رواية يزيد الكناسي في الكافي – إنّ الله لم يعط نبيّاً فضيلة و لا كرامة و لا معجزة، إلّا أعطاها نبيّنا الأكرمﷺ.

فالنّتيجة: هي أنّ الله تعالى قد أعطى نبيّنا محمّداًﷺ الحكم و النّبوة منذ صغره – أو قل: منذولد – [۶] ثمّ أرسله للنّاس كافّةً، حينما بلغ الأربعين من عمره، و

---

۱. راجع: تاريخ الخميس، ج ۱، ص ۲۵۴.

۲. و كان عيسى أيضاً مؤيّداً بروح القدس؛ قال تعالى: «و أيدناه بروح القدس» و لو لم يكن نبينا مؤيّداً بروح القدس لكان يحيى و عيسى أفضل منه.

۳. البحار، ج ۱۸، ص ۲۷۷.

۴. مريم: ۳۰ و ۳۱.

۵. مريم: ۱۲.

۶. راجع:البحار، ج ۱۸، ص ۲۷۸ – ۲۷۹.

قد أيّد المجلسي هذا الدّليل بوجوه كثيرة.[1]

و أشار العلّامة الأميني أيضاً إلى حديث: إنّه صلى الله عليه و آله كان نبيّاً و آدم بين الرّوح و الجسد، و رواه عن العديد من المصادر من غير الشّيعة.[2]

والمتحصّل من مجموع الرّوايات: أنّه صلى الله عليه و آله كان مؤمناً موحّداً، يعبد الله و يلتزم بما ثبت له أنّه شرع الله تعالى ممّا هو من دين الحنيفيّة شريعة إبراهيم عليه السلام و بما يؤدّي إليه عقله الفطري السّليم، و أنّه كان مؤيّداً و مسدّداً، و أنّه كان أفضل الخلق و أكملهم خَلقاً و خُلقاً و عقلاً، و كان المَلَک يعلّمه و يدلّه على محاسن الأخلاق.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١. المصدر السابق، ص ٢٧٧ – ٢٨١.

٢. راجع: الغدير، ج ٩، ص ٢٨٧.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

القسم الثاني

من البعثة حتّى الهجرة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الأول

الدّعوة في مراحلها الأولى

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لقد بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه و آله رسولا للنّاس أجمعين بعد عام الفيل بأربعين عاماً، أي حينما بلغ الأربعين من عمره الشّريف على قول أكثر أهل السّير و العلم بالأثر، و كان قبل ذلک يسمع الصّوت و لا يرى الشّخص حتّى تراءى له جبرئيل و هو في سنّ الأربعين.[1]

و المروي عن أهل البيت عليهم السلام أنّ بعثته صلى الله عليه و آله كانت في السّابع و العشرين من رجب، و هذا هو المشهور، بل ادّعى المجلسي الإجماع عليه عند الشّيعة، و رُوي عن غيرهم أيضاً.[2]

---

١. و قيل: كان عمره صلى الله عليه و آله حين بعثته اثنين، و قيل: ثلاثاً، و قيل: خمساً و أربعين سنة (راجع في ذلک كلّاً أو بعضاً: سيرة مغلطاي، ص ١٤ و السّيرة الحلبيّة، ج ١، ص ٢٢٤ و تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٤٢ و ٤٣.) و ربما لا يكون بين هذه الأقوال منافاة إذا كان القائلون بها يأخذ بعضهم، و بعضهم الآخر لا يأخذ السّنوات الأولى و هي فترة الدّعوة الاختياريّة. أو لعلّ بعضهم لم يكن يرى أنّ النّبي صلى الله عليه و آله مرسل في تلک الفترة إلى النّاس كافّة، أو أنّه كان مكلّفا بدعوة الأقربين فقط.

٢. راجع: السّيرة الحلبيّة، ج ١، ص ٢٣٨، عن أبي هريرة، و سيرة مغلطاي، ص ١٤، عن كتاب العتقي عن الحسين، و منتخب كنز العمّال، هامش مسند أحمد، ج ٣، ص ٣٦٢ و مناقب ابن شهر آشوب، ج ١، ص ١٧٣ و البحار، ج ١٨، ص ٢٠٤ و ١٩٠. و قيل: إنّه صلى الله عليه و آله بعث في شهر رمضان المبارک، و اختلفوا في أي يومٍ منه (راجع: تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٤٤ و سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٢٥٦ و تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٢ - ٢٣ ط صادر و البداية و النهاية، ج ٣، ص ٦) و قيل: في شهر ربيع الأول واختلف أيضاً في أي يوم منه (المواهب اللدنيّة، ج ١، ص ٣٩ و سيرة مغلطاي، ص ١٤ و تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٢ و التّنبيه و الإشراف، ص ١٩٨ و مروج الذهب، ج ٢، ص ٢٨٧ و السيرة الحلبيّة، ج ١، ص ٢٣٨).

و كان بدء الوحي في غار حِراء[۱]، و كان صلی الله علیه وآله يتعبّد في حِراء هذا، على النّحو الّذي ثبتت له مشروعيّته، و كان قبل ذلک يتعبّد فيه عبدالمطّلب.

و أوّل ما نزل عليه صلی الله علیه وآله هو قوله تعالى: «بسم الله الرّحمن الرّحيم إقرأ باسم ربک الّذي خلق».[۲] و هذا هو المروي عن أهل البيت علیهم السلام[۳] و روي أيضاً عن غيرهم بكثرة.[۴] فرجع صلی الله علیه وآله إلى أهله مستبشراً مسروراً بما أكرمه الله به، مطمئناً إلى المهمّة الّتي أوكلت إليه، فشاركه أهله في السّرور و أسلموا، و قد روي هذا المعنى عن أهل البيت علیهم السلام، فعن زرارة أنّه سئل الإمام الصّادق علیه السلام: كيف لم يخف رسول الله صلی الله علیه وآله فيما يأتيه من قِبَل الله: أن يكون مما ينزع به الشّيطان؟ فقال: «إنّ الله إذا اتّخذ عبداً رسولاً، أنزل عليه السّكينة والوقار، فكان الّذي يأتيه من قِبل الله مثل الّذي يراه بعينه».[۵]

---

۱. هو جبل على ثلاثة أميال من مكّة و يقال: هو جبل فاران، الّذي ورد ذكره في التوراة إلّا أنّ الظّاهر هو أنّ فاران إسم لجبال مكّة، كما صرّح به ياقوت الحموي، لا لخصوص حِراء.

۲. الآيتان ۱ و ۲ من سورة العلق و راجع تفسير البرهان.

۳. تفسير البرهان، ج ۱، ص ۲۹.

۴. راجع: الدرّ المنثور، ج ۶، ص ۳۶۸ و الاتقان، ج ۱، ص ۲۳.

و ربّما يقال: إنّ أوّل ما نزل عليه صلی الله علیه وآله هو فاتحة الكتاب (الدرّ المنثور، ج ۱، ص ۲۴) و لا سيّما بملاحظة أنّه صلی الله علیه وآله قد صلّى في اليوم الثّاني هو صلی الله علیه وآله و علي علیه السلام و خديجة علیها السلام حسب ما ورد في الرّوايات. ولكن من الواضح أنّ ذلک لا يثبت شيئاً؛ إذ يمكن أن تنزل الفاتحة بعد سورة إقرأ بلا فصل، ثم يصلّي و يقرؤها في صلاته؛ كما أنّ من الممكن أن تكون صلاتهم آنئذٍ غير مشملة على فاتحة الكتاب، ثمّ وجبت بعد ذلک و إن كان لم يذكر ذلک أحدٌ.

أمّا قوله عن الّذي لايقرأ بفاتحة الكتاب: لا صلاة له (الوسائل، ج۴، ص۷۲۳) و قوله صلی الله علیه وآله: كلّ صلاة لايقرأ فيها بفاتحة الكتاب، فهي خِداج (الخداج: النقصان) «المصدر المتقدم، ص ۷۳۳» فهو لا ينافي ذلک؛ إذ يمكن أن يكون ذلک تشريعاً حادثاً بعد ذلک. هذا كلّه عدا عن أنّهم يروون: أنّ سورة الفاتحة قد نزلت بعد المدّثر (الاتقان، ج ۱، ص ۲۴) أي بعد عدّة سنوات من البعثة.

۵. التمهيد في علوم القرآن، ج۱، ص۴۹ عن العيّاشي، ج۲، ص۲۰۱، و البحار، ج۱۸ ص۲۶۲.

أوّل من أسلم

إنّ أوّل من أسلم، و اتّبع و صدّق، و آزر و ناصر، هو أميرالمؤمنين، و إمام المتّقين، علي بن ابي طالب عليه السلام. و أورد العلّامة الأميني في كتابه القيّم،[۱] أقوالاً عن العشرات من كبار الصّحابة و التّابعين و غيرهم من الأعلام، و عن العشرات من المصادر غير الشّيعة، تؤيّد و تؤكّد على أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام هو أول الأمّة إسلاماً.

هذا، عداعن الكثير من الرّوايات الوارة عن النّبيّ الأعظم صلى الله عليه و آله و كلمات أميرالمؤمنين عليه السلام نفسه و عداعن كلمات الصّحابة و التّابعين و أشعارهم؛ بل لقد ادّعى البعض الإجماع عليه.[۲]

فإنّهم يقولون: لقد بعث النّبي صلى الله عليه و آله يوم الإثنين و أسلم علي عليه السلام يوم الثّلاثاء.[۳] و ممّا ورد عن النّبيّ الأعظم صلى الله عليه و آله بسند صحيح قوله: «أوّ لكم وروداً على الحوض، أولكم إسلاماً علي بن أبي طالب».[۴]

و عنه صلى الله عليه و آله: «هذا أوّل من آمن بي، و صدّقني، و صلّى معي».[۵]

و على نفسه يصرّح في كثير من المناسبات بذلك، بأنّه لم يسبقه أحد في

۱. راجع: الغدير، ج ۳، ص ۹۵ و ۹۶ و ۹۹ و ۲۲۴ و ۲۳۶ ، و ج ۱۰، ص ۱۵۶ و ۱۵۸ و ۱۶۴ و ۱۶۸ و ۲۹۰ و ۳۲۲، و ج ۹، ص ۱۱۵ و ۱۲۲، و راجع: دلائل الصدق، و الأوائل للطبراني، ص ۷۸ - ۷۹.

۲. راجع: الصّواعق المحرقة، الفصل الأول، الباب التّاسع، و معرفة علوم الحديث للحاكم، ص۲۲.

۳. راجع: الأوائل، ج ۱، ص ۱۹۵.

۴. مستدرک الحاكم، ج ۳، ص ۱۳۶ و صحّحه، و تاريخ بغداد للخطيب، ج ۲، ص ۸۱، و الاستيعاب، هامش الاصابة، ج ۳، ص ۲۸ و شرح النهج للمعتزلي و السّيرة الحلبيّة و السيرة النّبوية لدحلان و مناقب الخوارزمي و الغدير، ج ۳، ص ۲۲۰ عنهم فراجعه.

۵. شرح النهج للمعتزلي، ج ۱۳، ص ۲۲۵.

الصّلاة مع رسول الله، و أنّه أوّل من أسلم مع رسول الله صلی الله علیه وآله، و أنّه الصّديق الأكبر، و أنّه لا يعرف أحداً في هذه الأمّة عَبَد الله قبله غير النّبي صلی الله علیه وآله و أنّه صلّى قبل أن يصلّي النّاس سبع سنين.[۱]

و نجد في مقابل ذلك قولاً آخر مفاده أنّ خديجة كانت هي السّبّاقة إلى الإسلام و أنّها أوّل مخلوق آمن به، بل لقد ادّعى البعض الاجماعَ على هذا القول.[۲]

و لكنّه قول مردود؛ لانّ العديد من الرّوايات عن النّبي صلی الله علیه وآله و عن علي علیه السلام و عن الصّحابة و التّابعين تعبّر بأنّ عليّاً علیه السلام أوّل من صلّى، أو أوّل من آمن، أو أوّل الأمّة، أو النّاس إسلاماً، و لا يمكن أن يكون المقصود بالأمّة أو النّاس خصوص الرّجال.

و أمّا القول بأوّليّة إسلام أبي بكر، المروي عن ابن عبّاس و الشّعبي و أبي ذر و بعض آخر، فإنّه أيضاً مردود و موضوع في وقت متأخّر عن عهد الخلفاء الأربعة و لربّما يكون قد حصل ذلک حينما كتب معاوية إلى الأقطار يأمرهم أن لا يدعوا

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

۱. راجع: الغدير، ج ۳ ص ۲۱۳ و ۲۲۱ و ۲۲۲، و ج ۱۰، ص ۱۵۸ – ۱۶۴، و ج ۲، ص ۲۵ – ۳۰ و ۳۱۴ عن: شرح النهج، ج ۱، ص ۵۰۳ و ۴۰۴ و ۲۸۳، و ج ۲، ص ۱۰۲، و أبي داود بإسناد صحيح و تاريخ بغداد للخطيب، ج ۴، ص ۲۲۴. و لعلّ المراد من كلامه الأخير، التعبّد مع النّبي صلی الله علیه وآله قبل البعثة بسنتين، أو خمس سنين؛ حيث بدأت إرهاصات النّبوّة، ثمّ يضمّ إليها ثلاث أو خمس سنين، فترة الدّعوة الاختياريّة غير المفروضة بعد البعثة، أو لعلّه عَبَدالله حقّاً مع رسول الله قبل البعثة سبع سنين، إذا كان قد أسلم علیه السلام و هو ابن اثني عشر سنة أو حتّى عشر سنين، حيث كان الرّسول صلی الله علیه وآله يتعبّد قبل البعثة، و كان صلی الله علیه وآله على دين الحنيفيّة، فكان علي علیه السلام يعبد الله معه صلی الله علیه وآله.

إلّا أن يكون الصّحيح في الرّواية هو ما ذكره ابن بطريق أنّه صلی الله علیه وآله قال: «صلّت الملائكة علَيّ و على علي سبع سنين».

۲. راجع: السيرة الحلبيّة، ج ۱، ص ۲۶۷ و السيرة النبويه لدحلان، ج ۱، ص ۹۰ و إسعاف الرّاغبين بهامش نور الأبصار، ص ۱۴۸ و الأوائل للطبراني، ص ۸۰.

فضيلةً لعلي إلّا و يأتوه بمثلها لغيره من الصّحابة.[١]

مع أنّ ابن عباس و الشّعبي و أباذر الّذين رُوي عنهم القول بأوّليّة أبي بكر، هم أنفسهم يقولون: إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام هو أوّل من أسلم. و يقول الإسكافي: «إنّ حديثهم في عليّ أقوى سنداً و أشهر من الحديث الآخر المنسوب إليهم في أبي بكر.»[٢]

أضف إلى ذلک اعتراف عايشه بأنّ أباها كان رابعاً في الإسلام و قد سبقه إلى ذلک خديجة و زيد بن حارثة و علي عليه السلام.[٣]

و أيضاً أنّنا لم نجد أحداً يعترض على الصّحابة و لا على التّابعين و لا على أميرالمؤمنين عليه السلام في احتجاجاتهم المتعدّدة على معاوية و غيره بأنّ عليّاً عليه السلام و هو أوّل الأمّة إسلاماً، يعترض و يقول: بل أبوبكر هو الأوّل. بل إنّنا لم نجد أبابكر و لا أحداً من أنصاره و محبّيه يحتجّ له بأنّه أوّل من أسلم، رغم احتياجاتهم الشّديدة إلى ذلک و لا سيّما في السّقيفة.

فاتّضح أنّ القول بأنّ أبابكر هو أوّل من أسلم لا يمكن إلّا أن يكون من القول الجزاف، و الدّعوي الفارغة، و من المختلقات الّتي افتعلت في وقت متأخّر، تزلّفاً للأمويّين.

مراحل الدّعوة

يرى البعض أنّ الدّعوة قد مرّت بمراحل أربع:

الأولى؛ المرحلة السّرّية و استمرّت ثلاث أو خمس سنوات.

الثّانية: الإعلان بالدّعوة إلى الله بالقول فقط، دون اللجوء إلى العنف، و استمرّت

---

١. راجع: النصائح الكافية لمن يتولي معاوية، من ص ۷۲ حتّى ص ۷۴.

٢. راجع: الغدير و شرح النهج للمعتزلي، ج ۱۳ و آخر كتاب العثمانيّة.

٣. راجع: الأوائل، ج ۱، ص ۲۰۲ و ۲۰۶.

حتّى الهجرة.

الثّالثة؛ مرحلة الدّفاع عن الدّعوة بالسّيف، و استمرّت إلى صلح الحديبيّة.

الرّابعة؛ قتال كلّ من وقف في سبيل الإسلام، من الوثنيّين و المشركين و غيرهم، و هو ما استقرّ عليه أمر الدّعوة و حكم الجهاد.[1]

و لكنّنا لا نوافق على استعمال مصطلح «الفترة السّريّة» هنا؛إذ إنّ الظّاهر هو أنّ النّبيّ ﷺ لم يكن حينما بُعث. مأموراً بدعوة عموم النّاس، و لكنّه كان يعرض هذا الدّين بصورة طوعيّة و عفوية، و بدون أن يوجّه الأنظار إلى ذلک، فكان هناک أفراد يسلمون تباعاً.

و قد كان هذا الأسلوب في تلک الفترة ضروريّاً من أجل الحفاظ إلى مستقبل الدّعوة، حتّى لا تتعرّض لعمل مسلّح يقضي عليها في مهدها، حيث لابدّ من إيجاد ثلّة من المؤمنين، و من مختلف القبائل، يحملون هذه العقيدة و يدافعون عنها، حتّى لا يبقى مجال لتصفيتهم السّريعة و الحاسمة من قِبَل أعدائهم الأشرار.

كما أنّه ﷺ أراد أن لا تهدر الطّاقات و تذهب الجهود سدي، و ينتهي الأمر إلى تمزّق، و توزّع في الثّلّة المؤمنة، ثمّ إلى ضياعٍ مُدمّرٍ.

و أيضاً، فقد كانت هذه الفترة بمثابة إعدادٍ نفسي و تربية عقيديّة و روحيّة لتلک الصّفوة المؤمنة بربّها، و برسالة نبيّه الأكرم ﷺ تمكّنهم من الصّمود في وجه التهديدات الّتي تنتظرهم.

و إذا كان ﷺ يريد أن يقود عمليّة تغيير شاملة، فلابدّ له من إتاحة الفرصة لتهيئة و إعداد القوي الّتي تستطيع أن تحقّق هدفاً كبيراً كهذا، و تتمكّن من الحفاظ و الاحتفاظ بالوجود الفعّال و المؤثّر في بقاء ذلک الهدف.

---

۱. فقه السيرة للبوطي، ص ۹۱.

قريش و مرحلة ما قبل الإعلان

كان المشركون قد عرفوا بتنبّؤا النّبيّ صلّى الله عليه و آله من أوّل الأمر، و لكنّهم لم يهتمّوا كثيراً بالأمر – باديء ذي بدء – ربّما لأنّهم اعتبروا أنّ القضيّة ليست بذات أهميّة كبيرة إلّا من جهة قبليّة بالدّرجة الأولى؛ ولكنّهم ظلّوا يتنسّمون[1] الأخبار، و يستطلعونها و كانوا يقولون: إنّ فتى عبدالمطّلب ليكلّم من السّماء.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١. تنسّم الخبر: تلطّف في التماسه شيئاً فشيئاً، و يقال: تنسّمت منه عِلماً: أي أخذته.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الثّاني

إنذار العشيرة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

إنّه بعد السّنوات الثّلاث الأولى، بدأت مرحلة جديدة و خطيرة و صعبة، هي مرحلة الدّعوة العلنيّة إلى الله تعالى.

و قد بدأت أوّلاً على نطاق ضيّق نسبيّاً، حيث نزل عليه صلی الله علیه و آله قوله تعالى: «وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ»[1] فيقول المؤرّخون ما ملخّصه: [2] إنّه لمّا نزلت هذه الآية دعا عليّاً علیه السلام، فأمره أن يصنع طعاماً و يدعو له بني عبدالمطّلب ليكلّمهم و يبلّغهم ما أمر به.

فصنع علي علیه السلام صاعاً من طعام، و جعل عليه رِجلَ شاة، و مِلأعَساً من لبن، ثمّ دعاهم، و هم يومئذٍ أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً، أو ينقصونه؛ فيهم أعمام النّبي صلی الله علیه و آله: أبوطالب، حمزة، العبّاس و أبولهب، فأكلوا.

قال علي علیه السلام: فأكل القوم، حتّى ما لهم بشيءٍ من حاجة، و ما أرى إلّا موضع أيديهم، و أيم الله الّذي نفس عليّ بيده، و إن كان الرّجل الواحد منهم ليأكل ما قُدّمت لجميعهم.

ثمّ قال: إسقِ القوم، فجئتهم بذلك العس، فشربوا منه، حتّى رووامنه جميعاً، و أيم الله، إن كان الرّجل الواحد منهم ليشرب مثله. فلمّا أراد رسول الله صلی الله علیه و آله أن يكلّمهم، بَدَرَه أبولهب، فقال: لَقَدِماً سَحَرَكم صاحبكم، فتفرّق القوم و لم يكلّمهم الرّسول صلی الله علیه و آله فأمر صلی الله علیه و آله عليّاً علیه السلام في اليوم الثّاني أن يفعل كما فعل آنفاً، و بعد أن

---

1. الشعراء : ٢١٤.
2. النّص للطبري في تاريخه، ج ٢، ص ٦٣.

أكلوا و شربوا، قال لهم رسول الله ﷺ: يا بني عبدالمطّلب! إنّي والله ما أعلم شابّاً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به، إنّي قد جئتكم بخير الدّنيا و الآخرة. و قد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه؛ فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي و وصيّي و خليفتي فيكم؟

قال: فأحجم[1] القوم عنها جميعاً، و قال علي: أنا يا نبي الله أكون وزيرک عليه، فأخذ برقبتي، ثمّ قال: إنّ هذا أخي و وصيّي و خليفتي فيكم، فسمعوا له و أطيعوا.

قال: فقام القوم يضحكون و يقولون لأبي طالب: قد أمرک أن تسمع لا بنک و تطيع.[2]

نقاط هامّة في حديث الإنذار

ألف. لماذا تخصيص العشيرة بالدّعوة؟

لا يخفى أنّ الاهتمام بدعوة عشيرته الأقربين كان خير وسيلة لتثبيت دعائم دعوته و نشر رسالته؛ لأنّ الإصلاح يجب أن يبدأ من الدّاخل، حتّى إذا ما استجاب له أهله و قومه، اتّجه إلى غيرهم بقَدم ثابتةٍ و عزم راسخٍ و مطمئن.

كما أنّ دعوته لهم سوف تمنحه الفرصة لاكتشاف عوامل الضّعف و القوّة في البنية الدّاخليّة، من حيث ارتباطاته و علاقاته الطّبيعيّة، و ليعرف مقدار الدّعم الّذي سوف يلاقية؛ فيقدر موافقه و إقدامه على أساسه.

أضف إلى ذلک: أنّه حين يبدأ بالأقربين من عشيرته – و لا يبدو أنّه على

---

١. أحجم فلان عن الشّيء: كفّ أو نكص.

٢. راجع هذه القضيّة في: تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٦٣، و مختصر تاريخ أبي الفداء، ج ٢، ص ١٤، و شواهد التنزيل، ج ١، ص ٣٧٢ و ٤٢١، و كنز العمّال، ج ١٥، ص ١٦ و ١١٧ و ١١٣ و ١٣٠، و تاريخ ابن عساكر، ترجمة الإمام علي بتحقيق المحمودي، ج ١، ص ٨٧ و ٨٨، و شرح النهج للمعتزلي، ج ١٣، ص ٢٤٤.

استعداد لتقديم أي تنازل أو مُساوَمة حتّى بالنّسبة إلى هؤلاء – فإنّ معنى ذلك هو أنّ على الآخرين أن يقتنعوا بأنّه منسجم مع نفسه، و مقتنع بصحّة ما جاء به، و يريد لأحبّ الناس إليه، الذين لا يريد لهم إلّا الخير، أن يكونوا في طليعة المؤمنين الّذين يضحون بكلّ غالٍ و نفيسٍ في سبيل هذا الدّين. و قد رأينا أنّ النّصارى قد تنبّهوا إلى ذلك في قضيّة المباهلة، فراجع.

و من الجهة الأخرى؛ فإنّه يعيش في مجتمع يقيم علاقاته على أساس قِبلي – فحين يريد أن يقدم على مواقف أساسيّة و مصيريّة – و حين لا يكون هو نفسه يرضى بالاعتماد على القِبليّه كعنصر فعّال في حماية مواقفه و تحقيق أهدافه؛ فإنّ من اللّازم، أن يتّخذ من ذوي قرباه موقفاً صريحاً، و يضعهم في الصّورة الواضحة، و أن يهيّيء لهم الفرصة ليحدّدوا مسئوليّاتهم بحريّة و صراحة و صفاء، بعيداً عن أي ضغط و ابتزازٍ و لو كان هذا الضّغط من قبيل العرف القِبلي فيما بينهم؛ لأنّه عرفٌ مرفوض إسلاميّاً.

و هنا تبرز واقعيّة الإسلام في تعامله مع الأمور، و في معالجته للقضايا؛ الإسلام الّذي لا يرضى أن يستغلّ جهل النّاس و بساطتهم، و حتّى أعرافهم – الخاطئة – الّتي ارتضوها لأنفسهم في سبيل منافعه و تحقيق أهدافه.

و على كلّ حال، فقد خرج صلّی الله علیه وآله من ذلك الاجتماع بوعدٍ أكيد من شيخ الأبطح؛ أبي طالب علیه السلام بالنّصر والعون؛ فإنّه لمّا رأى موقف أبي لهب اللّا إنساني، و اللّا معقول، قال له: «يا عورة، والله لننصرنّه، ثم لنعيننّه!! يا ابن أخي، إذا أردت أن تدعو إلى ربّك فأعلمنا، حتّى نخرج معك بالسّلاح».[1]

ب. علي علیه السلام في يوم الإنذار

و نجد في يوم الإنذار، أنّ اختيار النّبيّ صلّی الله علیه وآله يقع على أميرالمؤمنين علیه السلام ليكون المضيف لجماعة يناهز عددها الأربعين رجلاً، فيأمره بأن يصنع طعاماً و

١. تاريخ اليعقوبي (ط صادر) ج ٢، ص ٢٧ – ٢٨.

يدعوهم إليه.

والظّاهر أنّ ذلك قد كان في بيت النّبيّ ﷺ نفسه؛ لأنّ عليّاً عليه السلام كان عند رسول الله ﷺ في بيته على ما يظهر، و قد كان بإمكانه ﷺ أن يطلب من خديجة أن تصنع لهم الطّعام، هذا مع وجود آخرين، اكثر وجاهة و معروفيّة من علي عليه السلام كأبي طالب، و كجعفر الّذي كان يكبر عليّاً في العمر، و غيرهما ممّن يمكن أن يستفيد من نفوذه و شخصيّته في التأثير على الحاضرين، و لكنّه قد اختار عليّاً بالذّات ليتفادي أي إحراج يبعد القضيّة عن مجالها الطّبيعي، الّذي يرتكز على القناعة الفكريّة و الوجدانّية بالدّرجة الأولى؛ و لأنّ عليّاً و إن كان حينئذٍ صغير السنّ، إلّا أنّه كان في الواقع كبيراً في عقله و في فضائله و ملكاته؛ كبيراً في روحه و نفسه؛ كبيراً في آماله و أهدافه؛ و لا أدلّ على ذلك من كونه هو المجيب للرّسول دون كلّ من حضر، ليؤازره و يعاونه على هذا الأمر.

و قد رآه النّبي ﷺ منذئذٍ أهلاً لأن يكون أخاه و وصيّه و خليفته من بعده، و هي الدّرجة الّتي قصرت همم الرجال عن أن تنالها، بل و حتّى عن أن يدخل في وهمها، أن تصل – ولو في يومٍ – ما إليها و تحصل عليها.

ولكن عليّاً كان منذ نعومة أظفاره هو السّباق إليها دون كلّ أحدٍ، لأنّه عاش في كنف الرّسول و كان ﷺ كفيله و مربّيه، و كان يبرد له الطّعام، و يشمّه عرفه، و كان يتّبع الرّسول اتّباع الفصيل أثر اُمّه، و كان كأنّه ولده.

«ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يؤْتِيهِ مَنْ يشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.»[1]

ج. موقف أبي طالب عليه السلام

و أمّا أبوطالب عليه السلام فكان موقفه الرّاعي لهذا الأمر، و المحامي عنه، و الحريص عليه. و كان يعلم أنّه لم يكن هو المقصود بهذا الخطاب؛ لأنّه لم يكن يرى أنّه يعيش إلى ما بعد وفاة النّبي ﷺ ليكون وصيّه و وزيره و خليفته من بعده.

---

۱. الجمعه : ۴.

د. موقف أبي لهب

و لقد أدرک أبولهب مغزى تلك الدّعوة، و رأى أنّ الأمر قد بلغ مرحلـة الجـدّ، و ها هو يرى بأمّ عينيه معجزةً أخرى تضاف إلى الكثير ممّا رآه من معاجز و كرامـات للنّبيﷺ طيلة السّنوات الكثيرة الّتي عرف فيهـا النّبـيّﷺ و أحوالـه، فيـرى أنّ فخذ شاة و عساً من لبن، يكفي أربعين رجلاً، و أبولهب هو ذلک الرّجل الّذي يعرف أهداف هذا الدّين الّذي يبشّر فيـه محمّـدﷺ و أنّـه لا يقـيم وزنـاً لأي امتيـاز أو مكسب شخصي حصل عليه الإنـسان مـن طريـق الابتـزاز و الظّلـم، و سـائر أنـواع التعدّي و الإنحراف.

إذن، فلابدّ لأبي لهب بحسب منطقه اللّا منطقي أن يقف في وجه هذا الـدّين و يمنعه من تحقيق أهدافه بكلّ وسيلة ممكنة.

و لابدّ من تضييع الفرصة على النّبيﷺ، و ذلـک حفاظـاً علـي مـا يـراه أنّـه مصلحته أوّلاً، و ليرضي حقده و حسده الّذي يعتمل في صدره ثانيـاً؛ ذلـک الحقـد الّذي لا مبرّر له إلّا أنّه يرى في شخـصيّة النّبـيّ الأعظـمﷺ الـصّفات الحميـدة و الأخلاق الرزيّة و السّجايا الفاضلة، فإنّ ذلک يعتبر عنده ذنباً، و أي ذنب.

فبادر إلى المواجهة الصّريحة، والقبيحة، حيث استغلّ معجزة الطّعام الّتي يراهـا الجميع بـأمّ أعيـنهم، فرمـى النّبـيّ الأكـرمﷺ بالـسّحر و قـال: لَقَـدماً سـحركم صاحبكم، فتفرّق الجمع في اليوم الأوّل، و لم يستطع الرّسولﷺ أن يقول كلمتـه حتّى اليوم التّالي؛ حيث استطاع النّبيﷺ أن يصدع بما أمـره الله تعـالى و يقـيم عليهم الحجّة.

هـ. الإنذار أوّلاً

أنّهﷺ قد أمر من قِبَل الله تعالى بالإنذار أوّلاً لعشيرته، و كذلک الحال بالنسبة لغيرهم من سائر النّاس، كما جاء في سورة المدّثر، الّتي هي من العتائق النّازلة فـي أوائل البعثة: «قم فأنذر» مع أنّهﷺ قد أرسل مبشّراً و نذيراً، و مع أنّ القرآن هدى

و بشرى أيضاً؛ لأنّ النّاس لم يكونوا على واقع الفطرة و الغفلة و عدم الالتفات؛ بل كانوا في أوّل البعثة كفّاراً، معاندين، و منغمسين في الظّلم و الإنحراف إلى أبعد مدى؛ فلابدّ من إنذارهم أوّلاً؛ ليلتفتوا إلى عواقب ما هم عليه من واقع سيّء يعيشونه، و إلى العواقب المدمّرة و المرعبة، الّتي تنتظرهم نتيجة لذلك. و التفاتهم هذا، لسوف يؤثّر فيهم للتّطلّع، ثمّ الحركة نحو الخروج من ذلك الواقع و التّخلّص منه.

ثمّ يأتي بعد ذلك دور تخليص المجتمع من رواسبه، و من حركاته و أعماله و مواقفه السّيئة، على مستوى الفرد، و على مستوى الجماعة، و تطهيره من كلّ غريب و مريض. و هذا الّذي ذكرناه في أسلوب الإسلام في دعوته، هو التحرّك الطّبيعي لأيّة دعوةٍ تستهدف الإصلاح الجَذري،[1] والتّغلّب على مشاكل الحياة و التّخطيط لمستقبل مشرق سعيد.

---

١. الجَذر و الجِذر من كلّ شيءٍ: أصله.

الفصل الثّالث

حتّى الهجرة إلى الحبشة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فاصدع بما تؤمر

و بعد أن أنذرﷺ عشيرته الأقربين، و انتشر أمر نبوّته في مكّة، بدأت قريش تتعرّض لشخص النّبيﷺ بالاستهزاء و السخريّة و أنواع التّهم، إذ أنّهم قد عرفوا جدّيّة القضيّة و أدركوا أبعادها.

و كان لذلک الاستهزاء تأثير على إقبال النّاس على الدّخول في الإسلام، فاغتنم النّبيﷺ لذلک جداً، و اعتبر ذلک عائقاً في سبيل انتشار دعوته و أداء مهمّته.

فأنزل الله عليه قرآناً يأمره بإظهار الدّعوة و الطّلب من كلّ أحد، حتّى من جبابرة قريش و من جميع القبائل و الفئات، أن تُسلم لربّها، مشعوفاً ذلک بوعد أكيد، بأنّ الله سوف يكفيه المستهزئين، فيجب أن لا يهتمّ لهم، و أن يتجاهلهم، و ذلک حين نزل قوله تعالى:

«فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ».[1]

فامتثل النّبيﷺ أمر الله و أظهر دعوته و طلب من النّاس جميعاً أن يسلموا لربّهم و يقولون: إنّه قام على الحجر، فقال:

«يا معشر قريش، يا معشر العرب! أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلّا الله، و أنّي رسول الله و آمركم بخلع الأنداد و الأصنام؛ فأجيبوني تملكون بها العرب، و تدين لكم العجم، و تكونون ملوكاً في الجنّة.

---

١. الحجر: ٩۴ و ٩۵.

فاستهزؤوا به و قالوا: جنّ محمد بن عبدالله، و لم يجسروا عليه لموضع أبي طالب».[١]

و جاء أيضاً: أنّه ﷺ قام على الصّفا و نادى قريشاً،فاجتمعوا له، فقال لهم: أرأيتم لو أخبرتكم أنّ خيلاً في سفح هذا الجبل قد طلعت عليكم، أكنتم مصدّقي؟ قالوا: نعم، أنت عندنا غير متّهم و ما جربنا عليک كذباً قطّ. فقال: فإنّي «نَذِيرٌ لَكُمْ بَينَ يدَي عَذابٍ شَدِيدٍ»[٢] فنهض أبولهب، و صاح به: تبّاً لک سائر اليوم،[٣] ألهذا جمعت النّاس؟ و تفرّقوا عنه؛ فأنزل الله تعالى: «تَبَّتْ يدا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ» إلى آخر السورة.

المفاوضات الفاشلة

فلمّا بادي رسول الله ﷺ قومه بالإسلام و صدع به، أعظموه و ناكروه و أجمعوا على خلافه و عداوته، إلّا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام و هم قليل مستخفّون.

و حدب على رسول الله ﷺ عمّه أبوطالب، و منعه، و قام دونه، و مضى رسول الله ﷺ على أمر الله مَظهراً لا يردّه شيءٌ.

فلمّا رأت قريش أنّ رسول الله ﷺ لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه، من فراقهم و عيب آلهتهم، و رأوا أنّ عمّه أباطالب قد حدب عليه، و قام دونه، فلم يُسلّمه لهم، حاولوا مفاوضة أبي طالب و هذه المفاوضات – كما يرى ابن إسحاق و غيره – قد مرّت بثلاث مراحل، انتهت كلّها بالفشل الذّريع.

الأولى؛ إنّه مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب، فقالوا: يا أباطالب، إنّ

١. راجع: تفسير نورالثقلين، ج٣،ص٣٤،عن تفسير القمي.

٢. سبأ : ۴۶.

٣. مَثَلٌ؛ يقولون: أسائر اليوم و قد زال الظّهر،و هو مثلٌ في اليأس من الحاجة،أي أتطمع فيها بعد، و قد تبيّن لک اليأس

ابن أخيک قد سبّ آلهتنا، و عاب ديننا، و سفه أحلامنا، و ضلّل آباءنا؛ فإمّا أن تكفّه عنّا، و إمّا أن تخلّي بيننا و بينه؛ فإنّک على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيكه. فقال لهم أبوطالب قولاً رفيقاً، و ردّهم ردّاً جميلا، فانصرفوا عنه.

الثّانية: إنّهم رأوا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قد استمرّ على ما هو عليه، يُظهر دينه، و يدعوا إليه، حتّى شَرَى الأمر بينه و بينهم، و حتّى تباعد الرّجال، و تضاغنوا، و أكثرت قريش ذكر رسول الله صلّى الله عليه وآله بينها، ذهبوا إلى أبي طالب، فتهدّدوه: إن لم يكفّ ابن أخيه عن شتم آبائهم، و تسفية أحلامهم، و شتم آلهتهم، فلسوف ينازلونه و إيّاه، حتّى يهلک أحد الفريقين، ثم انصرفوا.

فأرسل أبوطالب إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله، فأخبره، و طلب إليه أن يبقى على نفسه و عليه، و لا يحمله ما لا يطيق. فظنّ أنّه قد بدى لعمّه فيه بداءٌ، و أنّه قد ضعف عن نصرته و القيام دونه، فقال له صلّى الله عليه وآله:

«يا عمّ! والله لو وضعوا الشّمس في يميني، والقمر في شمالي على أن أترک هذا الأمر حتّى يُظهره الله، أو أهلک فيه، ما تركته.»

فوعده أبوطالب النّصر.

الثّالثة: عرضوا علي أبي طالب أن يتّخذ «عمارةَ بن الوليد» ولداً له، و يسلّمهم النّبيّ صلّى الله عليه وآله الّذي فارق دين أبي طالب و دين آبائه، و فرّق جماعتهم و سفه أحلامهم، ليقتلوه؛ فإنّما هو رجلٌ برجلٍ.

فقال أبوطالب: والله، لبئس ما تسومونني، أتعطونني ابنكم آخذوه لكم، و أعطيكم ابني تقتلونه، هذا و الله ما لا يكون أبداً.

فقال المطعم بن عدي: والله يا أباطالب! لقد أنصفک قومک و جهدوا على التّخلّص ممّا تكرهه، فما أراک تريد أن تقبل منهم شيئاً.

فقال أبوطالب: والله ما أنصفوني، ولكنّک قد أجمعتَ على خذلاني، و مظاهرة القوم عليّ، فاصنع ما بدالک. أو كما قال: فحقب الأمر، و حميت الحرب، و تنابذ

القوم، و بادی بعضهم بعضاً.[1]

و ربّما تكون هذه المراحل متداخلة، أو مترتّبة؛ فإنّ ما ذكرناه لا يعدوا عن أن يكون فهماً منّا للسّير الطّبيعي للأحداث، لا أكثرو لا أقلّ.

ماذا بعد فشل المفاوضات؟

و بعد فشل المفاوضات، فقد ظهر لأبي طالب أنّ السّيل قد بلغ الزُّبي،[2] و أنّه علی وَشک الدّخول في صراع مكشوف مع المشركين؛ فلابدّ من الحذر، و الإحتياط للأمر؛ فجمع بني هاشم، و بني المطّلب و دعاهم إلی منع الرّسول، و القيام دونه. فأجابوه، و قاموا معه، باستثناء أبي لهب لعنه الله؛ و منع الله عزّوجلّ رسوله، فلم يكن لهم إلی أن يضرّوه في شَعرِه و بَشَرِه سبيلٌ، غير أنّهم يرمونه بالجنون، و السّحر، والكهانة، و الشّعر؛ والقرآن ينزل عليه ﷺ بتكذيبهم، و رسول الله ﷺ قائم بالحقّ، ما يثنيه ذلک عن الدّعاء إلی الله تعالی سرّاً و جهراً.

و ذلک لأنّ المشركين بعد أن أدركوا أنّ الاعتداء علی شخصه ﷺ سوف يتسبّب في صِراعٍ مسلّح لم يعدوا له عُدّته، و ليسوا علی يقين من أن تكون نتائجه لصالحهم، خصوصاً مع ما كان لبني هاشم من علاقات و أحلاف مع القبائل كحِلف المُطَيّبين[3] و حِلف عبدالمطّلب مع خزاعة الّتي كانت تَقطُن[1] خارج مكة . بل قد

---

۱. راجع: سيرة ابن هشام، ج ۱، ص ۲۸۲ – ۲۸۶ ، والبدء و التاريخ، ج ۴، ص ۱۴۷ و ۱۴۹ و تاريخ الطبري، ج ۲، ص ۶۵ – ۶۸.

۲. الزُّبي جمع زُبيَة و الزُّبيَة: الرّابية لا يعلوها ماءٌ و منه المثل: بلغ السيل الزُّبي، أي اشتدّ الأمر حتّی انتهی إلی غاية بعيدة.

۳. المتحالفون في حِلف المُطَيّبين هم بنو عبد مناف، و بنو أسد بن عبدالعزّي، و بنو زهرة بن كلاب، و بنو تيم بن مرة بن كعب، و بنو حارث بن فهد بن مالک بن النضر؛ تحالفوا علی أن لا يتخاذلوا و لا يسلّم بعضهم بعضاً ما بلّ بحرٌ صوفةً (يريد إلی الأبد، و صوف البحر: شيءٌ علی شكل الصّوف الحيواني، واحدته: صوفة) فأخرج بنو عبد مناف جفنةً مملوءةً طيباً، فيزعمون أنّ بعض

توجب هذه الحرب - لو نشبت -- التّمكين لمحمدﷺ من نشر دعوته.[٢]

فمن أجل كلّ ذلك آثر المشركون أن يبتعدوا عن الحرب، و يتّبعوا أساليب أخرى لتضعيف أمر محمّدﷺ و الوقوف في وجه دعوته فنجدهم:

أ.ينهون النّاس عن الالتقاء بالنّبيﷺ، و عن أن يسمعوا ما جاء به من قرآن.

قال تعالى: «وَ هُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَ يَنْأَوْنَ عَنْهُ»[٣].

و قال تعالى: «وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ»[٤].

ب. يتّبعون أسلوب السّخريّة و الاستهزاء، و إلصاق التّهم الباطلة بهدف:

١. التأثير على شخص النّبيّ الأعظمﷺ، عَلّه[٥] ينهزم نفسيّاً و جعله يعيش عقدة الحقارة و الضّعة فلربّما يتخلّى عن هذاالأمر،و يكذب نفسه.

٢. الحطّ من كرامة النّبيﷺ، و ابتذال شخصيّته، بهدف تنفير أصحاب النّفوس الضّعيفة من متابعته، و صرفهم عن الدّخول فيما جاء به.

و لهذا نجدهم يغرّون سفهاءهم بإيذائه و تكذيبه، و أحياناً كان يتولّى ذلك منه سادتّهم و كبراؤهم، بل لقد رأيناهم يأمرون غلاماً منهم بأن يلقي عليه سَلي[٦]

نساء بني عبد مناف أخرجتها لهم، فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة، ثمّ غمس القوم أيديهم فيها، فتعاقوا و تعاهدوا، هم و حلفائهم، ثمّ مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم، فسمّوا المطيّبين (سيرة ابن هشام، ج ١، ص ١٣٨ - ١٣٩).

١. قَطَنَ في المكان و به قُطوناً: أقام فيه و توطّنه.

٢. و يروي بعض المحققين أنّ من المحتمل أنّ أباطالب كان يستعمل أسلوب اللّين تارة و الشدّة أخرى؛ بهدف إثارة حرب كهذه، تهدف إلى تمكين النّبيﷺ من نشر دعوته.

٣. الأنعام: ٢٦.

٤. فصلّت: ٢٦.

٥. عَلّ فلاناً: سقاه ثانية أو تباعاً.

٦. السّلي: الجلدة الّتي يكون فيها الولد من النّاس و المواشي.

جزوروفرثه، و هو قائم يصلّي، فيلقيه بين كتفيه، فيغضب أبوطالب، و يأتي فيمرّ السّلي على سبالهم[۱] جميعاً و قد ألقى الله الرّعب في قلوبهم.[۲]

و كانوا أيضاً يلقون عليه التّراب[۳]، و رَحِمَ الشّاة،[۴] و غير ذلک و قد أثّر ذلک إلى حدّ ما في صرف النّاس، و إبعادهم عن الدّخول في الإسلام، حتّى ليقول «عروة بن زبير» و غيره: «وكرهوا ما قال لهم، و أغروا به مَن أطاعهم؛ فانصفق عنه[۵] عامّة النّاس.».[۶]

المعذّبون في مكّة

كما أنّهم قد تذامروا[۷] بينهم على من في القبائل منهم، من أصحاب رسول الله ﷺ الّذين أسلموا معه؛ فو ثبت كلّ قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذّبونهم، و يفتنونهم عن دينهم، و يعذّبونهم بالحبس و الضّرب و الجوع و برمضاء مكّة و بغير ذلک من الأساليب الوحشيّة و اللّا انسانيّة.

فعذّب عمرُ بن الخطّاب – الّذي أسلم قبيل الهجرة – جاريةَ بني مؤمّل (حي من بني عدي) و كانت مسلمة، فكان يضربها، حتّى إذا ملّ،[۸] قال: إنّي أعتذر إليک،

---

۱. السّبال جمع سَبَلة، و السَّبَلة محركة، الدائرة في وسط الشّفة العليا و قيل: ما على الشّارب من الشّعر و قيل مجتمع الشّاربين.

۲. راجع: البداية و النهاية، ج ۳، ص ۱۳۴.

۳. راجع: السيرة الحلبيّة، ج ۱، ص ۲۹۱ و ۲۹۲، و السيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبيّة)، ج ۱، ص ۲۰۸ و ۲۰۲ و ۲۳۱.

۴. راجع: البداية و النهاية، ج ۳، ص ۱۳۴.

۵. انصفق: انصرف و ارتدّو رجع.

۶. تاريخ الطبري، ج ۲، ص ۶۸.

۷. التّذامر: التّحاضّ على القتال.

۸. ملّ فلان: أصابه الملال، و الملال: السّامة و الضّجر و هو فتور يعرض للإنسان من كثرة مزاولة شيء، فيوجب الكلال و الإعراض عنه.

إنّي لم أترككِ إلّا ملالة.[1]

و عذّب المشركون أيضاً خبّاب بن الأرتّ، و أمّ شريك، و مصعب بن عمير، و بلال الحبشي و عامر بن فهيرة و كذلک آل ياسر، أشدَّ العذاب، بحيث استشهدت سميّةُ أمّ عمّار علي يد فرعون قريش أبي جهل لعنه الله، فكانت أوّل شهيدة في الإسلام،[2] ثم استشهد ياسر(رحمه الله). و عُذّب عمّار أيضا عذاباً شديداً من قِبَل بني مخزوم، حتّى أكره على التّفوّه بما يعجب المشركون، فتركوه، فأتى النّبيﷺ باكياً و قال له: لم أترک يا رسول الله، و قد أكرهوني حتّى نلت منک و ذكرتُ آلهتم بخير. فقال له النّبيﷺ: كيف تجد قلبک يا عمّار؟ قال: إنّه مطمئنّ بالإيمان يا رسول الله. قال: لا عليک فإن عادوا إليک فعُد لما يريدون؛ فقد أنزل الله فيک: «إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمانِ».[3]

و قد ضرب هؤلاء لنا المثل الأعلى في الصّمود و الجهاد من أجل المبدأ و العقيدة مع معرفتهم بأنّهم لا يملكون قوّة تستطيع أن تردّ عنهم، غير إرادة الله تعالي، و أنّهم إنّما يتّحدون بإسلامهم العالم كلّه، الّذي كان بكلّ ما فيه ضدّهم.

و هنا تَكمُن عظمتهم،[4] و هذا هو سرّ امتيازهم على غيرهم.

---

١. سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٣٤١، و السيرة الحلبيّة، ج ١، ص ٣٠٠، و راجع: السيرة النبويّة لابن كثير، ج ١، ص ٤٩٣، و المحبر، ص ١٨٤. و لعلّ بني مؤمّل قد سمحوا لعمر بن الخطاب أن يتولّي تعذيب جاريتها و إلّا فإنّ وضعه الاجتماعي لم يكن يسمح له بأمرٍ من هذا القبيل.

٢. الاستيعاب (هامش الاصابة)، ج ٤، ص ٣٣١ و ٣٣٠ و ٣٣٢، و الاصابة، ج ٤، ص ٣٣٥ و ٣٣٤، و السيرة النبوية لابن كثير، ج ١، ص ٤٩٥ و أسد الغابة، ج ٥، ص ٤٨١، و تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٨.

٣. النحل: ١٠٦.

٤. كمن الرّجل: توارى و استخفى.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الرّابع

هجرة الحبشة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لابدّ من حلٍّ

لقد استمرّت قريش في تعذيب من يدخل دين الإسلام ممّن لم يكن لهم عشيرة تمنعهم. و كان الاستمرار في هذا الوضع غير ممكن.

و من جهة ثانية، فإنّ استمرار هذا الوضع الّذي يواجهه المسلمون، المليء بالآلام و المشاقّ، لسوف يقلّل من إقبال النّاس على الدّخول في الإسلام، مادام أنّ هذا الدّخول لا حصاد له سوى الرّعب و التّعذيب و المصائب.

و من جهة ثالثة، فقد كان لابدّ من تسديد ضربة لكبرياء قريش و جبروتها — ولو نفسيّاً — لتدرك أنّ قضيّة الدّين تتجاوز حدود تصوّراتها و قدراتها، و أنّ عليها أن تفكّر بموضوعيّة و عقلانيّة أكثر؛ فكان أن اختار رسول الله صلّى الله عليه وآله للمسلمين الهجرة إلى الحبشة.

سرّ اختيار الحبشة

و أمّا عن سرّ اختيار رسول الله صلّى الله عليه وآله الحبشة مهاجراً للمسلمين، فقد أشار إليه بقوله: «إنّ بها مَلِكاً لا يُظلم عنده أحدٌ و هي أرض صدق» و «إنّه يحسن الجوار».

و قد كان من الواضح أنّه.

١. كان لابدّ لقريش من أن تبذل محاولاتها لاسترجاع المسلمين، لتبقى هي المهيمنة و صاحبة الاختيار الأوّل و الأخير في مصير هذا الدّين، الّذي تراه يتهدّد كبرياءها و شركها و إنحرافها.

٢. لقد كان لقريش نفوذ في بلاد الرّوم و الشّام، لما كان لها من علاقات تجاريّة و اقتصادية معها. فالهجرة إلى هذا البلاد إذن سوف تسهّل على قريش استرجاع المهاجرين، أو على الأقل، إلحاق الأذى بهم؛ و لا سيّما إذا كان ملوك تلك البلاد لا يلتزمون بأي من الأصول الأخلاقيّة و الإنسانيّة، و لم يكن لديهم مانع من ممارسة أي نوع من أنواع الظّلم و الجور، و على الأخصّ بالنّسبة لمن ينتسب إلى دعوة يرون أنّها تضرّ بمصالحهم الشّخصيّة و تهدّد كيانهم و جبروتهم.

و أمّا بلاد اليمن، و بعض المناطق العربيّة و القبليّة الأخرى، فقد كانت تحت نفوذ النّظام الفارسي، المتجبّر و الظّالم.

و يذكر هنا: أنّ بعض القبائل عند ما عرض عليها النّبيّ ﷺ دعوته و طلب منها حمايتها له، قبلت بذلك، و لكن ممّا دون كسرى، أمّا من كسرى فلا.[1]

٣. قد كان لقريش نفوذ قويّ في مختلف القبائل العربيّة، حتّى ما كان منها تحت نفوذ الفرس و الرّوم.

٤. ما ذكره النّبيّ ﷺ من أنّ بها ملكاً لا يظلم عنده أحدٌ، فإنّ كلّ ذلك يجعلنا نضع أيدينا على السرّ الحقيقي لاختيار بلاد الحبشة، البعيدة عن النّفوذ الفارسي و الرّومي و القريشي، و الّتي لا يمكن لقريش أن تصل إليها على ظهر جواد أو راحلة، و إنّما بالسّفن عبر البحار، و لم تكن قريش تعرف حرب السّفن. فاختار رسول الله ﷺ هذه البلاد بالذّات لتكون أرضاً لهجرة المسلمين، الّذين لا يزالون ضعافاً أمام قوّة قريش وجبروتها.

ثمّ انّنا نستفيد من قوله ﷺ عن أرض الحبشة: «إنّها أرض صدق» أنه قد كان فيها شعبٌ يعيش على الفطرة و يتعامل بالصّدق و الصّفاء، و ربّما كان النّاس في تلك المنطقة أقرب من غيرهم إلى الالتزام بما تبقى لديهم من تعاليم السّيد المسيح عليه السلام ، كما ربّما يستفاد ممّا جرى لجعفر مع مَلِك الحبشة في أمر

---

١. راجع: السيرة الحلبيّة، ج ٢، ص ۵ و ص ١۶، و السيرة النبوية لابن كثير، ج ٢، ص ١۶٨.

عيسىعليه‌السلام، فيمكن لهؤلاء الثلّة من المسلمين المهاجرين أن يعيشوا مع هؤلاء النّاس و أن يتعاملوا معهم، لا سيّما و أنّها بلاد لم يكن فيها من الإنحرافات و الأفكار و الشّبهات ما كان في بلاد الرّوم و الفرس، فكانت أقرب إلى الفطرة و ألحق من غيرها.

الهجرة إلى الحبشة

و هاجر المسلمون بأمرٍ من رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله إلى الحبشة؛ ذهبوا إليها أرسالاً على حسب رواية أمّ سلمة. [1] و يقال:

إنّه سافر أوّلاً عشرة رجالٍ و أربع نساء عليهم عثمان بن مظعون[2]، ثمّ خرج آخرون حتّى تكاملوا في الحبشة ثنين أو ثلاثاً و ثمانين رجلاً، إن قلنا إنّ عمّار بن ياسر كان معهم، و تسع عشرة إمرأة عدا الأطفال.

و قد كانت هذه الهجرة في السّنة الخامسة من البعثة كما نصّ عليه عامّة المؤرّخين، و لكن عند الحاكم: أنّ هجرة الحبشة قد كانت بعد وفات أبي طالب،[3] و هو إنّما توفّى في السّنة العاشرة من البعثة. إلّا إذا كان الحاكم يتحدّث عن هجرة جديدة قام بها بعض المسلمين في هذا الوقت، لعلّها عودة الرّاجعين إلى مكّة هو سماعهم بالهدنة، ففوجئوا بالعكس، فعادوا أدراجهم، و لكنّنا لا نملك شواهد تؤيّد أنّ ذلك كان في تلك السّنة بالذّات.

---

۱. السيرة النبوية لابن كثير، ج ۲، ص ۱۷، البداية و النهاية، ج ۳، ص ۷۲، تاريخ الخميس، ج ۱، ص ۲۹۰.

۲. سيرة ابن هشام، ج ۱، ص ۳۴۵، و السيرة النبوية لابن كثير، ج ۲، ص ۵، و البداية و النهاية، ج ۳، ص ۶۷ و السيرة الحلبيّة، ج ۱، ص ۳۲۴ قال: و به جزم ابن المحدّث في سيرته، و تاريخ الخميس، ج ۱، ص ۲۸۸.

۳. مستدرک الحاكم، ج ۲، ص ۶۲۲.

و كيف كان فإنّنا نقول: إنّنا نرجّح أنّه لم يكن سوى هجرة واحدة للجميع، عليها جعفر بن أبي طالب عليه السلام، الّذي لم يكن غيره من بني هاشم، فلم يكن ثمّة هجرتان، عشرة أوّلاً، ثمّ الباقون ثانياً، و إن كان خروجهم إنّما كان أرسالاً حفاظاً على عنصر السّريّة، و ذلك بدليل الرّسالة الّتي وجّهها الرّسول ﷺ إلى ملك الحبشة مع عمرو بن أميّة الضّمري، و الّتي جاء فيها: «قد بعثت إليكم ابن عمّي جعفر بن أبي طالب، معه نفر من المسلمين، فإذا جاؤوك فأقرهم...».[1]

و هذا هو الظّاهر من رواية أخرى عن أبي موسى، قال: «أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق. جعفر بن أبي طالب إلى أرض النّجاشي...»[2] و إن كانت هجرة أبي موسى هذه محلّ شك، فإنّه لم يسلم إلّا في المدينة في السّنة السّابعة من الهجرة.

و نعتقد أنّ هجرة جعفر إلى الحبشة لم تكن بسبب تعرّضه للتّعذيب من قِبَل قريش، فقد كانت قريش تخشى مكانة أبي طالب و تراعي جانبه و جانب بني هاشم بصورة عامّة؛ و إنّما أرسله النّبي ﷺ مع المهاجرين ليكون أميراً عليهم، و مدبّراً لأمورهم، و مشرفاً على شؤونهم و مصالحهم، و حافظاً من أن يذوبوا في هذا المجتمع الجديد، كما كان الحال بالنّسبة إلى ابن جحش الّذي تنصر في الحبشة.

محاولة قريش اليائسة

و بعد أن صَحا[3] مشركو مكّة من عنف الصّدمة و رأت قريش استقرارهم في

---

۱. البداية و النهاية، ج ۳، ص ۸۳، و البحار، ج ۱۸، ص ۴۱۸، و إعلام الورى، ص ۴۵ ــ ۴۶ عن قصص الأنبياء.

۲. البداية و النهاية،ج ۳،ص ۷۰ عن ابن نعيم في الدلائل، و السيرة النبوية لابن كثير، ج ۲، ص ۱۱.

۳. صَحَى السُكرانُ: ذهب سكره و أفاق؛ يقال: صحى من سكره و فلان: ترک الصِّبا و الباطل. و العُنف: ضدّ الرّفق.

الحبشة و أمنهم، ائتمرت فيما بينها و قرّرت إرسال رجلين من قِبلها إلى الحبشة لاسترداد المهاجرين، و وقع اختيارهم على عمرو بن العاص،[1] فأرسلو هما إلى النّجاشي بهدايا له و لبطارقته.[2] و ادّعيا أمام النّجاشي أنّه قد ضَوي[3] إلى بلدک منّا غلمان سفهاء فارقوا دينهم و لم يدخلوا في دينک، و جاؤوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن و لا أنت، و قد بَعَثنا إليک فيهم أشراف قومهم من آبائهم و أعمامهم و عشائرهم لتردّهم إليهم... .

فرفض تسليمهم إليهم حتّي يسئلهم عن صحّة ما جاء به عمرو و عمارة. فجاء المسلمون، فسئلهم. فقال جعفر:

«أيّها الملک! كنّا قوماً أهل جاهليّة، نعبد الأصنام، و نأكل الميتة، و نأتي الفواحش، و نقطع الأرحام، و نسيء الجوار، و يأكل منّا القوي الضعيف، فكنّا على ذلک، حتّي بعث الله إلينا رسولاً منّا، نعرف نسبه و صدقه و أمانته و عفافه، فدعانا إلى الله لنوحّده و نعبده و نخلع ما كنّا نعبد نحن و أباؤنا من دونه من الحجارة و الأوثان، و أمرنا بصدق الحديث، و أداء الامانة، و صلة الرّحم، و حسن الجوار، و الكفّ عن المحارم و الدّماء؛ و نهانا عن الفواحش، و قول الزّور، و أكل مال اليتيم، و قذف المحصنات؛ و أمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرک به شيئاً، و أمرنا بالصّلاة، و الزّكاة و الصّيام و... ».[4]

---

۱. و قيل: على عمارة بن الوليد.

۲. البطارقة: جمع بطريق و البطريق: القائد من قوّاد الرّوم، تحت يده عشرة آلاف رجل.

۳. ضوى إليه: انضمّ إليه و لجأوأوى، و فلانٌ: أتى ليلاً.

۴. ذكرت الزّكاة و الصّيام في مختلف المصادر، فراجع: سيرة ابن هشام، ج ۱، ص ۳۶۰، و السيرة النبوية، لابن كثير، ج ۲، ص ۲۱، و الكامل لابن الاثير، ج ۲، ص ۸۰ (و لم يذكر الزكاة) و إعلام الورى، ص ۴۴ (و لم يذكر الصيام) و البداية و النهاية، ج ۳، ص ۷۴ و تاريخ الخميس، ج ۱، ص ۲۹۰ ، و حلية الأولياء، ج ۱، ص ۱۱۴، و السيرة الحلبيّة، ج ۱، ص ۳۴۰.

قد شكّک البعض في صحّة هذه الرّواية، و ذلک لذكر الصّيام فيها، و هو إنّما شرع في المدينة

و قرأ عليه جعفر بعض سورة الكهف، فبكى النّجاشي حتّى اخضلّت لحيته و كذلک أساقفته. ثمّ قال: إنّ هذا والّذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة؛ انطلقا. فو الله لا أسلّمهم إليكما، و لا يكادون.

ثمّ غدا عمرو في اليوم التّالي ليخبر النّجاشي بأنّ المسلمين يقولون: إنّ عيسى بن مريم عبدٌ؛ فأرسل إليهم، فسئلهم، فقال له جعفر: نقول فيه الّذي جاء به نبيّنا صلى الله عليه وآله هو عبدالله و رسوله، و روحه، و كلمته الّتي ألقاها إلى مريم العذراء البتول. فتناول النّجاشي عوداً و قال: والله، ماعدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود.

فتناخرت بطارقته،[1] فقال: و إن نخرتم، اذهبوا فأنتم شيوم[2]، مَن سبّكم غرم – قالها ثلاثاً – ما أحبّ أنّ لي دَبراً[3] من ذهب و أنّي آذيت رجلاً منكم، ثمّ ردّ هدايا قريش.[4]

قريش و خططها المستقبليّة

حقّاً لقد كانت هجرة المسلمين إلى الحبشة ضربةً قاسيةً لقريش، أفقدتها

(ذكره أحمد أمين في فجر الاسلام، ص ۷۶ و لعلّه اقتبسه من السيرة الحلبيّة، ج ۱، ص ۳۳۹) و لكنّه كلام باطل؛ فإنّ الصّيام و الزّكاة و غير ذلک كلّه قد شرع في مكّة. و منشأ هذه التّحقيقات الرّشيقة!! لأحمد أمين و من هم على شاكلته، إنّما هو التّشكيک في موقف يُظهر بطولة جعفر، و جرأته و حكمته و عقله و درايته. و قد ابتلى جعفر بمثل هذا الإجحاف في حقّه في مورد آخر، و هو كونه الأمير الأول في غزوة مؤته – كما سيأتي – فإنّ لهم اهتماماً خاصّاً في إبعاد جعفر عن هذا المقام و التّأكيد على أنّ الأمير الأول هو زيد بن حارثة. كلّ ذلک من أجل أخوّته لعلي عليه السلام و قرابته منه.

۱. تناخرت بطارقته: تكلّمت و كأنّه كلام مع غضب و فتور. و نخر الأنسان و الحمار و الفرس: مدّ الصوت و النّفس في خياشيمه.

۲. أي آمنون.

۳. الدّبر: الجبل.

۴. راجع المصادر المتقدمة.

صوابها و زعزعت وجودها و كيانها؛ فحاولت أن تتدارک الأمر، فلحقت بهم بهدف إرجاعهم و إبقائهم تحت سلطتها و لكن بعد فوات الأوان.

و كان أن اضطرّت قريش للمرّة الأولى لمراجعة حساباتها من جديد، بعد أن أدركت أنّزمام المبادرة لم يعد بيدها، و ذلک لأنّها:

١. أدركت أنّ الاستمرار في تعذيب المسلمين – الّذين أصبحوا متفرّقين في مختلف القبائل – لم يعدله كبير جدوى و لا جليل أثر، إن لم يكن سبباً في إثارة حرب داخليّة، تكون عواقبها السّيئة على سمعتها و كرامتها كبيرة و خطيرة.

٢. رأت أنّ محمداً صلى الله عليه وآله يريد أن تكون دعوته إنسانيّة عالميّة، لا تختصّ بعرب مكّة و الحجاز، و أدركت أنّ هجرة هؤلاء إلى الحبشة لم تكن متمحضّة في الهروب من التّعذيب، لانّ الكثيرين من هؤلاء لم يكن ممن يعذّب.

٣. ترى أنّ معنى هجرة المسلمين هذه، و خروجهم من تحت سلطتها، هو أنّها سوف تكون أمام مواجهة شاملة، و أنّ مصالحها في معرض التّهديد و البوار.

إذن فإنّ وجود المسلمين – و هم من قريش – في الصّميم في منطقة بعيدة عن نفوذ القرشيّين و سلطانهم، و في ملجأ أمين، و منطلق مطمئن، ليشكل أعظم الأخطار على قريش و مصالحها؛ الأمر الّذي يحتم عليها التّريث[1] و الصّبر، و أحكام التّدبير، لا سيّما و أنّها لا تجد إلى تصفية النّبيّ صلى الله عليه وآله جسدياً حيلةً، و لا إلى إسكاته سبيلاً، ما دام في حمايةشيخ الأبطح، أبي طالب عليه السلام و الهاشميّين، عدا أبي لهب. فأرسلت إلى النّجاشي ممثّلين عنها لاسترداد المهاجرين، فرجعها إليها بالفشل الذّريع و الخيبة القاتلة؛ فأفقدها ذلک صوابها و أصبحت تتصرّف بدون وَعي و لا تدبّر، فعدت من جديد على من تبقي من المسلمين بالعذاب و التّنكيل، و جعلت تتعرض للنّبي صلى الله عليه وآله بالسّخريّة و الاستهزاء، و الاتّهام بالجنون و السّحر و الكهانة و بأنواع مختلفة من الحرب النفسيّة و الأذى.

---

١. تَرَيّثَ: أبطأ، و الرّيث: مقدار المهلة من الزّمان.

عودة بعض المهاجرين

و تسرّبت[١] أنباء الهدنة القصيرة و العفويّة غير المعلنة الّتي حصلت في مكّة إلى مسامع المسلمين في الحبشة، و رأى المسلمون ما جرى للنّجاشي بسببهم،[٢] فارتأى فريق منهم العودة إلى مكّة، بعد شهرين، أو ثلاثة أشهر، و عاد منهم أكثر من ثلاثين رجلاً، و دخل عثمان بن مظعون بجوار الوليد بن المغيرة، و كان ما كان من ردّه جوارَه و رضاه بجوار الله تعالى.

نعم، هذا هو السرّ في رجوع بعض المهاجرين من الحبشة، و ليس ما ذكره أعداء الإسلام من قصّة الغرانيق الّتي لا شكّ في كذبها.[٣]

---

١. تسرّب: دخل و انتشر.

٢. كان وجود المسلمين في الحبشة قد تسبّب للنّجاشي ببعض المتاعب؛ حيث اتّهمه أهل بلاده بأنّه خرج من دينهم، فثاروا عليه؛ ولكنّه استطاع أن يخمد الثورة بحسن إدراكه و وعيه (راجع: تاريخ الإسلام للذّهبي، ج ٢، ص ١٣٦، و السيرة النبوية لابن هشام، ج ١، ص ٣٦٥، و البداية و النهاية، ج ٣، ص ٧٧).

٣. ملخّص هذه القضيّة المكذوبة: أنّه بعد أن هاجر المسلمون إلى الحبشة بحوالي شهرين، جلس رسول الله ﷺ مع المشركين، فأنزل الله تعالى عليه سورة النّجم، فقرأها، حتّى إذا بلغ قوله تعالى: «أفرأيتم اللّات و العزّى و مناة الثالثة الأخرى" وسوس إليه الشّيطان بكلمتين، فتكلم بهما ظانّاً أنّهما من جملة الوحي و هما: «تلك الغرانيق (جمع غرنوق: طيور الماء. شبهت الأصنام بها لارتفاعها في السّماء فتكون الأصنام مثلها في رفعة القدر؛ والغرنوق أيضا: الشّاب الأبيض النّائم) العلى و أنّ شفاعتهن لترتجى". ثمّ مضى في السّورة، حتّى إذا بلغ السّجدة، سجد و سجد معه المسلمون و المشركون. و أضاف البخاري سجود الإنس و الجنّ إلى مجموع المسلمين و المشركين، و طار الخبر في مكّة و فرح المشركون، بل و يقال: إنّهم حملوا الرّسول، و طاروا به في مكّة من أسفلها إلى أعلاها... .

و يقولون: إنّه لمّا سمع المسلمون في الحبشة بالسّلام و الوئام (الوئام: الوفاق) بين النّبي ﷺ و قريش عادت طائفة منهم إلى مكّة، فوجدوا الأمر على خلاف ذلك.

و نحن نعتقد جازمين بكذب هذه القضيّة و افتعالها، و يشاركنا في هذا الاعتقاد جمع من العلماء، فقد قال محمد بن إسحاق حين ما سئل عنها: «هذا من وضع الزّنادقة» و صنّف في تفنيدها كتاباً (راجع: البحر المحيط لأبي حيّان، ج ٦، ص ٣٨١). و قال القاضي عبدالجبّار عن هذا الخبر: «لا أصل له، و مثل ذلك لا يكون إلّا من دسائس الملحدة» (تنزيه القرآن عن المطاعن، ص ٢٤٣).

الفصل الخامس

في شعب أبي طالب عليه‌السلام

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المقاطعة

لمّا رأت قريش عزّة النّبيّ ﷺ بمن معه و عزّة أصحابه في الحبشة و فشو الإسلام في القبائل، و أنّ جميع جهودها في محاربة الإسلام قد باءت بالفشل، حاولت أن تقوم بتجربة جديدة، و هي الحصار الاقتصادي و الاجتماعي ضدّ الهاشميين، و أبي طالب؛ فإمّا أن يرضخوا[1] لمطالبها في تسليم محمّد لها للقتل، و إمّا أن يتراجع محمد ﷺ نفسه عن دعوته، و إمّا أن يموتوا جوعاً و ذلّاً، مع عدم ثبوت مسؤوليّة محدّدة على أحد في ذلك، يمكن أن تجر عليهم حربا أهليّة، ربّما لا يمكن لأحد التّكهن[2] بنتائجها و عواقبها السيّئة.

فكتبوا صحيفة تعاقدوا فيها على عدم التّزوّج و التّزويج لبني هاشم و بني المطّلب، و أن لا يبيعوهم شيئاً، و لا يبتاعوا منهم، و أن لا يجتمعوا معهم على أمرٍ من الأمور، أو يسلّموا لهم رسولَ الله ﷺ ليقتلوه.

و قد وقع على هذه الصّحيفة أربعون رجلاً من وجوه قريش و ختموها بخواتيمهم، و علّقت الوثيقة في الكعبة مدّة و يقال: أنّهم خافوا عليها السّرقة؛ فنقلوها إلى بيت أمّ أبي جهل.[3]

---

١. رضخ له من ماله: أعطاه و راضخ الشيء: أعطاه كارهاً.

٢. كهن له كهانةً: قضى له بالغيب وحدّث به.

٣. هكذا جاء في بعض الرّوايات في البحار، ج ١٩، ص ١٦ عن الخرائج و الجرائح و لا يهمّنا تحقيق هذا الامر.

و كان ذلک في سنة سبع من البعثة على أشهر الرّوايات، و قيل ستّ.

و أمر أبوطالب بني هاشم أن يدخلوا برسول الله ﷺ الشّعب – الّذي عُرِّف بشعب أبي طالب – و معهم بنو المطّلب بن عبد مناف باستثناء أبي لهب لعنه الله و أخزاه.[1]

و استمرّوا فيها إلى السنّة العاشرة، و وضعت قريش عليهم الرّقباء حتّى لا يأتيهم أحدٌ بالطّعام، و كانوا ينفقون من أموال خديجة و أبي طالب، حتّى نفدت، حتّى اضطرّوا إلى أن يقتاتوا[2] بورق الشّجر.

و كان صِبيَتُهم يتضاغون جوعاً،[3] و يسمعهم المشركون من وراء الشّعب، و يتذاكرون ذلک فيما بينهم، فبعضهم يفرح، و بعضهم يتذمّم[4] من ذلک.

و لم يكونوا يجسرون على الخروج من الشّعب إلّا في موسم العمرة في رجب، و موسم الحجّ في ذي الحجّة، فكانوا يشترون حينئذٍ و يبيعون ضمن ظروف صعبة جدّاً، حيث أنّ المشركين كانوا يلتقون بكلّ من يقدم مكّة أوّلاً، و يطمعونه بمبالغ خياليّة ثمناً لسلعته، بشرط أن لا يبيعها للمسلمين.

و كان أبو لهب هو رائدهم في ذلک، فكان يوصي التّجار بالمغالاة عليهم، حتّى لا يدركوا معهم شيئاً، و يضمن لهم، و يعوّضهم من ماله كلّ زيادة تبذل لهم؛ بل لقد كان المشركون يتهدّدون كلّ من يبيع المسليمن شيئاً بنهب أمواله، و يحذّرون كلّ قادم إلى مكّة من التّعامل معهم، يريدون بذلک أن يدركوا سفک دم رسول الله ﷺ.[5]

---

١. و قيل: إنّ أبا سفيان بن حارث أيضاً لم يدخل الشّعب معهم، و لكنّه قول نادر، و الأكثر على الاقتصار على أبي لهب لعنه الله.

٢. اقتات الحبوب: اتّخذها قوتاً.

٣. تضاغي مِنَ الطّوَى: تضوّر من الجوع و صاح.

٤. تذمّم الرّجل: استنكف.

٥. البداية و النهاية، ج ٣، ص ٨٤.

و قد استمرّت هذه المحنة سنتين أو ثلاثاً، و كان أميرالمؤمنين عليه السلام أثناءها يأتيهم بالطّعام سرّاً من مكّة، من حيث يمكن، و لو أنّهم ظفروا به لم يبقوا عليه، كما يقول الإسكافي و غيره.[١]

و كان أبوطالب كثيراً ما يخاف على النّبي صلى الله عليه وآله البيات، فإذا أخذ النّاس مضاجعهم، اضطجع النّبي صلى الله عليه وآله على فراشه، حتّى يرى ذلك جميع مَن في الشّعب، فإذا نام النّاس، جاء و أقامه، و أضجع ابنه عليّاً مكانه.[٢]

أموال خديجة و سيف علي عليه السلام

من المعروف أنّ الإسلام قد قام بسيف علي[٣] عليه السلام و بأموال خديجة عليها السلام الّتي انفقتها في سبيل الله؛ فهل معنى ذلك أنّ خديجة كانت ترشو النّاس من أجل أن يدخلوا في الإسلام؟

و هل يمكن العثور على مورد واحد من هذا القبيل في التاريخ؟!

لعلّك تقول: إنّ النّبي صلى الله عليه وآله كان يتألّف كثيرين على الإسلام، فيعطيهم الأموال ترغيباً لهم في ذلك، و قضيّة غنائم حنين – الآتية إن شاءالله – أوضح دليل على ذلك، و لا يجهل أحدٌ سهم المؤلّفة قلوبهم في الإسلام.

و الجواب: أنّ هذا ليس معناه أنّهم كانوا يأخذون الرّشوة على الإسلام؛ و إنّما يريد الإسلام لهؤلاء أن يعيشوا في الأجواء الإسلاميّة و يتفاعلوا معها، و ينظروا لها نظرة سليمةً؛ فكان هذا المال المعطي لهم يساعد على التّغلّب على تلك الحواجز

---

١. شرح النهج للمعتزلي، ج ١٣، ص ٢٥٦.

٢. المصدر المتقدم، و الغدير، ج ٧، ص ٣٥٧ – ٣٥٨ عن كتاب الحجّة لابن معد.

٣. كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

لا فتى إلّا علي   لا سيف إلّا ذوالفقار

و سيأتي في غزوتي بدرٍ و أحد.

الوهميّة في أكثرها، و يجعلهم يعيشون في الأجواء و المناخات الإسلامية، و يتعرّفون على خصائص الإسلام و أهدافه؛ و لتحصل لهم من ثَمّ القناعات الوجدانيّة و الفكريّة بأحقّية الإسلام و سمُوِ أهدافه.

و أمّا أموال خديجة، فلم تكن تُعطي كرشوة على الإسلام، و لا كانت تنفق على المؤلّفة قلوبهم؛ و إنّما كانت تسدّ رمق ذلک المسلم، الّذي يعاني أعظم المشاقّ و الآلام، في سبيل إسلامه و عقيدته؛ هذا المسلم، الّذي لم تتورّع قريش عن محاربته بكلّ ما تملكه من أسلحة لا انسانيّة و لا اخلاقيّة، حتّى بالفقر و الجوع.

فكانت تلک الأموال تسدّ رمق مَن يتعرّض للأخطار الكبيرة، و تخدم الإسلام عن هذا الطّريق؛ و هذا معنى قولهم: «إنّ الإسلام قام بأموال خديجة». فإنّ أموالها، الّتي أنفقت في المقاطعة، كانت في غالبها، من النّوع الّذي يمكن الانتفاع به في سدّ رمق الجائع، و كسوة العاري؛ و أمّا ما سواه، فلربّما لم يتعرّض لذلک، بسبب عدم القدرة على البيع و الشّراء في غالب الأحيان.

نقض الصّحيفة

و بعد ثلاث سنوات تقريباً من الحصر في الشّعب، أخبر النّبيّ ﷺ عمّه أباطالب بأنّ الأَرَضَةَ[1] قد أكلت كلّ ما في صحيفتهم من ظلم و قطيعة رحم و لم يبق فيها إلّا ما كان اسماً لله.

فخرج أبوطالب من شعبه و معه بنوهاشم إلى قريش. فقال المشركون: الجوع أخرجهم. و قالوا له: يا أباطالب، قد آن لک أن تصالح قومک. قال: قد جئتكم بخير؛ ابعثوا إلى صحيفتكم، لعلّه أن يكون بيننا و بينكم صلح فيها. فبعثوا، فأتوا بها، فلمّا وضعت و عليها أختامهم، قال لهم أبوطالب: هل تنكرون منها شيئاً؟ قالوا: لا . قال:

---

۱. الأَرَضَة: دُوَيبة تأكل الخشب.

إنّ ابن أخي حدّثني و لم يكذبني قطّ: أنّ الله قد بعث على هذه الصّحيفة الأرَضَة، فأكلت كلّ قطيعة و إثم، و تركت كلّ اسم هو للّه؛ فإن كان صادقاً أقلعتم عن ظلمنا، و إن يكن كاذباً ندفعه إليكم فقتلتموه.

فصاح النّاس: أنصفتنا يا أباطالب، ففتحت، ثمّ أخرجت، فإذا هي كما قال صلّى الله عليه وآله، فكبّر المسلمون، وَ امتُقِعَت[1] وجوه المشركين. فقال أبوطالب : أتبيّن لكم، أيّنا أولى بالسّحر و الكهانة؟ فأسلم يومئذٍ عالَم من النّاس.

ولكنّ المشركين لم يقنعوا بذلك، بل استمرّوا على العمل بمضمون الصحيفة، حتّى قام جماعة منهم: هشام بن عمرو بن ربيعه، و زهير بن أميّة بن المغيرة، و المطعم بن عدي، و أبان البختري بن هشام، و زمعة بن الأسود – و كلّهم رحم بني هاشم و المطّلب – و تكلّموا في نقضها؛ فعارضهم أبوجهل فلم يلتفتوا إلى معارضته، و مُزّقت الصّحيفة، و بطل مفعولها، و خرج الهاشميّون حينئذٍ من شعب أبي طالب عليه السلام.[2]

حُنكةُ أبي طالب و إيمانه

إنّ المطالع لأحداث ما قبل الهجرة ليجد عشرات الشّواهد الدالّة على حُنكة[3] أبي طالب عليه السلام. و خير شاهد نسوقه الآن على ذلك، هو ما ذكرناه آنفاً، حيث رأيناه

---

١. اُمتُقِعَ الرّجلُ مجهولاً: تغيّر لونه من حزن أو فزع أوريبة.

٢. راجع فيما تقدم: السيرة النبوية لابن كثير، ج ٢، ص ٤٤، و السيرة النبوية لابن هشام، ج ٢، ص ١٦، و دلائل النبوة لدحلان (ط . دار الكتب) ج ٢، ص ٣١٢، و الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٨٨ و السيرة النبوية لدحلان، ج ١، ص ١٣٧ – ١٣٨ (ط . دار المعرفة) و تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣١، و البداية و النهاية، ج ٣، ص ٨٥ و ٨٦.

٣. الحُنكة: السنّ و التجربة و البصر بالأمور، و حنكتَ الشّيء: فهمته و أحكمته، و حنّكته السِنّ: إذا حكمته التّجارب و الأمور، استعارةً في التّجربة و الحكمة و الفراسة.

يطلب منهم أن يحضروا صحيفتهم، و يمزج ذلک بالتّعريض بإمكان أن يكـون ثَمّـة صلح فيما بينهم و بنيه.

و ما ذلک إلّا من أجل أن لا تُفتَحَ الصّحيفةُ إلّا علنـاً، يراهـا كـلّ أحـدٍ، و أيـضاً، حتّى يهيئّهم للمفاجاة الكبرى، و يمهّد السّبيل أمام طرح الخيار المنطقي عليهم، ليسهل عليهم تقبّله، ثمّ الالتزام به، و لا سيّما إذا استطاع أن ينتزع منهم وعداً بمـا يريد، و يضعهم أمام شرف الكلمة، و على محک قواعد النُّبل و احترام الذّات، حسب المعايير الّتي كانوا يتعاملون على أساسها. و قد نجح في ذلک إلى حدٍّ بعيـد، حتّـى ليصيح النّاس: أنصفتنا يا أباطالب.

ثمّ تبرز لنا من النّصوص المتقدّمة حقيقةٌ أخرى، لهـا أهميّتهـا و انعكاسـاتها، و هي تدلّ على مدى ثقة أبي طالـب بـصدق النّبـيّ الأعظـمﷺ، و بـسداد أمـره، و واقعيّة ما جاء به، حتّى قال: «إنّ ابن أخي حدّثني و لم يكذبني قطّ».

و كان يتألّم جداً من اتّهام ابن أخيه بالسّحر والكهانة، و يعتبر ذلک افتراءً ظاهراً و يغتنم الفرصة السّانحة للتعبير عن خَطَل رأيهم، و سـفه أحلامهـم، فيقـول لهـم: «أتبيّن لكم أيّنا أولى بالسّحر و الكهانة؟». و كانت النّتيجة: أن أسـلم بـسبب هـذه المعجزة يومئذٍ عالَم من الناس.

ما بعد نقض الصّحيفة

و استمرّ الرّسول الأعظمﷺ يعمل على نشر دينـه، و أداء رسـالته؛ و اسـتمرّت قريش تضع في طريقه العراقيل[۱]، و تحاول أن تمنـع النـاس مـن الاجتمـاع بـه، و الاستماع إليه، بكلّ الوسائل الّتي تقع تحت اختيارها، و النّبيّﷺ يتحمّل و يصبر، لا يكلّ و لا يملّ، و لم تفلح قريش في ذلک و لا وصـلت إلـى نتيجـة، و الأحـداث

---

۱. العراقيل: الدّواهي و عراقيل الأمور صعابها.

الّتي في هذا السّبيل كثيرة لو أردنا استقصاءها لطال المقام و لا محيص لناعن تجاوزها إلى غيرها.

عام الحُزن

و في السّنة العاشرة من البعثة كانت وفاة الرّجل العظيم، أبي طالب عليه السلام، ففقد النّبي صلى الله عليه وآله بفقده نصيراً قويّاً و عزيزاً وفيّاً، كان هو الحامي له و الدّافع عنه و عن دينه و رسالته، منذ طفولته و حتّى الآن، و واجه المصائب الكبيرة، و المشاقّ العظيمة في سبيل الدّفع عنه، و الذّود عن دينه و رسالته.

و هو أيضاً الّذي كان يقدّمه على أولاده جميعاً، و رضى بعداء قريش له، و بمعاناة الجوع و الفقر، و النّبذ الاجتماعي، و وقف ذلك الموقف العظيم من جبابرة قريش و فراعنتها.

و في الشّعب كان يحرس النّبي صلى الله عليه وآله بنفسه و ينقله من مكان إلى آخر، و يجعل ولده عليّاً عليه السلام في موضع النّبي صلى الله عليه وآله، حتّى إذا كان أمرٌ، أصيب ولده دونه. كلّ ذلك في سبيل الدّفع عن الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله و نصر دينه، و إعلاء كلمته، و رفعة شأنه.

ثمّ توفّيت بعده بمدة و جيزة – قيل: بثلاثة أيام، و قيل: بعده بحوالي شهر[1] – خديجة أمّ المؤمنين عليها السلام أفضل أزواج النّبي صلى الله عليه وآله و أحسنهنّ سيرةً و أخلاقاً مع النّبي صلى الله عليه وآله و قد كانت عايشة تغار منها غيرةً شديدةً، رغم أنّها لم تجتمع معها في بيت الزّوجيّة؛ لأنّ النّبي صلى الله عليه وآله قد تزوّجها بعد وفاة خديجة بزمان.[2]

و نستطيع أن نعرف: كم كان لأبي طالب و لخديجة عليهما السلام من خدمات جليّ في

---

١. السيرة الحلبيّة، ج ١، ص ٣٤٦، و السيرة النبوية لابن كثير، ج ٢، ص ١٣٢، و البداية و النهاية، ج ٣، ص ١٢٧، و التّنبيه و الإشراف، ص ٢٠٠.

٢. البداية و النهاية، ج ٣، ص ١٢٧ – ١٢٨، و السيرة النبوية لابن كثير، ج ٢، ص ١٣٣ – ١٣٥.

سبيل هذا الدّين، من تسمية النّبي ﷺ عام وفاتهما بـ « عام الحَزن».[١]

و من الواضح: أنّ النّبي ﷺ لم يكن ينطلق في حبّه لهما، و حزنه عليهما من مصلحته الشّخصيّة، أو من عاطفة رَحِميّة، و إنّما هو في سبيل الحبّ في الله و البغض في الله فقط.

فإنّه ﷺ لم يتأثر علي أبي طالب و خديجة، لأنّ هذه زوجته و ذاك عمّه، و إلّا فقد كان أبولهب عمّه أيضا، و إنّما لِمالمسه فيهما من قوّة إيمان، و صلابة في الدّين، و تضحيات و تفانٍ في سبيل الله، و العقيدة، و في سبيل المستضعفين في الأرض، و لِما خسرته الأمّة فيهما، من جهاد و إخلاص، قلّ نظيره في تلك الظّروف الصّعبة و المصيريّة.

و قد ألمح النّبي ﷺ إلى ذلك حينما جَعَل موتَ أبي طالب و خديجةَ مصيبة للامّة بأسرها، كما هو صريح قوله في هذه المناسبة: «اجتمعت على هذه الأمّة مصيبتان، لا أدري بأيّهما أنا أشدّ جزعاً».[٢]

---

١. سيرة مغلطاي، ص ٢۶ ، و تاريخ الخميس، ، ج ١، ص ٣٠١، و المواهب اللدنية، ج ١، ص ۵۶ و السيرة النبوية لدحلان، ج ١، ص ١٣٩ (دار المعرفة) و أسنى المطالب، ص ٢١.

٢. تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣۵ (ط . صادر).

الفصل السّادس

حتّى بيعة العقبة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لابدّ من تحرّك جديد

لقد فقد النّبيّ صلى الله عليه وآله بوفاة أبي طالب نصيراً قويّاً، دافع عنه صلى الله عليه وآله دعوته الإلهيّة بيده و لسانه – كما قدّمنا – فاعتقدت قريش أنّه صلى الله عليه وآله سيضعف عزمه عن مواصلة جهوده، بعد أن مات ناصره؛ فنالته بعد وفاة شيخ الأبطح بأنواع الأذى، ممّا عجزت عنه في حياة عمّه العظيم، و وجدت الفرصة للتّنفيس عن حقدها، و صبّ جام غضبها عن ذلک الّذي ترى فيه سبباً لكلّ مشاكلها و متاعبها.

و رأى صلى الله عليه وآله أنّ الدّعوة الإسلاميّة تتعرّض لضغوط قويّة تمنع من انتشارها، و من دخول الآخرين فيها، ماداموا لا يرون في ذلک الدّخول إلّا العذاب و النّكال.

و من هنا، فقد كان لابدّ من تحرّک جديد، يعطي للدّعوة دفعةً جديدة، و يجعلها أكثر حيويّة و اكثر قدرة على مواجهة الأخطار المحتملة، و إذا كان بقاؤه صلى الله عليه وآله في مكّة – إن لم يكن فيه خطر على الدّعوة – معناه جمودها و شلّ حركتها، فإنّ من الطّبيعي أن يبحث عن مكان آخر، تتوفّر فيه له حريّة الحركة، و الدّعوة إلى الله، بعيداً عن أذايا قريش و مكائدها. فكان كلّ ذلک و سواه دافعاً إلى الهجرة إلى الطّائف.

الهجرة إلى الطّائف

بعد أن أذن الله له صلى الله عليه وآله بالخروج من مكّة، إذ قدمات ناصره، خرج إلى الطّائف و

معه عليّ عليه السلام، أو زيد بن حارثة، أو هما معاً[١] - على اختلاف النّقل - و ذلك لليال بقين من شوّال سنة عشر.

فأقام في الطّائف عشرة أيّام - و قيل شهراً - لا يدع من أشرافهم أحداً إلّا جاءه و كلّمه، فلم يجيبوه، و خافوا على أحداثهم، فطلبوا منه أن يخرج عنهم، و أغرّوا به سفهاءهم، فجلسوا له في الطريق، يرمونه بالحجارة، و علي يدافع عنه،حتى شجّ في رأسه.[٢]

ثمّ انصرف ﷺ راجعاً إلى مكّة، فاستعدّ أعداؤه للقائه بأنواع من الأذى لم يعرفها من قبل؛ ولكنّه ﷺ كان مصمّماً على مواجهة كلّ الاحتمالات، حيث قال لرفيقة علي عليه السلام أو زيد: «إنّ الله جاعلّ لما ترى فرجاً و مخرجاً، و إنّ الله ناصر دينه و مظهر نبيّه».

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

نكات هامّة

١. الطّائف و علاقاتها بمن حولها

إنّ أهل الطّائف كانوا مرتبطين اقتصاديّاً بأهل مكّة و من حولهم؛ لأنّهم كانوا يصدرون الفاكهة الّتي هي عمدة محاصيلهم إلى مكّة و غيرها من الأطراف المحيطة بهم.

فهم يرون مصيرهم مرتبطاً اقتصاديّاً و اجتماعيّاً بغيرهم، و هم بحاجة إلى التّقرّب و التّزلّف إلى هؤلاء، و استجلاب محبّتهم و رضاهم، حتّى لا يتعرّضوا للضّغط الاجتماعي، أو إلى حصار اقتصادي، لا سيّما مع المكّيّين، حيث السّوق الرئيس لمنتجاتهم.

---

١. شرح النهج للمعتزلي، ج ۴، ص ١٢٧ عن المدائني، و سيرة المصطفى، ص ٢٢١ - ٢٢٢.

٢. و قيل: إنّ الّذي شبح في رأسه هو زيد بن حارثة.

ثمّ إنّه قد كان لهم صنم يقال له اللّات، و كانت له سَدَنة[1] و يـزوره العـرب،[2] إذ كانت لهم مكانة دينيّة أيضاً بين العرب، يهتمّون جداً بالمحافظة عليه.

و من هذا و ذاك، نعرف السرّ في أنّهم كـانوا أشدّاء فـي مواجهـة النّبـيّ صلى الله عليه وآله و حريصين على إخراجه من بينهم بسرعة.[3]

٢. الإسلام دين الفطرة

إنّنا نلاحظ، أنّ أهل الطّائف قد خافوا على أحداثهم من دعوة النّبـيّ صلى الله عليه وآله، رغـم أنّه صلى الله عليه وآله لم يقم بينهم سوى فترة قصيرة؛ الأمر الّذي يؤكّـد علـى أنّ الإسـلام كـان يجد سبيله بيسر و سهولة إلى العقول الـصّافية و النّفـوس البريـئة و ينـسجم مـع الفطرة السّليمة، الّتي لم تتلوّث بعد بالمفاهيم المنحرفة و العـصبيّة القَبليّـة و غيـر ذلك.

و كيف لا يجد سبيله إليها بيسر، و هـو الـدّين القـائم علـى الـدّليل و البرهـان العقلي، و المنسجم مع الفطرة، و هو دين الضّمير و الوجدان الحي.

و من هنا، فإنّنا نلاحظ أنّهم لم يمكنهم الردّ عليه و مناقشته، بل طلبوا منـه أن يخرج من بينهم، و حاولوا أن يشوّهوا صورته في أذهان أولئك الّذين استمعوا إليـه — و في أذهان الصّغار الّذين أغروهم به صلى الله عليه وآله و الّذين يمكن أن تؤثّر فيهم دعوتـه —

---

١. سدن الرّجل: خدم الكعبة أو بيت الصنم. يقال: هو سادن فلانٍ: أي حاجبه. الـسّادن: اسـم فاعل، جمعه: سَدَنَة.

٢. الأصنام للكلبي، ص ١٦، و السيرة النبويّة لدحلان (مطبوع بهامش الحلبيّة، ج ٣، ص ١١، و تاريخ الخميس، ج ٢، ص ١٣٥.

٣. و يشار هنا: إلى أنّ أهل الطّائف الّذين قتلوا عروة بن مسعود الدّاعي إلى الإسلام، قد تأخّر إسلامهم إلى أواخر حياة النّبيّ صلى الله عليه وآله، فوفدوا عليه في سنة تسع (سنة الوفود) و لم يؤمنوا إلّا بعـد أن أدركوا أنّه لا طاقة لهم بحرب مَن حولهم من العرب، فلا يخرج لهم مال إلاّ نهـب، و لا انـسان إلّا أخذ؛ فلمّا رأوا عجزهم، اجتمعوا و أرسلوا الخ... (راجع: الكامـل فـي التـاريخ، ج ٢، ص ٢٨٣، و السيرة النبوية لدحلان، ج ٣، ص ٩، و السيرة النبوية لابن هشام، ج ٤، ص ١٨٣).

بما استعملوه ضدّه من أساليب غير منطقيّة، و إنّما تتميّز بالإهانة و الأذى، ثمّ السّخريّة و الاستهزاء الجارح و المهين .

٣. هل كان هذه سفرة فاشلة؟!

و لربّما يتساءل البعض عن الفائدة لهذه الرّحلة الفاشلة؟ فنقول: إنّ هذه الرّحلة لم تكن فاشلة؛ فإنّ من الطّبيعي أن تترك هذه الحادثة آثاراً إيجابيّة من نوع ما في أذهان مَنِ التقى بهم و كلّمهم و أن تثمر فيما بعد ثمارها المطلوبة و المرجوّة منها، حيث قد أثرّت بشكل واضح في تهيئة الجوّ لإيمان ثقيف فيما بعد ذلك عندما قويت شوكة الإسلام، و لم تعد تخشى الضّغوط الاقتصادية و الاجتماعية عليها ممّن حولها، و لا سيّما من قريش؛ بل أصبح الضّغط من جانب المسلمين؛ لأنّ القبائل كانت تفد إلى النّبيﷺ فتعلن عن إسلامها، و يكتب لها كتاباً، و يشترط قطع العلاقات مع المشركين فأخافهم ذلك و أرعبهم.

و قد كانت قريش تَشيع عن النّبيﷺ أنّه مجنون، أو ساحر، أو كاهن، أو... فها هوﷺ يتّصل بالنّاس مباشرة، و يلمسون بأنفسهم حقيقة الأمر، و يتعرّفون عن قربٍ على شخصيّته و خصائصه، بحيث تسقط كل الإشاعات الكاذبة و المغرضة، و ليصير الإيمان به و برسالته و بنبوّته أسهل و أيسر، و ليصبح أكثر قوّةً و عمقاً و رسوخاً.

عرض الإسلام على القبائل

لقد كان النّبيّ الأكرمﷺ يغتنم الفرصة في مواسم الحجّ؛ فيعرض على القبائل، قبيلة قبيلة، أن تعتنق الإسلام، و تعمل على نشره و تأييده، و حمايته و نصرته، بل كان لا يسمع بقادم إلى مكّة، له اسم و شرف إلّا تصدّى له و دعاه إلى الإسلام.

ولكن عمّه أبا لهب كان يتبعه أنّى توجّه، و يعقب على كلامه، و يطلب منهم أن لا يقبلوا منه و لا يطيعوه في شيءٍ. هذا بالإضافة إلى اتّهامه بالجنون و السّحر و

الكهانة و الشّعر و غير ذلک.

و كان النّاس في الغالب يسمعون من قريش، إمّا خشيةً من سلطانها و نفوذها، و إمّا حفاظاً على مصالحهم الاقتصادية في مكّة، لا سيّما في مواسم الحجّ و عُكاظ.

كما أنّ تصدّى أبي لهب، عمّ النّبيّ صلى الله عليه و آله بالذّات لإفساد الأمر عليه صلى الله عليه و آله كان أبعد تأثيراً في ذلک، على اعتبار أنّه عمّه و أعرف النّاس به.

و قد صرّح المؤرّخون بأنّ العرب كانوا ينتظرون بإسلامهم قريشاً و كانوا إمامَ النّاس، و أهلَ الحرم، و صريح ولد اسماعيل لا تنكر العرب ذلک.

فلمّا فتحت مكّة و استسلمت قريش، عرفت العرب أنّها لا طاقة لها بحرب رسول الله، و لا عداوته، فدخلوا في الدّين أفواجاً.[1]

بل إنّه صلى الله عليه و آله حينما كان يعرض دعوته على القبائل، كانوا يردّون عليه أقبح الرّدّ، و يقولون: أسرتک و عشيرتک أعلم بک حيث لم يتّبعوک.[2] و هذا يدلّ على أنّ الخوف من قريش لم يكن هو الدّافع الوحيد للامتناع عن الدّخول في الإسلام، لا سيّما و أنّ الكثيرين من العرب كانوا بعيدين عن مكّة و لا يخشون سطوتها.

و نقطة أخرى لابدّ من الإشارة إليها و هي أنّ تحرّک النّبيّ صلى الله عليه و آله و عرض دين الله على القبائل، و هجراته المتعدّدة في سبيله ليعتبر إدانة للمنطق القائل: إنّ على صاحب الدّعوة أن يجلس في بيته، و لا يتحرّک، و على النّاس أن يقصدوه و يسئلوه عمّا يهمّهم، و يحتاجون إليه.

بنو عامر بن صعصعة و نصرة النّبيّ صلى الله عليه و آله

و نشير هنا إلى واقعة هامّة حدثت في خلال عرض النّبيّ صلى الله عليه و آله دعوته على القبائل و هي: أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله قد أتى بني عامر بن صعصعة، فدعاهم إلى الله.

---

۱. راجع: الكامل في التاريخ، ج ۲، ص ۲۸۶ و ۲۸۷.

۲. السيرة الحلبيّة، ج ۲، ص ۳.

فقال لهم رجل منهم، اسمه «بيحرة بن فراس» و الله لو أنّي أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب.

ثمّ قال له: أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك، ثمّ أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال ﷺ: الأمر لله يضعه حيث يشاء. فقال له: أفنهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟! لا حاجة لنا بأمرك؛ فأبوا عليه.[1]

و نحن نسجّل هنا مايلي:

١. الأمر لله

لقد نصّت الرّواية على أن الأمر لله يضعه حيث يشاء، و نستفيد من ذلك:

أ. إنّ الرّسول لم يعط هؤلاء وعداً بما طلبوه منه، من جعل الأمر لهم بعده، بل أجابهم بأنّ الأمر لله، يضعه حيث يشاء، أي أنّه لا يمكن أن يَعِدَ بما لا يعلم قدرته على الوفاء به تماماً، على العكس من السّياسيّين، الّذين عرفناهم في عصرنا الحاضر، و على مرّ العصور، الّذين لا يتورّعون عن إغداق الوعود المعسولة على النّاس،[2] حتّى إذا وصلوا إلى غايتهم و جلسوا على كرسي الزّعامة، فإنّهم ينسون كلّ ما قالوه وما وعدوا به.

ولكن نبي الإسلام ﷺ رغم أنّه كان بأمَسّ الحاجة[3] إلى مَن يمدّ له يدالعون، لا سيّما من قبيلة كبيرة تملك من العدد و العُدّة ما يمكّنها من حمايته، و الرّد عنه،

---

١. راجع: سيرة ابن هشام، ج ٢، ص ٦٦، و الثقات لابن حبان، ج ١، ص ٨٩ – ٩١، و بهجة المحافل، ج ١، ص ١٢٨، و حياة محمد لهيكل، ص ١٥٢، و السيرة النبوية لدحلان، ج ١، ص ١٤٧، و السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٣، و الروض الأنف، ج ١، ص ١٨٠، و البداية و النهاية، ج ٣، ص ١٣٩ و ١٤٠.

٢. اغدق المطر: كثر قطره . إغداد الوعود المعسولة على النّاس: أي كثرة المواعيد الّتي يزعم النّاس أنها صادقة.

٣. مسّت الحاجة إلى كذا: أي ألجأت إليه.

إلا أنّه يرفض أن يَعِدَ بما لا يملك الوفاء به، حتّى و لو كان هـذا الوعـد يجـر عليه الرّبح الكثير فعلاً.

ب. إنّ جواب النّبي صلی الله علیه و آله لهم بقوله: «الأمـر لله يـضعه حيـث يـشاء» يؤيّـد مـا يذهب إليه أهل البيت علیهم السلام و شيعتهم الأبـرار مـن أنّ خلافـة النّبـوّة ليـست مـن المناصب الّتي يرجع البتّ فيها إلى النّاس، بل هي منصب إلهـي، و الأمـر لله فيهـا، يضعه حيث يشاء.

٢. الدّين و السّياسة

و قد لاحظ بعض المحقّقين هنا أنّ هذا العربي من بني عـامر لَمّـا أخبـروه بمـا يدعوا إليه النّبي صلی الله علیه و آله، قد أدرک أنّ هذا الدّين ليس مجـرّد ترهّـب فـي الـصّوامع و صلاة و دعاء و أوراد و أذكار؛ بل هو دين يشتمل على التّدبير و السّياسة و الحكم، و لأجل هذا قال: «لو أنّي أخذت هذا الفتى (يعني محمّداً بماله من الـدّعوة الـشّاملة) لأكلت به العـرب»؛ و اشـترطوا علـى النّبـي صلی الله علیه و آله أن يكـون لهـم الأمـر مـن بعـده، فرفض صلی الله علیه و آله طلبهم.

فما أبعد ما بين فهم هؤلاء للإسلام و لِدعوة القرآن – حتّى إنّ هـذا الفهـم هـو الّذي مهّد لإسلام الأنصار، ثمّ الهجـرة، و كـذلک لبيعـتهم (بيعـة العقبـة الأولـى و الثّانية) و اختيار النّقباء و الكفلاء على المبايعين – و بين ذلک الّذين يعتبر الـدّين منفصلاً عن السّياسة، و أنّ السّياسة أمر غريب من الدّين، فإنّ ذلک و لا شـکّ مـن إلقاءات الإستعمار و من الفكر المسيحي الغريب المستورد، كما هو ظاهرٌ.

٣. نتائج عرضه صلی الله علیه و آله دعوتَه على القبائل

و يمكننا أن نستفيد ممّا تقدم:

أ. ما تقدّمت الإشارة إليه، من أنّ مقابلة النّبـيّ الأعظـم صلی الله علیه و آله للنّـاس و التّحـدّث معهم مباشرة، كان من شأنه أن يعطـى النّـاس الانطبـاع الحقيقـي عـن شخـصيّة الرّسول الأكرم صلی الله علیه و آله و حقيقة ما جاء به، و يدفع كلّ الدّعايات و الإشاعات الكاذبـة و

المغرضة، الّتي كانت تبثّها قريش و أعوانها، ككونه ساحراً، أو كاهناً، أو شاعراً، أو مجنوناً، أو غير ذلك من تُرَّهات.[١]

ب. إنّ ما جرى في قضيّة بني عامر لَيدلُّ دلالةً واضحة على أنّ عرضه ﷺ دعوتَه على القبائل. قد أسهم في الدّعاية لهذا الدّين، و نشر صيته في مختلف الأنحاء و الأرجاء؛ فقد كان من الطّبيعي أن يتحدّث النّاس إذا رجعوا إلى بلادهم بما رأوه و سمعوه في سفرهم ذاك، و لم يكن ثَمّة خبر أكثر إثارة لهم من خبر ظهور هذا الدّين الجديد، و في مكّة بالذّات.

دخول الإسلام إلى المدينة

و ثَمّة خلاف بين المؤرّخين في مَن؟ و متي؟ و كيفيّة إسلام أوّل دفعة من أهل المدينة. و لكنّنا نستطيع أن نؤكّد على أنّ الإسلام قد دخل المدينة على مراحل؛ فأسلم أوّلاً؛ أسعدُ بن زرارة و ذكوان بن عبد القيس، حينما كان المسلمون محصورين في الشّعب؛ ثمّ أسلم خمسةٌ، أو ثمانيةٌ، أو ستّة نفر بعد ذلك؛ ثمّ كانت بيعة العقبة الأولي؛ ثمّ كانت بيعة العقبة الثّانية. و هذا هو ما يظهر من مغلطاي و غيره.[٢]

فهم يقولون: إنّ أسعد بن زرارة و ذكوان بن عبدالقيس الخزرجيّين قَدِ ما مكّة في أحد المواسم، حينما كانت قريش تحاصر الهاشميّين في الشِّعب، بهدف طلب الحلف من عتبة بن ربيعة على الأوس.

فرفض عتبة ذلك و قال: بعدت دارنا عن داركم، و لنا شغل لا نتفرّغ لشيء. فسئله عن هذا الشّغل؛ فأخبره بخروج النّبي ﷺ فيهم و أنّه أفسد شبابهم، و فرّق

١. التُرَّهات : الطّرق الصّغار تتشعّب عن الجادّة، واحدتها تُرَّهة، فارسي معرّب، ثم استعير للباطل.

٢. راجع: سيرة مغلطاي، ص ٢٩.

جماعتهم؛ ثمّ حذّره من الاتّصال به، فإنّه ساحرٌ يسحره بكلامه.

و أمره إذا أراد الطّواف أن يضع القطن في أذنيه، حتّى لا يسمع ما يقوله النّبيّ صلى الله عليه وآله، الّذي كان آنئذٍ يجلس في الحِجْر مع طائفة من بني هاشم.

و كانوا قد خرجوا من شعبهم ليشهدوا الموسم.

و جاء أسعد للطوّاف، و رأى النّبيّ صلى الله عليه وآله جالساً في الحِجْر، فقال في نفسه: ما أجد أجهلَ منّي، أن يكون هذا الحديث في مكّه فلا أتعرّفه، حتّى أرجع إلى قومي، فأخبرهم. ثمّ أخذ القطن من أذنيه، فرمى به، و جاء إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله، فسلّم عليه و كلّمه، فعرض عليه صلى الله عليه وآله ما جاء به، فأسلم و أسلم بعده ذكوان.

ثمّ في سنة إحدى عشرة من النّبوّة خرج النّبيّ صلى الله عليه وآله في الموسم، يعرض على القبائل دعوته، و يطلب منهم نصرته؛ فالتقى على العَقَبة برهط من الخزرج؛ فدعاهم إلى الله و الإسلام، و قرأ عليهم القرآن؛ فآمنوا به، و كانوا ستّة نفروهم: أسعد بن زرارة، و جابر بن عبدالله بن رئاب، و عوف بن حارث، و رافع بن مالک، و عُقبة و قُطبة ابنا عامر.[1]

و رجع أولئک النّفر إلى قومهم في المدينة، فذكروا لهم رسولَ الله صلى الله عليه وآله و دعوهم إلى الاسلام.

ثم كانت بيعة العقبة الأولى في سنة اثنتي عشرة من البعثة، أي قبل الهجرةبسنة.[2] و نحن قبل أن نمضي في الحديث نشير إلى مايلي:

١. إخبارات أهل الكتاب

إنّ أهل المدينة، كانوا يسمعون من اليهود خبر ظهور النّبيّ صلى الله عليه وآله عن قريب، و

---

١. و قيل ثمانية نفر، و قيل غير ذلک، و ثمّ اختلاف في أسمائهم و ذكر أشخاص آخرون مكان بعض مَن قدّمنا أسماءهم. و لعلّ أسعد بن زرارة كان قدكتم إسلامه هو و ذكوان، حتّى كان لقاء هؤلاء الستّة، أو الثّمانية معه صلى الله عليه وآله قبل الهجرة بسنة فأعلنوا ذلک.

٢. راجع: البحار، ج ١٩، ص ٩، و إعلام الورى، ص ٥٧ عن علي بن ابراهيم.

إنّ ذلک قد جعلهم مهيّئين نفسيّاً بقبول الدّين الّذي جاء به هذا النّبيّ ﷺ؛ ففي رواية: أنّه لمّا التقى النّبيّ ﷺ بأسعد و ذكوان، قال أسعد للنّبيّ ﷺ:

و الله يا رسول الله، لقد كنّا نسمع من اليهود خبرک و يبشّروننا بمخرجک، و يخبروننا بصفتک، و أرجو أن يكون دارنا دار هجرتک عندنا؛ فقد أعلَمَنا اليهود ذلک.

ثمّ أقبل ذكوان، فقال له أسعد، هذا رسول الله الّذي كانت اليهود تبشّرنا به، و تخبرنا بصفته، فهلّم فأسلم، فأسلم ذكوان.[١]

٢. المشاكل بين الأوس و الخزرج

لقد كانت ثَمّة حروب هائلة بين الأوس و الخزرج، كانت آخرها وقعة بُعاث الّتي انتصرت فيها قبيلة الأوس، حينما كان الهاشميّون و النّبيّ ﷺ محصورين في الشّعب.

لقد كان واضحاً: أنّهم كانوا يتطلّعون بشوق إلى الخروج من هذه الحالة المأساة، و يأملون في وصل الحبال المقطوعة فيما بينهم، كما عبّر عنه أسعد – الّذي كان يعمل من أجل عقد حِلْفٍ مع عتبة بن ربيعة ضدّ الأوس – حينما التقى هو و ذكوان بالنّبيّ ﷺ:

يا رسول الله، بأبي أنت و أمّي، أنا من أهل يثرب، من الخزرج، و بيننا و بين أخوتنا من الأوس حبال مقطوعة، فإن وصلها الله بک، و لا أجد أعزّ منک، و معي رجل من قومي، فإن دخل في هذا الأمر رجوت أن يتمّم الله لنا أمرنا فيک.[٢]

٣. تعاليم الشّريعة السّمحاء

إنّ تعاليم الإسلام لهي التّعاليم الموافقة للفطرة السّليمة، و بلا تعقيد، أو إبهام فيها؛ فهي بسيطة و سهلة، لا يحتاج إدراک حقّانيّتها إلى تفكير عميق، أو إجهاد

---

١. نفس المصدرين.

٢. المصدر المتقدم.

في فهم مراميها و التّكهّن بنتائجها.

و لذلک نجد أهل المدينة يدركون بسرعة قدرة هذه الدّعوة على حلّ مشاكلهم، فيسارعون إلى قبولها بمجرّد سماعهم لأهدافها و مبادئها.

و من الواضح أنّ أهل المدينة كانوا لا يعانون من ظروف أهل مكّة، الّذين يحاربون الإسلام؛ لأنّهم يروا فيه خطراً على مصالحهم الشّخصيّة، و امتيازاتهم الظّالمة الّتي فرضوها لأنفسهم،و أهوائهم و انحرافاتهم.

٤. المدنيّون و المكيّون

إنّ الوثنيّة الّتي كان أهل المدينة يدينون بها لم تستطع أن تحلّ مشاكلهم الدّاخليّة، على اختلافها، و لا حتّى أن تخفّف من حدّتها؛ كما أنّها لم تكن تجلب لهم امتيازات اجتماعيّة و لا اقتصادية و لا غيرها؛ و لذلک فقد ضعفت و وهنت، و زاد في ضعفها و وهنها مخالفتها للفطرة السّليمة و العقل القويم. ثمّ جاءت إخبارات اليهود لهم بقرب ظهور نبي يخبر عن الله لتزيد من ذلک الضّعف و الوهن إلى حدّ بعيد.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

و هذا تماماً على عكس الحال في مشركي مكّة؛ فإنّهم كانوا يستفيدون من وثنيّتهم اجتماعيّاً و اقتصادياً و جعلوا من أنفسهم محوراً تلتقي عليه سائر الفئات و القبائل في المنطقة، و كرسوا لأنفسهم الكثير من الامتيازات الظّالمة، و لم يكونوا على استعدادٍ للتّخلّي عن هذه الامتيازات من أجل خدمة الحقّ و الإنسان، بل كانوا يضحون بالإنسان و الحقّ في سبيل امتيازاتهم و انحرافاتهم و مصالحهم تلک.

كلّ ذلک و سواه قد أسهم في إقبال أهل المدينة على الإسلام، و تقبّل دعوته و التّضحية في سبيله.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل السّابع

بيعة العقبة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بيعة العقبة الأولى

يقول المؤرّخون: إنّه حينما عاد أولئک النّفر المدنيّون الّذين أسلموا، إلى المدينة ذكروا لأهلها رسولَ الله صلى الله عليه وآله و دعوهم إلى الإسلام، حتّى فشا فيهم، فلم يبق دارٌ من دور الأنصار إلّا و فيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وآله.

حتّى إذا كان العام المقبل (أي السّنة الثّانية عشرة من البعثة) وافى الموسم اثنا عشر رجلاً؛ اثنان منهم أوسيان و الباقون من الخزرج؛ فالتقوا مع الرّسول صلى الله عليه وآله في العقبة، و بايعوه على بيعة النّساء.[1]

و لما رجعوا إلى المدينة أرسل النّبي صلى الله عليه وآله معهم (مُصعب بن عمير) ليقرء هم القرآن، و يعلّمهم الإسلام، و يفقّههم في الدّين، فكان يسمّى المُقري.

و قد نَجَح مُصعب و من معه ممّن أسلم في الدّعوة إلى الله تعالى و أسلم سعد بن معاذ، الّذي كان السّبب في إسلام قومه بني عمير بن عبدالأشهل.

و أقام مصعب بن عمير يدعوا النّاس إلى الإسلام، حتّى أسلم الرّجال و النّساء من الأنصار باستثناء جماعة من الأوس، اتّبعوا في ذلک أحدَ زعمائهم، الّذي تأخّر

---

۱. أي البيعة الّتي لا تشتمل على حرب، أي: «على أن لا يشركوا بالله شيئاً، و لا يسرقون، و لا يزنون، و لا يقتلون أولادهم، و لا يأتون ببهتان يفترونه من بين أيديهم و أرجلهم، و لا يعصونه في معروف؛ فإن وفوا فلهم الجنّة و إن غشّوا من ذلک شيئاً فأمرهم إلى الله عزّوجلّ، إن شاء عذّب و إن شاء غفر». و وجه تسمية هذه البيعة ببيعة النّساء، هو أن النّساء المؤمنات بايعن رسولَ الله صلى الله عليه وآله بهذه البيعة في الحُديبيّة كما أشار إليه في آية ۱۲ من سورة الممتحنة.

إسلامه إلى ما بعد هجرة الرّسول الأعظم ﷺ. [1]

ميّزات البيعة

و نجد أنّ نصّ البيعة قد تضمّن الخطوط العريضة، و أهمّ المبادي الّتي يقوم عليها المجتمع الإسلامي، و هي تتضمنّ جانباً عقائدياً، و آخر عمليّاً، و قد حملهم ﷺ مسئوليّات معيّنة في علاقاتهم مع بعضهم بعضاً؛ و جعل التزامهم هذا قائماً على إعطاء تعهّدٍ من قِبَلهم، يرون مخالفته تتنافى مع شرف الكلمة و قُد سيّتها؛ و ذلک تحت عنوان «البيعة» الّتي تعنى إعطاء کلمة الشّرف بالالتزام بتلک المبادي، ولكنّه لم يقرّر عقاباً عنيفاً لمن ينقض هذا العهد و يتجاوز و يغشّ فيه؛ فإنّ الوقت حينئذٍ لم يكن مناسباً لقرارٍ كهذا. بل أو كل ذلک إلى الوجدان و الضّمير الشّخصي لكلّ منهم، مع ربطه بالمبدأ العقيدي، و مع إعطاء الفرصة له للعودة لإصلاح الخطأ إن كان؛ حيث أبقى الأمل حيّاً لدى ذلک الّذي يمكن أن يغشّ و أوكل أمره إلى الله، إن شاء عذّب و إن شاء غفر.

بيعة العقبة الثانية

و عاد مُصعب بن عمير من المدينة إلى مكّة، فعرض على النّبيّ ﷺ نتائج عمله، فسرّ بذلک نبي الإسلام سروراً عظيماً. [2]

و في موسم حجّ السّنة الثّالثة عشرة من البعثة أتي من أهل المدينة جماعة

---

۱. السيرة النبوية لابن كثير، ج ۲، ص ۱۸۴ و راجع: تاريخ الطبري، ج ۲، ص ۹۰، والسيرة لابن هشام، ج ۲، ص ۷۹ – ۸۰، و السيرة الحلبيّة، ج ۲، ص ۱۴.

۲. و في البحار، ج ۱۹، ص ۱۲: أنّ مصعباً قد كتب إلى النّبيّ ﷺ بذلک و كذا في إعلام الورى، ص ۵۹.

كبير بقصد الحج، ربما تقدّر عدّتهم بخمس مئة؛[1] فيهم المشركون، و فيهم المسلمون، المستخفّون من حُجّاج المشركين من قومهم تقيّة منهم.

و التقى بعض مسلميهم بالرّسولﷺ و وعدهم اللّقاء في العَقَبة في أواسط أيام التّشريق ليلاً، و أمرهم أن لا ينبّهوا نائماً و لا ينتظروا غائباً.[2]

و في تلك اللّيلة بالذّات ناموا مع قومهم في رحالهم؛ حتّى إذا مضى ثلث اللّيل، بدؤوا يتسلّلون[3] إلى مكان الموعد، واحداً بعد الآخر، و لا يشعر بهم أحد، حتّى اجتمعوا في الشّعب عند العقبة و هم سبعون، أو ثلاثة و سبعون رجلاً و امرأتان.

و التقوا بالرّسولﷺ هناك في الدّار الّتي كانﷺ نازلاً فيها و هي دار عبدالمطّلب، و كان معه حمزة و عليّ والعبّاس.[4]

و بايعوه على أن يمنعوه و أهلَه ممّا يمنعون منه أنفسهم و أهليهم و أولادهم، و أن يُؤْوُوهم و ينصروهم، و على السّمع و الطّاعة في النّشاط و الكسل، و النّفقة في العسر و اليسر، و على الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر، و أن يقولوا في الله، و لا يخافوا لومة لائم، و تدين لهم العجم، و يكونون ملوكاً.[5]

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

١. طبقات ابن سعد، ج ١، قسم ١، ص ١٤٩.

٢. و يلاحظ هنا: مالهذا التوقيت من أهميّة، فلو انكشف أمرهم، فسيكون ذلك بعد تمام حجّهم و مفارقتهم للبلد، و لا يبقى مِن ثَمّ مجال للضّغط عليهم بشكل فعّال.

و يلاحظ كذلك: أمرهﷺ لهم بأن لا ينبهّوا نائماً و لا ينتظروا غائباً، و ذلك كي لا ينكشف أمرهم إذا لاحظ غيرهم عدم طبيعيّة تصرّفاتهم.

٣. تسلّل من الزّحام: انطلق في استخفاء.

٤. إعلام الورى، ص ٥٩، و تفسير القمي، ج ١، ص ٢٧٣، و البحار، ج ١٩، ص ١٢ – ١٣ و ٤٥ عنهما و عن قصص الأنبياء، و راجع: السيرة الحلبيّة، ج ٢، ص ١٦، و السيرة النبوية لدحلان، ج١، ص ١٥٢. مع الشك في هذا الأخير كما سنشير آنفاً.

٥. و يروي المالك (في الموطأ، المطبوع مع تنوير الحوالك، ج ٢، ص ٤) عن عبادة بن الصّامت: «بايعنا رسولَ اللهﷺ على السّمع و الطّاعة، في العسر و اليسر، و المنشط و المكره، و أن لا ننازع الأمر أهله، و أن نقول – أو نقوم – بالحقّ حيثما كنّا، لا نخاف في الله لومة لائم».

و قد أدرک العبّاس بن نضلة خطورة الموقف، و لا سيّما من قوله ﷺ: «و تدين لکم العجم و تکونون ملوکاً» و أنّهم مقدمون على مواجهة و مقاومة، ليس فقط مشرکي مکّة، أو الجزيرة العربيّة، و إنّما العالَم بأسره؛ فأحبّ أن يستوثق من الأمر و يفتح عيون المبايعين ليکونوا على بصيرة من أمرهم، حتّى لا يقولوا في يومٍ ما: لو کنّا نعلم أن الأمر ينتهي إلى هذا لم نقدم.

فقال لهم: يا معشر الأوس و الخزرج، تعلمون على ما تُقدمون عليه؟ إنّما تُقدمون على حرب الأحمر و الأبيض و على حرب ملوک الدّنيا؛ فإن علمتم أنّه إذا أصابتکم المصيبة في أنفسکم خذلتموه و ترکتموه، فلا تغرّوه؛ فإنّ رسول الله — و إن کان قومه خالفوه — فهو في عزّ و منعة.

فقال عبدالله بن حِزام — والد جابر — و أسعد بن زرارة و أبو الهيثم بن التَّيِّهان : مالَکَ و للکلام؟ يا رسول الله! بل دَمُنا بدمک و أنفسنا بنفسک، فاشترط لنفسک و لربّک ما شئت.[1]

و يذکر المؤرّخون: أنّ العبّاس بن عبدالمطّلب قد حضر بيعة العقبة، و أنّه أراد أن يستوثق لابن أخيه، فبدأ بالکلام و قال:

يا معشر الخزرج! إنّ محمّداً منّا حيث قد علمتم، و قد منعناه من قومنا، ممّن هو على مثل رأينا، فهو في عزّ من قومه و منعة في بلده؛ و قد أبى إلّا الانحياز إليکم[2] و اللّحوق بکم؛ فإن کنتم ترون أنّکم وافون بما دعوتموه إليه، و ما نعوه ممّن خالفه، فأنتم و ما تحمّلتم من ذلک؛ و إن کنتم ترون أنّکم مسلّموه و خاذلوه بعد الخروج به إليکم فمن الآن فدعوه، فإنّه في عزّ و مَنَعَة من قومه و بلده.[3]

---

۱. راجع: البحار، ج ۱۹، ص ۱۲ و ۱۳ عن إعلام الورى و راجع: دلائل النبوة للبيهقي، ج ۲، ص ۴۵۰ (ط . دار الکتب العلميّة) و تاريخ الخميس، ج ۱، ص ۳۱۸، و السيرة النبويّة لابن هشام، ج ۲، ص ۸۸، و البداية و النهاية، ج ۳، ص ۱۶، و السيرة النبوية لابن کثير، ج ۲، ص ۲۰۱.

۲. انحاز إليه: مال.

۳. إنّ ما نسب إلى العبّاس بن عبدالمطّلب في هذا الموقف، لا يصدر إلّا عن مسلم مؤمن تامّ

و بعد أن استمع إلى إجابتهم طلبﷺ منهم: أن يخرجوا له اثني عشر نقيباً؛[١] فأخرجوا له تسعة من الخزرج و ثلاثة من الأوس، فكانوا نقباءَ و كفلاءَ قومِهم. و عرفت قريش بالاجتماع، فهاجت، و أقبلوا بالسّلاح، و سمع الرّسولﷺ النّداء، فأمر الأنصار بالتّفرق، فقالوا: يا رسول الله، إن أمرتنا أن نميل عليهم بأسيافنا، فعلنا. فقالﷺ: لم أؤمَر بذلک، و لم يأذن الله لي في محاربتهم؛ فقالوا: يا رسول الله، فتخرج معنا؟ قال: أنتظر أمر الله.

فجاءت قريش على بكرة أبيها، قد حملوا السّلاح، و خرج حمزة، و معه السّيف، هو و علي بن أبي طالبعليه السلام. فلمّا نظروا إلى حمزة قالوا: ما هذا الّذي اجتمعتم له؟

فعمل حمزة بالتّقية من أجل الحفاظ على النّبيﷺ و المسلمين و الإسلام، فقال: ما اجتمعنا، و ما ههنا أحدٌ، والله لا يجوز أحدٌ هذه العقبة إلّا ضربته بسيفي، فرجعوا.

ولكن قريشاً قد تأكّدت بعد ذلک من صحّة الخبر؛ فخرجت في طلب الأنصار، فأدركوا سعد بن عبادة و المنذر بن عمير؛ فأمّا المنذر فأعجزهم، و أما سعد، فأخذوه و عذّبوه. فبلغ خبره جبير بن مطعم و الحارث بن حرب بن أميّة، فأتياه و خلّصاه؛ لأنّه كان يجير لهما تجارتهما، و يمنع النّاس من التّعدي عليهما.[٢]

الإيمان؛ مع أنّه بقي على شركه إلى وقعة بدر و خرج لحرب النّبيﷺ فيها مُكرَهاً و أسلم. والّذي نرجّحه: هو أنّ الّذي كان حاضراً في بيعة العقبة و تكلّم بكلام يهدف منه إلى شدّ العقدة لهﷺ هو العبّاس بن نضلة الأنصاري (راجع: الإصابة، ج ٢، ص ٢٧١، و البحار، ج ١٩، ص ١٢، و السيرة الحلبيّة، ج ٢، ص ١٧، و السيرة النبوية لدحلان، ج ١، ص ١٥٣) و ليس العبّاس بن عبد المطّلب؛ و لذا يلاحظ مدى التّشابه بين كلاميهما المنقول و المنسوب إليهما؛ فلعلّ الأمر قد اشتبه على الرّاوي بين العبّاسين، لتشابه الإسمين؛ أو لعلّ العبّاسيّين أرادوا إثبات فضيلة جليلة لجدّهم بهدف الحصول على مكاسب من نوع معيّن؛ و لعلّ، و لعلّ.

١. أي كفيلاً يكفل قومه.

٢. راجع: البحار، ج ١٩، ص ١٢ – ١٣، و إعلام الورى، ص ٥٧، و تفسير القمي، ج ١، ص ٢٧٢ و ٢٧٣، و تاريخ الخميس، ج ١، ص ٣١٨ – ٣١٩، و دلائل النبوة للبيهقي (ط. دار الكتب العلمية) ج ٢، ص ٤٥٠ و غير ذلک من الكتب التاريخي و الحديثي.

و كانت بيعة العقبة الثّانية قبل هجرة الرّسول ﷺ إلى المدينة بثلاثة أشهر.[١]

لماذا النقباء؟!

إنّ من طبيعة العربي الالتزام بالعهد، و الوفاء بالذّمار، و تعتبر كلّ قبيلة: أنّها مسؤولة عن الوفاء بما يلتزم به أحد أفرادها، أو حلفائها عليها.

و عندما بايع الأنصار النّبيّ ﷺ على الإيمان والنّصرة، أراد أن يَلزمهم ذلك بشكل مُحدّد، بحيث يستطيع أن يجد في المستقبل مَن يطالبه بالوفاء بالالتزامات و العهود، و كان أولئك النّقباء هم الّذين يتحمّلون مسؤوليّة الوفاء بتلك الالتزامات؛ و هم الّذين يمكن مطالبتهم بذلك؛ لأنّهم هم الكفلاء لقومهم، برضى منهم و من قومهم على حدّ سواء.

أمّا إذا ترك الأمور في مجاريها العامّة، فلربّما يمكن لكلّ فرد أن يتملّص[٢] و يتخلّص من التزاماته، و يلقي التّبعة على غيره و يعتبر أنّ ذلك غير مطلوب منه، و لا يمكن بحسب تصوّره أن يكون هو كفرد مسؤولاً عنه؛ و أمّا بعد أن التزم ذلك أفراد معيّنون، كلّ واحد منهم من قبيلة، فإنّ المسؤوليّة قد أصبحت مُحَدَّدةً، و يمكن مطالبتهم بالوفاء بالتزاماتهم، كلّما دعت الحاجة إلى ذلك، لا سيّما في مواقف الحرب و الدّفاع.

---

١. كذا في الأصل و هو موافق لما ذكره الحاكم من أنّ خروجه ﷺ من مكّة كان بعد بيعة العقبة بثلاثة أشهر أو قريباً منها، و لكن يجزم بعض الرّواة و منهم ابن إسحاق أنّه خرج أوّل يوم من ربيع الأوّل و أنّه قدم المدينة لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأوّل، أي بعد بيعة العقبة بشهرين و بضعة عشر يوماً.

٢. تملّص منه: تخلّص.

الفصل الثّامن

هجرة المسلمين إلى المدينة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ابتداء هجرة المسلمين إلى المدينة

يقول المؤرّخون: إنّه بعد أن عقد النّبيّ صلى الله عليه و آله بيعة العقبة الأولى - على الظّاهر - مع أهل المدينة و لم يقدر أصحابه أن يقيموا بمكّة بسبب إيذاء المشركين، رخّص لهم بالهجرة إلى المدينة، فخرجوا أرسالاً،[1] و بقي صلى الله عليه و آله بمكّة ينتظر أن يؤذن له.

و جدير بالتّسجيل هنا أن نشير إلى دوافع الهجرة من مكّة إلى المدينة بمايلي:

أوّلاً: إنّ مكّة لم تعد أرضاً صالحة للدّعوة، فقد حصل النّبيّ صلى الله عليه و آله منها على أقصى ما يمكن الحصول عليه، و لم يبق بعد أي عمل في دخول فئات جديدة في الدّين الجديد، في المستقبل القريب على الأقلّ، و قد كان ثمّة مبرّر لتحمّل الأذى و المصاعب، حينما كان يؤمّل أن تدخل في الإسلام جماعات تقويه و تشدّ من أزره.

أمّا بعد أن أعطت مكّة كلّ مالديها، فأخرجت جماعات من شبّان المؤمنين و من المستضعفين، و لم يبق فيها إلّا ما يوجب الصدّ عن سبيل الله، فإنّ البقاء في مكّة ليس فقط لا مبرّر له، بل هو خيانة للدّعوة الإسلاميّة و مساعدة على حربها و القضاء عليها، و لا سيّما بعد أن جنّدت[2] قريش كلّ طاقاتها للصدّ عن سبيل الله و إطفاء نوره، و يأبى الله إلّا أن يتمّ نوره و لو كره المشركون.

نعم، لقد كان لابدّ من الانتقال إلى مركز آخر تضمن الدّعوة فيه لنفسها حرّية

---

1. خرجوا أرسالاً: أي قطائع و أفواجاً.

2. جنّد الجنود: جمّعها.

الحركة في القول و العمل بإطمئنان خاطر، بعيداً عن ضغوط[١] المشركين و في منأي عن مناطق سيطرتهم و نفوذهم.

و لقد رأينا أنّهم كانوا يلاحقون تحرّكات النّبيﷺ و يرصدونها بدقّة، و يتهدّدون، بل و يعذّبون كلّ من يدخل في هذا الدّين الجديد، و يُخيفون كلّ من يحتمل دخولهم فيه.

ثانياً: إنّ الإسلام و ممثّله و داعيته الرّسول الأعظمﷺ لا يمكن له أن يقتنع بهذا النّصيب المحدود من التّقدم؛ لأنّ دينه دين البشريّة جمعاء: «وَ ما أَرْسَلْناكَ إلاّ كَافَّةً لِلنَّاسِ»[٢].

و ما حصل عليه حتّى الآن لا يمكّنه من تطبيق تشريعات الإسلام كافّة، و تحقيق كامل أهدافه، و لا سيّما بالنّسبة إلى ذلک الجانب، الّذي يعالج مشاكل النّاس الاجتماعيّة و غيرها ممّا يحتاج إلى القوّة و المنعة في مجال فرض القانون و النّظام.

ثالثاً: و لقد صمد أولئک الّذين أسلموا سنوات طويلة في مواجهة التّعذيب و الظّلم و الاضطهاد، حتّى لقد فرّ قسم منهم بدينه إلى بلاد الغربة، و بقي الباقون يواجهون محاولات فتنتهم عن دينهم بمختلف وسائل القهر تارة و بأساليب متنوّعة من الإغراء أخرى.

و إذا استثنينا أشخاصاً معدودين، كحمزة، أسد الله و أسد رسوله، و بعض من كانت لهم عشائر تمنعهم[٣]، فإنّ بقيّة المسلمين كانوا غالباً من ضعفاء النّاس، الّذين لا يستطيعون حيلةً، و لا يجدون سبيلاً إلّا الصّبر و تحمّل الأذى.

---

١. الضَغطة: الضّيق و الإكراه و الشّدة.

٢. سبأ : ٢٨.

٣. و حتّى هؤلاء فإنّهم لم يسلموا من الاضطهاد النّفسي و المقت الاجتماعي المُرّ، و لربّما يكون ذلک بالنسبة لبعضهم أشدّ من التعذيب الجسدي، تبعاً لنسبة الوعي و الشّعور المرهف الّذي كان يمتاز به بعضهم على غيره.

و إذا فرض عليهم أن يستمرّوا في مواجهة هذه الآلام و المشاقّ، دو نما أملٍ أو رجاءٍ، فمهما كانت قناعتهم بهذا الدّين قويّةً و راسخةً؛ فإنّ من الطّبيعي – و الحالة هذه – أن يتطرّق اليأس إلى نفوسهم، ثمّ الهروب و الملل من حياة كهذه.

رابعاً؛ لقد رأت قريش أخيراً أنّها قد اهتدت للطّريقة الّتي تستطيع بواسطتها أن تقتل النّبيّ صلى الله عليه و آله دون أن تكون مسؤولةً أمام الهاشميين بشكل مُحدّد، أو بالأخرى، دون أن يستطيع الهاشميّون أن يطالبوا بدم النّبيّ صلى الله عليه و آله و ذلك بأن يقتله عشرة، كلّ واحد منهم من قبيلة، فيضيع دمه في القبائل، و لا يستطيع الهاشميّون مقاومتها جميعاً، لأنّهم إمّا أن يقاتل القبائل كلّها، و تكون الدّائرة عليهم، و إمّا يقبلوا بالدّية، و هو الأرجح.

و إذا قُتل النّبيّ صلى الله عليه و آله فإنّ القضاء على غيره من أتباعه يكون أسهل و أيسر؛ بل و حتّى لو تركوهم على ما هم عليه، فإنّ أمرهم لسوف يصير إلى التّلاشي و الاضمحلال. و بعد كلّ ما تقدم يتضح: أنّه كان لابدّ للنّبي الأعظم صلى الله عليه و آله و لمن معه من المسلمين من الخروج من مكّة إلى مكان أمن و سلام، لا يشعرون فيه بأي ضغط، يملكون فيه حريّة الحركة و حريّة التّخطيط لبناء مجتمع إسلامي يكون فيه النّبيّ صلى الله عليه و آله قادراً على القيام بنشر دعوته و إبلاغ رسالته على النّحو الأفضل و الأكمل.

سرّ اختيار المدينة

و أمّا عن سرّ اختيار النّبيّ صلى الله عليه و آله للمدينة بالذّات داراً لهجرته، و منطلقاً لدعوته دون غيرها – كالحبشة مثلاً – فذلك يرجع إلى عدّة عوامل، نذكر منها مايلي:

١. إنّ مكّة كانت تتمتّع بمكانة خاصّة في نفوس النّاس و بدون السّيطرة عليها و القضاء على نفوذها الوثني، و استبداله بالنّفوذ الإسلامي، فانّ الدعوة كانت بحاجة إلى مكّة بنفس القدر الّذي كانت مكّة بحاجة فيه إلى الدّعوة.

فلابدّ من اختيار مكان قريب منها، يمكن أن يمارس منه عليها رقابة و نوعاً من الضّغط السّياسي و الاقتصادي، و حتّى العسكري، إن لزم الأمر في الوقت المناسب، حينما لابدّ له من أن يفرض سلطته عليها.

و المدينة، هي ذلك الموقع الّذي تتوفّر فيه مقوّمات هذا الضّغط، فهي تستطيع مضايقة مكّة اقتصاديّاً، لوقوعها على طريق القوافل التّجاريّة المكيّة، و قريش تعيش على التّجارة بالدرجة الأولى.

كما أنّ ذلک يهيّيء للنّبيﷺ الفرصة لعرض دعوته على القوافل الّتي تتجّه من بلاد الشّام و الأردن و فلسطين و غيرها إلى مكّة، و التّمهيد لإفشال كثير من الدّعايات الّتي يمكن للمكّيين أن يطلقوها ضدّ الإسلام و أهله.

٢. إنّ الهجرة إلى المدينة هي الحلّ المفروض، الّذي لاخيار معه؛ و ذلک لأنّ الهجرة إلى الطّائف لم تكن بالّتي تجدي نفعاً، بعد أن رأينا: أنّ أهلها رفضوا الاستجابة إلى النّبيﷺ حينما هاجر إليهم.

و أمّا اليمن، و فارس، و الرّوم، و بلاد الشّام و غيرها، فقد كانت خاضعة لسلطة الدّولتين العظيمتين، اللّتين لن يكون نصيب الرّسول والرّسالة منهما سوى المتاعب و الأخطار الجسيمة، و لسوف نرى أنّ كسرى قد حاول أن يقوم بعمليّة خطيرة تجاه الرّسول و رسالته حينما أرسل إليه ﷺ يدعوه إلى الإسلام.

و امّا الحبشة فهي بحكم موقعها الجغرافي مفصولة عن مكّة؛ كما أنّها بحكم واقعها الاجتماعي، و السياسي، و البشري، و العنصري، و بحكم كونها بلداً أفريقيّاً، فإنّها ليست بلداً قادراً على أن يقود عمليّة التغيير العالميّة الشّاملة، لا اقتصادياً، و لا سياسيّاً، و لا عسكريّاً، و لا حتّى فكريّاً و اجتماعيّاً.

٣. إنّ أهل المدينة أنفسهم قد طلبوا ذلک من النّبيﷺ و بايعوه بيعة العقبة، و وعدوه النّصر؛ و النّبيﷺ إنّما يتصرّف وفق الإرادة الإلهيّة الّتي لاتغيب عنها تلک المصالح و سواها؛ فالله هو الّذي يرعاه و يسدّده.

و هكذا يتّضح: أنه ليس ثمّة إلّا المدينة، و المدينة فقط، موقعاً مناسباً للهجرة، فكانت الهجرة إليها.

القسم الثّالث

من الهجرة حتّى الرّحلة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الاول

هجرة الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المؤامرة

و اجتمع أشراف قريش في دار النّدوة[1] و لم يتخلّف منهم أحدٌ من بني عبد شمس، و نوفل، و عبد الدّار، و جمح، و سهم، و أسد ، و مخزوم و غيرهم، و شرطوا أن لا يدخل معهم تهاميّ؛ لأنّ هواهم كان مع محمّد ﷺ.[2] كما أنّهم قد حرصوا على أن لا يكون عليهم من الهاشميّين، أو مَن يتّصل بهم عين أو رقيبٌ.[3]

و تذكر الرّوايات: أنّ إبليس قد دخل معهم بصفة شيخ نجدي؛[4] و تشاوروا فيما بينهم مايصنعون بمحمّدٍ؟ فذكروا الحبس في الحديد، فرأوا أنّ من الممكن أن يتّصل بأنصاره و يطلقوا سراحه، و ذكروا النّفي إلى بعض البلاد، فرأوا أنّ ذلک يمكّن الرّسول من نشر دينه، فاستقرّ رأيهم أخيراً على اقتراح أبي جهل، أو إبليس

---

1. هي دار قصي بن كلاب الّتي كانت قريش لا تقضي أمراً إلّا فيها يتشاورون فيها ما يصنعون أمر رسول الله ﷺ حين خافوه.

2. تاريخ الخميس، ج ١، ص ٣٢١، و السيرة الحلبيّة، ج ٢، ص ٢٥، و راجع: نور الأبصار، ص ١٥

3. راجع: المصادر السابقة.

4. تاريخ الأمم و الملوک، ج ٢، ص ٦٨، و البداية و النهاية، ج ٣، ص ١٧٥، و تاريخ الخميس، ج ١، ص ٣٢١ – ٣٢٢. قال السّهيلي: و إنّما قال لهم الشيخ: إنّي من أهل نجد؛ لأنّهم قالوا: لايدخلّن معكم في المشاورة أحد من أهل تهامه، لأنّ هواهم مع محمّد؛ فلذلک تمثّل لهم في صورة شيخ نجدي.

بأن يأخذوا من كلّ قبيلة شابّاً جَلْداً[١] قويّاً، حسيباً في قومه، نسيباً و سيطاً،[٢] و يعطى كلّ منهم سيفاً صارماً، و يدخلوا على النّبي صلى الله عليه و آله بأسيافهم، فيضربونه ضربة رجلٍ واحد، فيقتلونه و يتفرّق دمه في القبائل؛ لأنّ بني عبد مناف لا يقدرون على حرب قومهم جميعاً، فيضطرّون إلى القبول بالدّية، فيعطونهم إيّاها، و ينتهي الأمر.

و لكنّه قد أخبر الله تعالى نبيّه بهذه المؤامرة عن طريق الوحي: «وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللَّهُ[٣] وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ»[۴].

مبيت عليّ عليه السلام و هجرة النّبيّ صلى الله عليه و آله

إنّ أولئك القوم الّذين انتدبتهم قريش من قبائلها العشر، أو الخمس عشرة، اجتمعوا على باب النّبي صلى الله عليه و آله – و هو باب عبدالمطّلب على ما في بعض الرّوايات[۵] – يرصدونه، يريدون بياته، و كانوا عشرة، أو خمسة عشر رجلاً، بل أكثر على اختلاف النّقل، بل قيل : إنّهم كانوا مئة رجلٍ.[۶]

فأمر صلى الله عليه و آله أميرالمؤمنين، عليّاً عليه السلام بالمبيت على فراشه، بعد أن أخبره بمكر

---

١. الجَلْد: الشّديد القوي.

٢. الوسيط : الشّريف في قومه.

٣. المكر الإلهي هنا: هو التّدبير السرّي لإفشال عمل يعزم عليه الغير.

۴. الانفال : ٣٠.

۵. البحار، ج ١٩، ص ٧٣ عن الخرائج و الجرائح.

۶. السيرة الحلبيّة، ج ٢، ص ٢٨٠، و نور الأبصار، ص ١۵.

و نحن نستبعد هذا العدد الأخير، و ذلك لمخالفته لسائر الرّوايات، مع أنّ ما ذكرته الرّواية من أنّ عدد القبائل كان مئة قبيلة، لا نجد له ما يؤيّده، و احتمال أن يكون قد خرج من كلّ قبيلة أكثر من واحدٍ ينافيه التّصريح بأنّ الخارجين كانوا واحداً من كلّ قبيلة.

قريش، فقال عليعليه السلام: أو تسلم بمبيتي هناك يا نبي الله؟ قال: نعم. فتبسّم عليعليه السلام ضاحكاً و أهوى إلى الأرض ساجداً، شكراً لله، فنام على فراش النّبيﷺ، و اشتمل ببُرده الحضرمي. ثمّ خرج النّبيّ في فحمة العشاء،[١] و الرّصد من قريش قد أطافوا بداره ينتظرون، و هو يقرأ هذه الآية: «وَ جَعَلْنا مِنْ بَينِ أيديهِمْ سَدّاً وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأغْشَيناهُمْ فَهُمْ لا يبْصِرُونَ»[٢].

و كان بيده قبضة من تراب فرمى بها في رؤوسهم و مَرّ من بينهم، فما شعروا به،[٣] و أخذ طريقه إلى غار ثور؛[٤] فلقي أبابكر في الطّريق، و كان أبوبكر قد خرج ليتنسّم الأخبار، و ربّما يكون استصحبه معه، لكي لا يَسْئله سائل إن كان قد رأى رسولَ اللهﷺ، فيقرّ لهم بأنّه رآه، ثمّ يدلّهم على الطّريق الّتي سلكها خوفاً من أن يتعرّض لأذاهم، أو خطأ، أو لأي داع آخر.

و ذكر الرّاوندي: «أنّهﷺ مشى و هم لا يرونه، فرأى أبابكر قد خرج في اللّيل يتجسّس من خبره،و قد كان وقف على تدبير قريش من جهتهم، فأخرجه معه إلى الغار».[٥]

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

١. فَحْمَةُ اللّيل: أوّله، أو أشدّ سواده، أو ما بين غروب الشّمس إلى نوم النّاس، خاصّ بالصّيف.

٢. يس: ٩.

٣. و لعلّ هذه القبضة من تراب قد أشغلتهم بأنفسهم، و صرفت قلوبهم عن التّدقيق في رصد موضوع خروج النّبيﷺ، لا سيّما مع وجود ظلمة قويّة، فإنّهم كانوا في فَحْمَة العشاء و تحتاج الرّؤية فيها إلى المزيد من التّنبه إلى إحداد النّظر في نقطة بعينها.

٤. ثور، اسم جبل بأسفل مكّة على طريق الطّائف و يعرف بـ«غار ثور» نسبةً لثور بن عبد مناة لأنّه ولد عنده (معجم البلدان، ج ٢، ص ٨٦ – ٨٧).

٥. راجع: البحار، ج ١٩، ص ٧٣ عن الخرائج و الجرائح. إذا صحّ هذا، فيرد سؤال : كيف لم يخبر أبوبكر النّبيّ بأمرهم؟! إلّا أن يقال: إنّه إنّما جاء ليخبر النّبيّﷺ بذلك: و لكنّ الأهمّ من ذلك: كيف أطلعت قريش أبابكر على تدبيرها مع حرصها الشّديد عن التّكتّم فيه، عن كلّ من له بالنّبي أدنى صلة.

قالوا: و جعل المشركون يرمون علياً عليه السلام بالحجارة – كما كانوا يرمون رسولَ الله ﷺ – و هو يتضوّر[1]، و قد لفّ رأسه في الثّوب لا يخرجه حتّى أصبح، فهجموا عليه، فلمّا بصر بهم على قد انتضوا السّيوف[2] و أقبلوا عليه،يقدمهم خالد بن وليد، وثب له علي عليه السلام فختله،[3] و همز يده[4]، فجعل خالد يقمص قِماص البَكر[5]، و يَرغو رغاء الجمل،[6] و أخذ من يده السّيف، و شدّ عليهم بسيف خالد، فأجفلوا أمامه إجفال النّعم[7] إلى خارج الدّار، و تبصّروه، فإذا علي عليه السلام.

قالوا: و إنّک لعلي؟

قال: أنا علي.

قالوا: فإنّا لم نردک؛ فما فعل صاحبک؟

قال: لا علم لي به. [8]

فكان من الطّبيعي أن يتراجعوا عنه، و أن يسرعوا إلى قومهم لإخبارهم بما جرى ليتدبّروا الأمر قبل فوات الأوان.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قريش في طلب النّبيّ ﷺ

فَأذكَت[9] قريش العيونَ و ركبوا في طلب النّبيّ ﷺ الصّعب و الذّلول، و اقتفوا

۱. أي يتلوّي و يتقلّب.

۲. انتضى السّيف: استلّه من غمده.

۳. ختله: خدعه عن غفلة.

۴. همزه: غمزه و ضغطه و دفعه.

۵. قمص البَكر:استنّ أي رفع يديه معاً و طرحهما معاً و عجن برجليه؛ والبَكر:الفتى من الإبل.

۶. رغا الجمل: صوّت فضجّ.

۷. أجفل القوم: أسرعوا الهرب.

۸. أمالي الشّيخ الطوسي، ج ۲، ص ۸۲ – ۸۳.

۹. أذكي عليه العيون – من ذكو – أرسل عليه الطّلائع.

أثره، حتّى وصل القائف[1] إلى نقطة لحوق أبي بكر به، فأخبرهم أنّ من يطلبوه صار معه هنا رجل آخر.

و استمرّوا يقتفون الأثر، حتّى وصلوا إلى باب الغار، آلذي كان مغطّى بأغصان الشّجرة، فصرفهم الله عنه، حيث كانت العنكبوت قد نسجت على باب الغار و باضت في مدخله حمامة و حشيّة، كما يذكرون؛ فاستدلّوا من ذلك من أنّ الغار مهجورٌ، لم يدخله أحد و إلّا لتخرّق النّسج و تكسّر البيض، و لم تستقرّ الحمامة الوحشيّة على بابه.

و أمهل أميرالمؤمنينعليه‌السلام إلى اللّيلة القادمة، فانطلق تحت جنح الظّلام، هو و هند بن أبي هالة حتّى دخلا الغار على رسول اللهﷺ فأمر الرّسول هنداً أن يبتاع له و لصاحبه بعيرين. فقال أبوبكر: قد كنت أعددت لي و لك يا نبي الله راحلتين ترتحلهما إلى يثرب. فقال: إنّي لا آخذهما، و لا أحدهما إلّا بالثّمن. قال فهي لك بذلك. فأمر عليّاًعليه‌السلام فأقبضه الثّمن.[2]

ثمّ أوصاه بحفظ ذمّته و أداء أماناته – و كانت قريش و من يقدم مكّة من العرب في الموسم يستودعون النّبيﷺ و يستحفظونه أموالهم و أمتعتهم – و أمره أن ينادي صارخاً بالأبطح غُدوةً و عشيّاً: «من كان له قِبَل محمدٍ أمانة فليأت، فلنؤدّ إليه أمانته». ثمّ استخلفه على ابنته فاطمةعليها‌السلام و قال: إنّي مستخلفك على فاطمة ابنتي و مستخلف ربّي عليكما و مستحفظه فيكما.

---

۱. القائف، آلذي يتبع الآثار.

۲. البحار، ج ۱۹، ص ۶۲، و أمالي الطوسي، ج ۲، ص ۸۳ و راجع: وفاء الوفاء، ج ۱، ص ۲۳۷.

إنّ ثمّة نصّاً يقول: إنّ أميرالمؤمنينعليه‌السلام قد اشترى للنّبيﷺ ثلاثاً من الإبل و استأجر الأريقط بن عبدالله، و أرسل الإبل معه إلى النّبيﷺ ليلة الخروج من الغار (ترجمة الإمام عليعليه‌السلام من تاريخ ابن عساكر بتحقيق المحمودي، ج ۱، ص ۱۳۸) فلعلّه اشترى الإبل من أبي بكر و استلمها و أرسلها إلى النّبيﷺ مع الأريقط.

و بعد أن أقامﷺ في الغار ثلاثا، انطلق يؤمّ المدينة.[1]

من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله؟!

قد ورد: أنّ الله تعالى أوحى إلى جبرائيل و ميكائيل: إنّي أخيت بينكما و جعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيّكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلاهما الحياة. فأوحى الله إليهما: ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب، آخيت بينه و بين محمّدﷺ فبات على فراشه يفديه بنفسه، و يؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوّه. فنزلا، فكان جبرائيل عند رأسه، و ميكائيل عند رجله، و جبرائيل ينادي: بخٍ بخٍ من مثلك يابن أبي طالب، يباهي الله به الملائكة. فأنزل الله عزّوجلّ: «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ[2] »[3].

قال الإسكافي: و قد روي المفسّرون كلّهم: أنّ الآية نزلت في عليعليه السلام ليلة المبيت على الفراش.[4]

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

۱. امالي الطوسي، ج ۲، ص ۸۱ و ۸۲، و البحار، ج ۱۹، ص ۶۱ و ۶۲.

۲. البقره : ۲۰۷.

۳. راجع: أسد الغابة، ج ۴، ص ۲۵ . و المستجاد للتّنوخي، ص ۱۰، و ثمرات الأوراق، ص ۳۰۳، و تفسير البرهان، ج ۱، ص ۲۰۷، و إحياء العلوم، ج ۳، ص ۲۵۸، و تاريخ اليعقوبي، ج ۲، ص ۳۹، و كفاية الطّالب، ص ۲۳۹، و شواهد التّنزيل، ج ۱، ص ۹۵، و نور الأبصار، ص ۸۶، و الفصول المهمة لابن الصباغ، ص ۳۱، و تذكرة الخواص، ص ۳۵ عن الثعلبي و... .

۴. راجع: شرح النهج، ج ۱۳، ص ۲۶۲.

الفصل الثّاني

إلى المدينة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

في الطّريق إلى المدينة

عن أبي عبدالله عليه السلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا خرج من الغار متوجّهاً إلى المدينة. و قد كانت قريش جعلت لمن أخذه مئة من الإبل، خرج سراقة بن جُشْعُم[1] فيمن يطلب، فلحق رسول الله، فقال صلى الله عليه وآله: أللّهم اكفني سراقة بما شئت؛ فساخت قوائم فرسه، فثنى رجله ثم اشتدّ. فقال: يا محمّد، إني علمت أنّ الّذي أصاب قوائم فرسي إنّما هو من قِبَلك، فادع الله أن يُطلق إلى فرسي، فلعمري إن لم يصبكم خير منّي لم يصبكم منّي شرّ.

فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وآله فأطلق الله عزّوجلّ فرسه؛ فعاد في طلب رسول الله، حتّى فعل ذلک ثلاث مرّات؛ فلمّا أطلقت قوائم فرسه في الثّالثة، قال: يا محمّد، هذه إبلي بين يديک، فيها غلامي؛ فإن احتجت إلى ظهر أو لبن فخذ منه؛ و هذا سهم من كنانتي علامةً و أنا أرجع فأردّ عنک الطّلب. فقال صلى الله عليه وآله: لا حاجة لي فيما عندک.[2]

و سار صلى الله عليه وآله حتّى بلغ خيمة أمّ معبد، فنزل بها و طلبوا عندها قرى، فقالت: ما يحضرني شيءٌ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى شاةٍ في ناحيةٍ قد تخلّفت من الغنم لضرّها، فقال: أتأذنين في حلبها؟ قالت: نعم، لا خير فيها.

فمسح يده على ظهرها، فصارت من أسمن ما يكون من الغنم، ثم مسح يده

---

١. كذا في الأصل، و الظّاهر أنّ الصّحيح هو سراقة بن مالک بن جعشم كما في المصدر.

٢. الرّوضة من الكافي، ص ٢٦٣. و لعلّ رفض النّبي صلى الله عليه وآله ما عرضه عليه سراقة قد كان من منطلق: أنّه صلى الله عليه وآله لا يريد أن يكون لمشركٍ يد عنده.

على ضرعها، فأرخت ضرعاً عجيباً، و درت لبناً كثيراً، فطلب ﷺ العس و حلب لهم فشربوا جميعاً حتّى رووا.... [۱]

و ليس ذلک كلّه بكثير على النّبيّ الأعظم ﷺ و كراماته الظّاهرة، و معجزاته الباهرة، فهو أشرف الخلق و أكرمهم على الله من الأوّلين و الآخرين إلى يوم الدّين.

و استمرّ ﷺ في هجرته المباركة حتّى قرب من المدينة، فنزل بادئ ذي بدء في قُباء في بيت عمرو بن عوف، فأراده أبوبكر على دخول المدينة، و ألاصَه، [۲] فأبى، و قال: ما أنا بداخلها حتّى يقدم ابن أمّي و أخي، و ابنتي، يعني عليّاً و فاطمة عليهما السلام. [۳]

فلمّا أمسى فارقه أبوبكر و دخل المدينة، و نزل على بعض الأنصار، و بقي رسول الله ﷺ بقباء نازلاً على كلثوم بن الهِدْم [۴] ينتظر أميرالمؤمنين عليه السلام.

ثمّ كتب إلى أخيه علي عليه السلام كتاباً يأمره بالمسير إليه و قلّة التلوّم [۵] و أرسل الكتاب مع أبي واقد اللّيثي. فلمّا أتاه كتاب النّبي ﷺ تهيّأ للخروج و الهجرة، فأعلم من كان معه من ضعفاء المؤمنين و أمرهم أن يتسلّلوا و يَتَخَفَّوا [۶] تحت جنح اللّيل إلى ذي طوى؛ و خرج بفاطمة، بنت الرّسول، و أمّه فاطمة بنت أسد، و فاطمة، بنت

---

۱. راجع: تاريخ الخميس، ج ۱، ص ۳۳۴، و البحار، ج ۱۹، ص ۴۱ و ۴۲، و دلائل النبوّة، ج ۱، ص ۲۷۹، و السيرة الحلبيّة، ج ۲، ص ۴۹ و ۵۰ و غير ذلک من المصادر. و حديث أمّ معبد مشهور بين المؤرّخين، و النّص المذكور هنا هو للبحار، ج ۱۹، ص ۷۵ – ۷۶ عن الخرائج و الجرائح.

۲. ألاصه: أداره على الشيء الّذي يريده.

۳. راجع: الفصول المهمة، ص ۳۵ من دون ذكر للاسم، و أمالي الطوسي، ج ۲، ص ۸۳، و إعلام الورى، ص ۶۶، و البحار، ج ۱۹، ص ۶۴ و ۱۰۶ و ۱۱۵ و ۱۱۶ و ۷۵ و ۷۶ و ج ۲۲، ص ۳۶۶.

۴. اعلام الورى، ص ۶۶ و البحار، ج ۱۹، ص ۱۰۶ عنه.

۵. تلوّم في الأمر تلوّماً: تمكّث فيه و انتظر.

۶. تخفّي تخفّياً: تستّر و تكلّف الخفاء.

الزّبير بن عبدالمطّلب و تبعهم أيمن ابن أمّ أيمن مولى رسول الله و أبو واقد، فجعل يسوق بالرّواحل، فأعنف بهم، فأمره عليه‌السلام بالرّفق فاعتذر بخوفه من الطّلب... .

و لمّا بلغ النّبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله قدوم علي عليه‌السلام ، قال: ادعوا لي عليّاً. قيل: يا رسول الله لا يقدر أن يمشي. فأتاه بنفسه، فلمّا رآه اعتنقه و بكى رحمة لما بقدميه من الورم و كانت تقطران دماً، فتفل النّبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله في يديه و مسح بهما رجليه و دعا له بالعافية، فلم يعد يشتكي منهما حتّى استشهد.

ثم قال لعلي: «يا علي، أنت أوّل هذه الأمّة إيماناً بالله و رسوله، و أوّلهم هجرةً إلى الله و رسوله، و آخرهم عهداً برسوله؛ لا يحبّك - و الّذي نفسي بيده - إلّا مؤمن قد امتحن قلبه للايمان و لا يبغضك إلّا منافق أو كافر».[۱]

و كان نزول علي عليه‌السلام بقباء في النّصف من ربيع الاول[۲]. و كانت إقامته بقباء ليلة أو ليلتين.[۳]

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

تأسيس مسجد قبا

و خلال إقامته صلى‌الله‌عليه‌وآله في قباء أسّس مسجد قباء المعروف، و يبدوا أنّ صاحب الفكرة، و المباشر أوّلاً في وضع المسجد هو عمّار بن ياسر.[۴]

و مسجد قباء هو المسجد الّذي نزل فيه قوله تعالى: «لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى

---

۱. راجع: أمالي الشيخ الطوسي، ج ۲، ص ۸۳ - ۸۶، و البحار، ج ۱۹، ص ۶۴ - ۶۷ و ۸۵، و تفسير البرهان، ج ۱، ص ۳۳۲ و ۳۳۳ عن الشيباني في نهج البيان، و عن الاختصاص للشيخ المفيد، و المناقب لابن شهر آشوب، ج ۱، ص ۱۸۳ و ۱۸۴، و إعلام الورى، ص ۱۹۰ و راجع: إمتاع الأسماع للمقريزي، ج ۱، ص ۴۸، و أسد الغابة، ج ۴، ص ۱۹.

۲. راجع: إمتاع الأسماع، ص ۴۸.

۳. السيرة النبوية لابن هشام، ج ۲، ص ۱۳۸.

۴. وفاء الوفاء ج ۱، ص ۲۵۰، و السيرة الحلبية، ج ۲، ص ۵۵، عن ابن هشام و غير ذلك.

التَّقوى مِنْ أوَّلِ يومٍ أحَقُّ أنْ تَقُومَ فِيهِ ...»[١].

و هو أوّل مسجدٍ بني في الإسلام، كما صرّح به ابن الجوزي و غيره،[٢] و الظّاهر أنّ تأسيسه كان بعد قدوم أميرالمؤمنين عليه السلام؛ إذ قد ورد: أنّه صلى الله عليه وآله قد أمر أبابكر بأن يركب النّاقة و يسير بها ليخطّ المسجد على ما تدور عليه، فلم تنبعث به؛ فأمر عمر، فكذلک؛ فأمر عليّاً عليه السلام فانبعثت به، ودارت به، فأسّس المسجد على حسب ما دارت عليه، و قال صلى الله عليه وآله: إنّها مأمورة.[٣]

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

١. التوبة: ١٠٨.

٢. المصدرين المتقدمين و أيضا: التّراتيب الإدارية، ج ٢، ص ٧۶.

٣. راجع: وفاء الوفاء، ج ١، ص ٢٥١، و تاريخ الخميس، ج ١، ص ٣٣٨ و تاريخ جرجان، ص ١۴۴ (لكن في العبارة سقط).

الفصل الثّالث

أعمال تأسيسيّة في مطلع الهجرة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ورود النّبيّ ﷺ المدينة

بعد خمسة عشر يوماً[1] من إقامته ﷺ في قُباء تحرّك إلى داخل المدينة، و قد اختلف المؤرّخون في التّاريخ الدّقيق لخروجه ﷺ من مكّة و دخوله قباء ثمّ المدينة اختلافاً كثيراً، مع اتّفاقهم على أنّه قد دخلها في أوائل ربيع الاول.[2] و قد حقّق العلّامة المجلسي: أنّ هجرته كانت في يوم الإثنين أوّل ربيع الأوّل، و وروده المدينة في يوم الجمعة الثّاني عشر منه، كما ذهب إليه المفيد، و ادّعى البعض الإجماع عليه.[3]

و في يوم الجمعة ركب راحلته و توجّه إلى المدينة و صلّى الجمعة و هو في طريقه إلى المدينة.[4] و لا يمرّ ببطن من بطون الأنصار إلّا قاموا إليه يسئلونه أن ينزل عليهم، فيقول: خلّوا سبيل النّاقة فإنّها مأمورة.

فانطلقت به و رسول الله ﷺ واضع لها زمامها حتّى انتهت إلى موضع مسجد

---

١. البحار، ج ١٩، ص ١٠٦ عن إعلام الورى، و السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٥٥ عن البخاري، و عن مسلم: أنّه أقام ١٤ يوماً، و قيل غير ذلک.

٢. راجع: البحار، ج ٥٨، ص ٣٦٦، و المواهب اللّدنيّة، ج ١، ص ٦٧، و تاريخ الخميس، ج ١، ص ٣٣٧.

٣. راجع أدلّته في البحار، ج ٨، ص ٣۶۶ و ٣۶٧.

۴. المواهب اللّدنيّة، ج ١، ص ۶٧، سيرة ابن هشام، ج ٢، ص ١٣٩، تاريخ الخميس، ج ١، ص ٣٣٩، البحار، ج ٨، ص ٣۶٧ و دلائل النبوّة، ج ٢، ص ۵٠٠.

النّبي صلى الله عليه و آله، فوقفت هناک، و برکت، و وضعت جِرانها[1] على الأرض، و ذلک بالقرب من باب أبي أيّوب الأنصاري، أفقر رجل بالمدينة.[2]

فأدخل أبو أيّوب – أو أمّه – الرّحلَ إلى منزلهم، و نزل صلى الله عليه و آله عنده و علي عليه السلام معه، لا يفارقه، حتّى بنى مسجده و منازله.[3]

فقيل: مکث عند أبي أيّوب سنة تقريباً، و قيل سبعة أشهر.[4] أمّا سائر المهاجرين، فقد تنافس فيهم الأنصار، حتّى اقترعوا فيهم بالسُّهمان،[5] فما نزل أحد من المهاجرين إلى أحد من الأنصار إلّا بقرعة بينهم.[6]

القيام بأعمال تأسيسيّة

فور وصوله صلى الله عليه و آله إلى المدينة باشر بالقيام بأعمال تأسيسيّة ترتبط بمستقبل الدّعوة الإسلاميه و هي کثيرة متنوّعة، و لکنّنا نکتفي هنا بالإشارة إلى مايلي:

۱. بناء المسجد

و اشترى النّبي صلى الله عليه و آله – أو وهب له – موضع المسجد، الّذي يقال: إنّه کان مربداً[7] ليتيمين من الخزرج، بعشرة دنانير – على ما قيل –.

فأسّس المسجد في ذلک الموضع، و نقلوا إليه الحجارة من منطقة الحَرّة، و

---

۱. الجِران من البعير مُقدّم عنقه من مذبحه إلى منحره.

۲. البحار، ج ۱۹، ص ۱۲۱، و راجع، : مناقب ابن شهر آشوب، ج ۱، ص ۱۸۵.

۳. روضة الکافي، ص ۳۳۹ و ۳۴۰ و البحار، ج ۱۹، ص ۱۱۶ عنه.

۴. راجع: البدء و التاريخ، ج ۴، ص ۱۷۸، و فاء الوفاء، ج ۱، ص ۲۶۵ و السيرة الحلبية، ج ۲، ص ۶۴.

۵. السُّهمان، جمع سهم.

۶. السيرة الحلبية، ج ۲، ص ۶۴.

۷. المربد محبس الإبل، أو مکان تجمّع التّمر، أو المکان الخالي خلف البيوت.

شارک ﷺ بنفسه في نقلها؛ الأمر الّذي دفع الصّحابة إلى الدّأب في العمل و الجدّ فيه، حتّى قال قائلهم:

لئن قعدنا و النّبيّ يعمل لذاک منا العمل المضلّل

و ارتجز المسلمون و هم يبنونه، يقولون:

أللّهم إنّ الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصار و المهاجرة[1]

و جعل طوله مئة ذراع في مثلها، أو قريباً من ذلک. و قيل: جعله سبعين في ستّين.[2] و ابتني ﷺ مساكنه، و كذا الأصحاب مساكنهم حول المسجد، و كلّ قد شرع له إلى المسجد باباً، و قد سدّت الأبواب كلّها فيما بعد، سوى باب أميرالمؤمنين عليه السلام.

لماذا المسجد أوّلاً؟

إنّ من الملاحظ، أنّ أوّل عمل بدأ به ﷺ في المدينة هو بناء المسجد، و هو عمل له دلالته و أهميّته البالغة؛ و ذلک لأنّ المسلمين كانوا فئتين: مهاجرين و أنصاراً، و تختلف ظروف كلّ من الفئتين و أوضاعها النفسيّة و المعنويّة و المعيشيّة و غير ذلک عن الفئة الأخرى.

و المهاجرون أيضاً كانوا من قبائل شتّى، و مستويات مختلفة؛ فكريّاً و اجتماعيّاً، ماديّاً و معنويّاً، كما و يختلفون في مشاعرهم و في علاقاتهم، ثمّ في نظرة النّاس إليهم، و مواقفهم منهم و تعاملهم معهم – إلى غير ذلک من وجوه التّباين و الاختلاف – و قد ترک الجميع أوطانهم و أصبحوا بلا أموالٍ و بلا مسكن، و كذلک الأنصار؛ فإنّهم أيضا كانوا فئتين متنافستين، لم تزل الحرب بينهما قائمة على

---

۱. راجع: السيرة الحلبيّة، ج ۲، ص ۶۷ و ۷۱ و ۶۴ و ۶۵.

۲. و يحتمل أن يكون كلاهما صحيحاً، و أنّه ﷺ جعله في البناء الأوّل سبعين في ستين، ثمّ وسعه في البناء الثّاني (راجع: وفاء الوفاء، ج ۱، ص ۳۴۰ فما بعدها و تاريخ الخميس، ج ۱، ص ۳۶۵ و ۳۶۶ و التّراتيب الإداريّة، ج ۲، ص ۷۷.

ساق[١] إلى عهدٍ قريب.

و قد أراد الإسلام أن يَنْصَهِر[٢] الجميع في بوتقة[٣] الإسلام ليصبحوا كالجسد الواحد في توادّهم و في تراحمهم و تعاونهم، و أن تتوحّد جهودهم و أهدافهم و حركتهم و مواقفهم؛ الأمر الّذي يؤكّد الحاجة إلى إعداد و تربية نفسيّة و خُلقيّة و فكريّة لكلّ هذه الفئات، لتستطيع أن تتعايش مع بعضها البعض، و لتكون في مستوى المسؤوليّة الّتي يؤهلّها لها في عمليّة بناء للمجتمع الّذي له ربّ واحد و هدف و مصير واحد.

و ليصبح هذا المجتمع قادراً على تحمّل مسؤوليّة حماية الرّسالة و الدّفاع عنها، حينما يفرض عليه أن يواجه تحدّي اليهود في المدينة، و العرب و المشركين، بل و العالم بأسره، لابدّ أن تنصهر كلّ الطّاقات و القدرات الفكريّة و الماديّة لهذا المجتمع في سبيل خدمة الهدف: الرّسالة فقط.

و المسجد هو الّذي يمكن فيه تحقيق كلّ ذلك؛ إذ لم يكن مجرّد محلّ للعبادة فقط و لا غير؛ بل كان هو الوسيلة الفضلى للتّثقيف الفكري، إن لم نقل: إنّه لا يزال حتّى الآن أفضل وسيلة لوحدة الثّقافة و الفكر و الرّأي، حينما يفترض فيها أن تكون مِن مصدر واحد، و تخدم هدفاً واحداً في جميع مراحل الحياة، مع الشّعور بالقدسيّة و الارتباط بالله تعالى.

و هو من الجهة الأخرى وسيلة لشيوع الصّداقات[٤] و بثّ روح المحبّة و المودّة بين المسلمين؛ فإنّه حينما يلتقي المسلمون ببعضهم البعض عِدّة مرّات يوميّاً في جوّ من الشّعور – عملاً – بالمساواة و العدل، و حينما تتساقط كلّ فوارق الجاه و المال و غيرها و يبتعد شبح الأنانيّة و الغرور عن أفق هذا الإنسان، فانّه لابدّ أن

---

١. قامت الحرب على ساقٍ : أشتدّت و تعاظمت.

٢. انصهر الشّيء: ذاب.

٣. البوتقة: الوعاء الّذي يذيب الصائغ فيه المعدن، فارسيّة يقال «بوته».

٤. جمع الصداقه: و هي المحبّة بالصدق.

تترسّخ حينئذٍ فيما بين هذا المجتمع أواصر[١] المحبّة و التّآخي و التآلف و يشعر كلّ من أفراده بأنّه في مجتمع يبادله الحبّ و الحَنان،[٢] و أنّ له إخواناً يهتّمون به، و يعيشون قضاياه و مشاكله و يمكنه أن يستند إليهم و يعتمد عليهم.

والمسجد هو أجلى و أفضل موضع لتبسيط العلاقات بين أفراد المجتمع الواحد، و تقليل مشاكل التّعامل الرّسمي، و التكلّفات البغيضة، الّتي توحي بوجود فوارق و مميّزات، بل و حدود تفصّل هذا عن ذاك و بالعكس.

و الخلاصة: لقد كان المسجد موضع عبادة و تعلّم و تفهّم لما يفيد في أمور الدّين و الدّنيا، و تربية نفسيّة و خُلقية، و محلّاً للبحث في كلّ المشاكل الّتي تهمّ الفرد و المجتمع، و مكاناً مناسباً للتّعارف و التّآلف بين المسلمين، و مركزاً للقيادة و الرّيادة؛ ففيه كانﷺ يستقبل الوفود، و يبتّ[٣] في أمور الحرب و السّلم، و يفصل الخصومات، و فيه كان يتمّ البحث عن كلّ ما يهمّ الدّولة و شؤونها، و النّاس و معاملاتهم و ارتباطاتهم؛ و فيه كان يجد الضّعيف قوّته، و المهموم المغموم سلوته[٤] و الّذي لا عشيرة له ينسى بل يجد فيه عشيرته، والمحروم من العطف و الحَنان بُغيَتَه.

٢. المؤاخاة بين المهاجرين و الأنصار

و بعد خمسة أو ثمانية أشهر – أو أقلّ أو أكثر[٥] - من مقدمهﷺ المدينة آخى بين أصحابه من المهاجرين و الأنصار على الحقّ و المواساة، و كان المسلمون حين المؤاخاة – على ما يقولون – تسعين رجلاً، منهم خمسة و أربعون رجلاً من

---

١. جمع الآصرة و هي ما عطفك على رجلٍ من رَحِمٍ أو قرابةٍ أو صهرٍ أو المعروف.

٢. الحنان: الرّحمة.

٣. بتّ الأمر: أمضاه.

٤. السَّلوَة و السُّلوة (بالفتح و الضمّ): السّلوّ. يقال: هو في سَلوة من العيش، أي في رَغدٍ منه.

٥. راجع: البحار، ج ١٩، ص ١٢٢، و مناقب ابن شهر آشوب، ج ١، ص ١٥٢، و وفاء الوفاء، ج ١، ص ٢٦٧، و فتح الباري، ج ٧، ص ٢١٠، و السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٩٢.

الأنصار، و مثلهم من المهاجرين. و يدّعي ابن الجوزي: أنّه أحصاهم فكانوا جميعاً ستّة و ثمانين رجلا. و قيل: مئة رجل.[١]

و لربّما يكون هذا هو العدد الّذي وقعت المؤاخاة بين أفراده حسبما توفّر من عدد المهاجرين، لا أنّ عدد المسلمين كان هو ذلک، و إلّا فإنّها تكون صُدفةً نادرة أن يكون عدد من أسلم من المهاجرين مساوياً لعدد من أسلم من الأنصار بلا زيادة و لا نقيصة!!

و لقد كان ﷺ يؤاخي بين الرّجل و نظيره، كما يظهر من ملاحظة المؤاخاة قبل الهجرة و بعدها؛ فقد آخى قبل الهجرة – على الظّاهر – بين أبي بكر و عمر، و بين طلحة و زبير، و بين عثمان و عبدالرّحمان بن عوف و بين نفسه و علي عليه السلام.[٢]

و في المدينة آخى بين أبي بكر و خارجة بن زهير، و بين عمر و عتبان بن مالک، و بين حمزة و زيد بن حارثة، و بين جعفر بن أبي طالب و معاذ بن جبل،[٣] و هكذا...

مؤاخاة النّبيّ ﷺ لعلي عليه السلام

وروي أحمد بن حنبل و غيره: أنّه ﷺ آخى بين النّاس و ترک عليّاً حتّى

---

١. راجع: طبقات ابن سعد، ج ١، قسم ٢، ص ١، و المواهب اللدنيّة، ج ١، ص ٧١، و فتح الباري، ج ٧، ص ٢١٠، و السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٩٠و البحار ، ج ١٩، ص ١٣٠.

٢. مستدرک الحاكم، ج ٣، ص ١٤، و وفاء الوفاء، ج ١، ص ٢٦٧ و ٢٦٨، و السيرة الحلبيّة، ج ٢، ص ٢٠، و السيرة النبوية لدحلان، ج ١، ص ١٥٥ و فتح الباري، ج ٧، ص ٢١١.

٣. قد أورد على هذا الأخير بأنّ جعفر كان حينئذ في الحبشة (سيرة ابن هشام، ج ٢، ص ١٥١). و الجواب عنه هو أنّ النّبيّ ﷺ قد استمرّ يجدّد المؤاخاة بحسب من يدخل في الإسلام، أو يحضر إلى المدينة من المسلمين(فتح الباري، ج ٧، ص ٢١١). و قد أجاب البعض: بأنّه أرصده لإخوته حين يقدم (البداية و النهاية، ج ٣، ص ٢٢٧ و السيرة الحلبيّة، ج ٢، ص ٩١) لكنّه يرد سؤال: ما هو السّبب في تخصيص جعفر بهذا الأمر؟! إلّا أن يقال: إنّ المقصود هو إظهار الاهتمام بشأن جعفر، و التّنبيه على فضله.

الأخير، حتّى لا يرى له أخاً؛ فقال: يا رسول الله، آخيت بين أصحابک و ترکتني؟ فقال: إنّما ترکتک لنفسي؛ أنت أخي، و أنا أخوک؛ فإن ذکرک أحدٌ، فقل: أنا عبدالله و أخو رسوله، لا يدّعيهابعدک إلّا كذّاب، و الّذي بعثني بالحقّ، ما أخّرتک إلّا لنفسي، و أنت منّي بمنزلة هارون من موسي، إلّا أنّه لا نبي بعدي، و أنت أخي و وارثي.[۱]

و التأمّل في عمليّة المؤاخاة يعطينا: أنه قد لوحظ فيها المسانخة بين الأشخاص و تشابه و تلاؤم نفسيّاتهم و إلى ذلک أشار الأزري رحمه الله حينما قال مخاطباً عليّاً عليه السلام:

لک ذاتٌ كذاته حيث لو لا أنّها مثلها لمّا آخاها

مع قضيّة المؤاخاة

ألف. تواتر حديث المؤاخاة

إنّ حديث المؤاخاة متواتر لا يمكن إنكاره، و لا التّشكيک فيه، و لا سيما مؤاخاة النّبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام سواء في المؤاخاة الأولى في مكّة، أم في الثّانية في المدينة، و هو مروي عن عشرات من الصّحابة و التّابعين كما يتّضح للمراجع.[۲]

---

۱. راجع: نهج الحق في ضمن دلائل الصدق، ص ۲۶۷، و ينابيع المودة، ص ۵۶ و تذکرة الخواص، ص ۲۳ عن أحمد في الفضائل و صحّحه، و ابن الجوزي و نقل عن كنزالعمّال، ج ۶، ص ۳۹۰، و الرّياض النضرة، ج ۲، ص ۲۰۹، و تاريخ ابن عساكر، ج ۶، ص ۲۱.

۲. راجع: تاريخ الخميس، ج ۱، ص ۳۵۳، و وفاء الوفاء، ج ۱، ص ۲۶۷ و ۲۶۸، و ينابيع المودة، ص ۵۶ و ۵۷ عن مسند أحمد، و تذکرة الخواص، ص ۲۲ – ۲۴ و حكي عن الترمذي أنّه صحّحه، و السيرة الحلبيّة، ج ۲، ص ۲۰ و ۹۰، و مستدرک الحاكم، ج ۳، ص ۱۴، و الثقات لابن حبان، ج ۱، ص ۱۳۸، و فرائد السمطين، ج ۱، الباب العشرون، و الفصول المهمّة لابن الصّباغ، ص ۲۲ و ۲۹، و البداية و النّهاية، ج ۳، ص ۲۲۶ و ج ۷، ص ۳۵ و تاريخ الخلفاء، ص ۱۷۰، و دلائل الصدق، ج ۲، ص ۲۶۸ – ۲۷۰ عن كنزالعمال و عن البيهقي في سننه، و الضياء في المختارة، و عبدالله بن أحمد في زيارات المسند ثمانية أحاديث و أبيه في المسند و في الفضائل

و قد روي: أنّ النّبيّ ﷺ قال لعلي عليه السلام: إذا كان يوم القيامة نوديتُ من بطنان العرش: نعم الأب أبوک إبراهيم و نعم الأخ أخوک علي بن أبي طالب.[١]

ب. البديل الأنسب

إنّ من الواضح: أنّ هؤلاء الّذين أسلموا قد انفصلوا عن قومهم، و عن إخوانهم، و عن عشائرهم بصورة حقيقيّة و عميقة، و قد واجههم حتّى أحبّ النّاس إليهم بأنواع التّحدي و الأذى، فأصبحوا و قد انقطعت علائقهم بذوي رحمهم و صاروا كأنّهم لا عَصَبَة[٢] لهم، و قد يشعر بعضهم أنّه قد أصبح وحيداً فريداً، و بلا نصيرٍ و لا عشيرةٍ؛ فجاءت الإخوة الإسلامية لتسدّ هذا الفراغ بالنّسبة إليهم، و لتبعد عنهم الشعور بالوحدة، و تبعث في نفوسهم الأمل و الثّقة بالمستقبل، و قد بلغ عمق تأثير هذه المؤاخاة فيهم أن توهّموا عموم المنزلة حتّى في الإرث.

ج. السمّو بالعلاقات الإنسانيّة

لقد أريد للمسلمين المؤمنين أن يكونوا إخوة، و ذلک بهدف السموّ بعلاقات هذا الإنسان عن المستوى المصلحي و جعلها علاقة الهيّة خالصة تصل إلى درجة الإخوة، و ليكون أثرها في التّعامل بين المسلمين أكثر طبيعيّة، و انسجاماً، و بعيداً عن النّوازع النّفسيّة الّتي ربّما توحي للأخوين المتعاونين بأمور من شأنها أن تعقد العلاقات بينهما و لو نفسيّاً على أقلّ تقديرٍ.

و رغم أنّ الإسلام قد قرّر ذلک، و أكدّ على أنّ المؤمن أخو المؤمن، إلّا أنّه قد كان ثَمّة حاجة إلى إظهار ذلک عملياً بهدف توثيق عرى المحبّة و ترسيخ أواصر الصّداقة و المودّة كما هو معلوم، و ليكون الهدف السّامي قد انطلق من العمل

و أبي يعلي و الطبراني و ابن عدي و الجمع بين الصحاح الستّة، و أخرج الخوارزمي اثني عشر حديثاً و ابن المغازلي ثمانية أحاديث، و غير ذلک من المصادر الكثيرة.

١. ربيع الأبرار، ج ١، ص ٨٠٧ و ٨٠٨.

٢. العَصَبَة (محركة واحدة العصب): قوم الرجل الّذين يتعصبون له و بنوه و قرابته لأبيه.

السّامي أيضاً.

د. دور المؤاخاة في بناء المجتمع الجديد

لقد كان الرّسول الأعظم صلی الله علیه و آله بصدد بناء مجتمع جديد يكون المثل الأعلى للصّلاح و الفلاح، قادراً على القيام بأعباء الدّعوة إلى الله و نصرة دينه، في أي من الظّروف و الأحوال. و قد تقدّمت – عند البحث عن عمليّة بناء المسجد – الإشارة إلى واقع وجود الفوارق الكبيرة بين المهاجرين و الأنصار أنفسهما و معاً، الاجتماعيّة، و القبليّة، و الثّقافيّة، و غير ذلک.

فكان لابدّ من إيجاد روابط وثيقة تشدّ هذا المجتمع بعضه إلى بعض.

و كانت تلک الرّابطة الوثيقة هي: «المؤاخاة» الّتي روعيت فيها الرّقة، إلى الحدّ الّذي يضمن معه أن يحفظ في هذا المجتمع الجديد معها التّماسک و التّعاضد إلى أبعد مدى ممكن، و أقصى غاية تستطاع؛ لا سيّما و أنّه كان يؤاخي بين الرّجل و نظيره، كما أشرنا إليه. و قد كانت لهذه المؤاخاة نتائج هامّة في تاريخ النّضال و الجهاد.[1]

٣. أسس العلاقات في المجتمع الجديد

و يذكر المؤرّخون: أنّه بعد مدّة و جيزة من قدومه صلی الله علیه و آله المدينة، و على رأى البعض: بعد خمسة أشهر،[2] كتب صلی الله علیه و آله كتاباً أو وثيقة بينه و بين اليهود، أقرّهم فيها على دينهم و أموالهم، و اشترط عليهم: أن لا يعينوا عليه أحداً، و إن دهم أمر فعليهم النّصر، كما أنّ على المسلمين ذلک في المقابل.

إنّ هذه الوثيقة لم تقتصر على تنظيم علاقات المسلمين مع غيرهم، و إنّما

---

١. من هذه النتائج: ما امتحن الله على نبيّه في بدر بقوله: «وَ إِنْ يرِيدُوا أَنْ يخْدَعُوکَ فَإِنَّ حَسْبَکَ اللهُ هُوَ الَّذِي أَيدَکَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ وَ أَلَّفَ بَينَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بَينَ قُلُوبِهِمْ وَ لكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَينَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (الأنفال: ٦٢ و ٦٣).

٢. تاريخ الخميس، ج ١، ص ٣٥٣.

تعرّض جانب كبير – بل هو الجانب الأكبر – منها إلى تقرير قواعد كليّة، و أسس عمليّة للعلاقات بين المسلمين أنفسهم، كان لابدّ منها لتلافي الأخطاء المحتملة قبل أن تقع.

فهذه الوثيقة بمثابة دستور عمل، يتضمّن أسس العلاقات في الدّولة النّاشئة، سواءً في الدّاخل أم في الخارج.

و هذه الوثيقة هي بحث من أهمّ الوثائق القانونيّة، الّتي لابدّ أن يدرسها علماء القانون و التّشريع بدقّة متناهية، لاستخلاص الدّلائل و الأحكام منها، و أيضاً لمعرفة الغايات الّتي يرمى إليها الإسلام، و الضّوابط الّتي يرتضيها، و مقارنتها بغيرها ممّا يتهالك المستضعفون – فكريّاً – من هذه الأمّة عليه من القوانين القاصرة عن تلبية الحاجات الفطريّة و غيرها للإنسان.

و قد أورد المؤرّخون نصّ هذه الوثيقة في كتبهم بالتّفصيل أو الاختصار[1] و نحن نشير – رعاية للاختصار – إلى أهمّ قراراتها في مجال بناء العلاقات في هذا المجتمع الجديد، إلى مايلي:

۱. إنّها قد قرّرت أنّ المسلمين أمّة واحدة، رغم اختلاف قبائلهم، و تفاوت مستوياتهم، و اختلاف حالاتهم المعيشيّة و الاجتماعيّة، و غير ذلك. و لهذا الإقرار أبعاده السياسيّة و آثاره الحقوقيّة، ولسنا هنا بصدد الخوض في تفاصيلها و جزئيّاتها.

۲. قد تضمّنت إقرار المهاجرين من قريش على عاداتهم و سننهم في الدّيات و الدّماء.

۳. إنّ مسؤوليّة المهاجرين عن فداء أسراهم، ثم مسؤوليّة جميع القبائل عن فداء أسراها أيضا بالقسط و المعروف، إنّما تعنى أن تعيش كلّ قبيلة حالة التّكافل و الإحساس الجماعي، بالإضافة إلى أنّ ذلك يضمن نوعاً من التّرابط بين هؤلاء

---

۱. راجع: سيرة ابن هشام، ج ۲، ص ۱۴۷ – ۱۵۰، و البداية و النهاية، ج ۳، ص ۲۲۴ – ۲۲۶، و الأموال، ص ۲۰۲ – ۲۰۷، و مجموعة الوثائق السياسية و أشار إليه في مسند أحمد، ج ۱، ص ۲۷۱ و أشار إليه أيضا في مسند أبي يعلي، ج ۴، ص ۳۶۶ و ۳۶۷.

النّاس، و الذّب عن بعضهم، و المعونة في مواقع الخطر.

۴. لقد قرّرت الوثيقة أيضاً: أنّ من كان عليه دين، و لم يكن له عشيرة تعينه في فداء أسيره، فعلى المسلمين إعانته في فداء ذلک الأسير.

۵. و جاء في الوثيقة أيضاً: أنّ مسؤوليّة دفع الظّلم تقع على عاتق الجميع و لا تختصّ بمن وقع عليه الظّلم؛ و لعلّ هذا من أهمّ القرارات الّتي تضمّنتها الوثيقة.

۶. و هناک القرار الّذي ينصّ على عدم قَوَد[1] المسلم بالكافر، و في هذا تأكيد على أنّ شرف الإنسان إنّما هو بالإسلام، كما أنّ الوثيقة تؤكّد: بأنّه يجير على المسلمين أدناهم و لا يجير كافرٌ على مسلم؛ لأنّ الإسلام لا يرى الشّرف بالمال و لا بالقبيلة و لا بغير ذلک من أمور، و إنّما انسانيّته هي الّتي تعطيه القيمة.

۷. و قد تقرّر أيضاً: أن لا ينصر المسلمون من أحدث و ابتدع، بل يجب عليهم مقاومته و التّصدي له و لبدعته بكلّ صلابة و حزم. و في هذا تتجلّى الأهميّة البالغة الّتي يولّيها الإسلام للسّلامة الفكريّة، و يؤكّد أهميّة الصّيانة في المجال الثّقافي و العقيدي.

۸. في هذه الوثيقة أيضاً تكريس للسّلطة الإسلاميّة و اعتراف مسجّل بها من قِبَل ألدّ أعدائها – أعني اليهود – و قد كانوا يعتبرون أنفسهم – وحدهم دون كلّ مَن عداهم – أصحاب كلّ الامتيازات و إنّ كلّ قرار يجب أن يكون صادراً عنهم و منهم و إليهم، فهم الحكّام على النّاس، و النّاس كلّهم يجب أن يكونوا تحت سلطتهم و قدخُلقوا ليكونوا لهم خدماً كما يزعمون.

فقد قرّرت الوثيقة: أن لا يخرج أحدٌ من اليهود إلّا بأذن رسول الله صلى الله عليه وآله و أنّ الحاكميّة انّما هي لدين الله و لرسول الله صلى الله عليه وآله لا لأحد سواه.

۹. و قد أكدّ ما ذكرناه آنفا و عمّقه ذلک القرار الّذي اعترف به اليهود و سجّلوه على أنفسهم، والّذي ينصّ على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله هو المرجع الّذي يتولّى حلّ

---

۱. القَوَد (محركة مصدر قِوَد): القِصاص.

المشكلات، الّتي تنشأ فيما بينهم و بين المسلمين.

ولسنا بحاجة إلى التّذكير بما لهذه المادّة من مدلول سياسي، و من أثر نفسي و اجتماعي عليهم و على غيرهم ممّن يعيشون في المدينة، و كذا ما لهذا القرار من أثر كذلک على المنطقة بأسرها.

۱۰. هذا كلّه، عدا عن أنّ هذه الوثيقة قد تضمّنت لمن تهوّد من الأنصار حقوقهم العامّة، و ذلک من قبيل حق «الأمن» و «الحريّة» بشرط أن لا يفسدوا.

و هذان الحقّان و لا سيّما حقّ الحريّة، يؤكّدان على أنّ الإسلام لا يخشى شيئاً إذا كان منطلقاً من الواقع و قائماً على أساس الحقّ و الصّدق، ولكنّه يخشى من الإفساد.

۱۱. ثمّ تضمّنت الوثيقة اعترافاً من المنافقين و المشركين و من اليهود أيضاً بأنّ المؤمنين على أحسن هدْي و أقومه، مع أنّ ما كان يشيعه هؤلاء الأعداء إنّما هو: أنّ هذا النّبيّ قد جاء ليفرّق جماعتهم، و يسفه أحلامهم و... كما ذكره عمرو بن العاص للنّجاشي مَلِک الحبشة.

۱۲. ثمّ إنّ هذه الوثيقة قد أعطت للمسلمين الحقّ في التّصدّي لأخذ أموال قريش (و ليس المشركين)؛ لأنّ قريشاً هي الّتي سلبتهم أموالهم، و أخرجتهم من ديارهم، ليكون ذلک عوضاً عمّا أُخذ منهم. و قد اعترف لهم بهذا الحقّ حتّى المشركون، الّذين هم طرف في هذه المعاهدة.

۱۳. إنّ الوثيقة قد نصّت على أنّ كلّ من يعترف بما في هذه الصّحيفة لا يحقّ له نصر محدث و لا إيواؤه؛ و هذا من شأنه أن يشيع الأمن العام، و يجعل النّاس يطمئنّون نوعاً ما، و يخفّف من الخوف الّذي كان سائداً[1] بين الأوس و الخزرج؛ كما أنّ فيه إنذاراً مبطناً للآخرين من اليهود و المشركين الّذين يعيشون مع المسلمين في بلد واحد.

---

۱. سأده: خنقه، أي‌شدّ على حلقه حتّى يموت.

١٤. و يلاحظ أخيراً أنّ الوثيقة لم تعط للمشركين حقوقاً ولكنّها فرضت عليهم قيوداً؛ فليس للمشرک أن يجير مالاً لقريش و لا نفساً و لا يحول دونه على مؤمن.

هذا ما أحببنا الإلماح إليه في هذه العجالة و ثمّ أمور كثيرة أخرى نأمل أن نوفّق لدراستها في فرصة أخرى.

موادعة اليهود

و جاءت يهود قريظة و النضير و قينقاع و طلبوا الهدنة من رسول الله صلى الله عليه وآله: فكتب لهم بذلک، على أن لا يعينوا عليه أحداً، و لا يتعرّضوا لأحد من أصحابه بلسان و لا يد ولا بسلاح و لا بكَراع،[١] في السرّ و لا في العلانية، لابليل و لا بنهار؛ فإن فعلوا، فرسول الله صلى الله عليه وآله في حلٍّ من سفک دمائهم، و سبي ذراريهم و نسائهم و أخذ أموالهم، و كتب لكلّ قبيلة كتاباً على حدة.[٢]

---

١. الكراع إسم يطلق على الخيل و البغال و الحمير.

٢. راجع: إعلام الوري، ص ۶۹، و البحار، ج ۱۹، ص ۱۱۰ و ۱۱۱ عنه، و السيرة النبوية لدحلان، ج ۱، ص ۱۷۵.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الرّابع

معركة بدر

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

غزواته ﷺ و سراياه

هنا يبدأ المؤرّخون بذكر غزواته و سراياهﷺ و يقصدون بـ (الغـزوة) : الجـيش الّذي يخرج فيهﷺ بنفسه، و بـ «السّريّة»: البعث الّـذي لا يكـون رسـول اللهﷺ فيه.

و قد اختلفت كلماتهم في عدد غزواته و سراياه اختلافاً كثيـراً و لا نـرى حاجـة لإطالة الكلام في تحقيق ذلك و نكتفي بما ذكره ابن سعد في طبقاته بـأنّ مغازيـه كانت سبعة و عشرين غزوة و عدد سراياه الّتي كانت تتألّف من الثّلاثين و الأربعين و الخمسين و ما يزيد على المئتين إحياناً، كانت سبعاً و أربعين سريّة. [1]

و نسوق الكلام من غزواته إلى ماهي أهـمّ و نفعهـا أعـمّ و نبتـدي بغـزوة بـدر الكبرى.

غزوة بدر

و بعد مضيّ مدّة على وجود النّبيّ الأعظمﷺ في المدينة كتـب كفّـار قـريش إلى عبدالله بن أبي بن سلول و من كان يعبد الأوثان من الأوس و الخزرج:

إنّكم آويتم صاحبنا، و إنّكم أكثر أهل المدينة عدداً، و إنّا نُقسم بالله، لتقتلنّه، أو

---

١. الطبقات الكبري، ج ٢، ص ٥ - ٦.

لتخرجنّه، أو لنستعنّ[1] عليكم العرب، أو لنسيرنّ إليكم بأجمعنا، حتّى نقتل مقاتلتكم و نستبيح نساءكم.

فلمّا بلغ ذلک ابن أُبيّ و من معه، تراسلوا؛ فاجتمعوا، و أجمعوا لقتال النّبي ﷺ؛ فلمّا بلغ ذلک النّبي ﷺ و أصحابه لقيهم في جماعة، فقال:

لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت لتكيدكم بأكثر ممّا تريدون أن تكيدوا به أنفسكم. فأنتم هؤلاء تريدون أن تقتلوا أبناءكم و إخوانكم.

فلمّا سمعوا ذلک من النّبي ﷺ تفرّقوا، فبلغ ذلک كفّار قريش، و كانت وقعة بدر.[2]

الانتداب إلى بدر

و في السّنة الثّانية، في السّابع عشر من شهر رمضان المبارک كانت حرب بدر العظمى بين المسلمين و مشركي مكة.

و ذلک أنّ العير الّتي طلبها المسلمون في غزوة العُشَيْرَة[3]، و أفلتت منهم إلى الشّام، ظلّ النّبي ﷺ يترقّبها، حتّى علم بعودتها، و كانت بقيادة أبي سفيان مع ثلاثين، أو أقلّ، أو أربعين، أو سبعين راكباً.

و فيها أموال قريش، حتّى قيل: إنّ فيها ما قيمته خمسون ألف دينار في ذلک الوقت الّذي كان فيه للمال قيمة كبيرة.

فندب رسول الله ﷺ المسلمين للخروج إليها، فانتدب النّاس، فخفّ بعضهم

---

۱. الظّاهر أنّ الصّحيح هو: نستعيننّ.

۲. المصنّف للصّنعاني، ج ۵، ص ۳۵۸ و ۳۵۹.

۳. كانت غزوة العشيرة بعد غزوة بواط في جمادي الأولى، من السّنة الثّانية من هجرته و وادع فيها بني مدلج و حُلفاءَ هم من بني ضمرة، ثمّ رجع إلى المدينة، و لم يلق كيداً (راجع: سيرة ابن هشام، ج ۲، ص ۲۴۸ – ۲۴۹).

وثقل آخرون، و لعلّهم تخوّفوا من كرّة قريش عليهم حينما لابدّ لها من محاولة الانتقام لهذا الإجراء الّذي يستهدف مصالحها الحيويّة.

قال الواقدي: كره خروج رسول الله صلى الله عليه وآله أقوامٌ من أصحابه إلى بدر، قالوا: نحن قليل، و ما الخروج برأي، حتّى كان في ذلک اختلاف كثير.[1]

و قد حكى الله تعالى ذلک، فقال: «كَما أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيتِكَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكارِهُونَ يجادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ ما تَبَينَ كَأَنَّما يساقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَ هُمْ ينْظُرُونَ»[2].

نعم لقد كرهوا ذلک لعلمهم بأنّ قريشاً لن تسكت على أمر خطير كهذا. و من هنا نعرف: أنّ قول بعضهم: إنّ من تخلّف لم يكن يظنّ أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله يلقى حرباً[3] في غير محلّه، بل هو محاولة إيجاد عذر للمتخلّفين مهما كان فاشلاً و غير معقول. و إلّا فالآية الكريمة خير دليل على عدم صحّة هذا القول.

و خرج المسلمون يريدون العير، و علم أبوسفيان بالأمر، فأرسل إلى قريش يستنفرهم لنجاة العير. فلمّا جاء هم النّذير يناديهم: يا معشر قريش! اللّطيمة، اللّطيمة،[4] أموالكم مع أبي سفيان، قد عرض لها محمّد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها... .

فتجهّز النّاس سراعاً و ما بقى أحد من عظماء قريش إلّا أخرج مالاً لتجهيز الجيش، و قالوا: من لم يخرج، نهدم داره، فلم يتخلّف رجلٌ إلّا أخرج مكانه رجلاً. و بعث أبولهب العاصي بن هشام مكانه على أربعة آلاف درهم كانت له عليه من مال المقامرة – على ما قيل –.[5]

---

١. المغازي، ج ١، ص ١٣١.

٢. الانفال: ٥ و ٦.

٣. الكامل لابن الاثير، ج ٢، ص ١١٦.

٤. اللّطيمة : الإبل الّتي تحمل البزّ و الطّيب.

٥. السيرة الحلبية، ج ٢، ص ١٤٥، و أنساب الأشراف، ج ١، ص ٢٩٢، و راجع: السيرة النبوية لابن هشام، ج ٢، ص ٢٦١ و تاريخ الخميس، ج ١، ص ٣٧٠، و المغازي، ج ١، ص ٣٣.

و خرج مع المشركين من بني هاشم: العبّاس و عقيل و نوفل بن حارث و طالب بن أبي طالب. فأمّا طالب، فخرج مكرهاً، فجرت بينه و بين القرشيّين ملاحاة و قالوا: و الله، لقد عرفنا أنّ هواكم مع محمّد. فرجع طالب فيمن رجع إلى مكّة، و لم يوجد في القتلى، و لا في الأسرى و لا فيمن رجع إلى مكّة.[۱]

و حينما خالف أبوسفيان في الطّريق و نجا بالعير، أرسل يطلب من قريش الرّجوع، فأبى أبوجهل إلّا أن يرد بدراً[۲] و يقيم ثلاثة أيام، و يأكل و يشرب الخمور، حتّى تسمع العرب بمسيرهم و جمعهم؛ فيها بونهم أبداً.

و أراد بنو هاشم الرّجوع، فاشتدّ عليهم أبوجهل، و قال: لا تفارقنا هذه العصابة حتّى نرجع.[۳]

النّبيّ ﷺ يستشير في أمر الحرب

لمّا كان المسلمون قرب بدر و عرفوا بجمع قريش و مجيئها، خافوا و جزعوا من ذلك، فاستشار النّبيّ ﷺ أصحابه في الحرب أوطلب العير. فقام أبوبكر و قال: يا

---

۱. راجع: البحار، ج ۱۹، ص ۲۹۴ و ۲۹۵، و روضة الكافي، ص ۳۷۵ و تاريخ الطبري، ج ۲، ص ۱۴۴. و الكامل لابن اثير، ج ۲، ص ۱۲۱. هكذا قالوا، و لكنّنا نقول: كيف لم يوجد فيمن رجع إلى مكّة و ابن هشام يذكر له قصيدة يمدح فيها رسولَ الله ﷺ و يبكي أهل القليب و يطلب في شعره من بني عبد شمس و نوفل أن لا يثيروا مع الهاشميين حرباً تجرّ المصائب و البلايا و الأهوال. و هذا يدلّ على أنّه قد عاش إلى ما بعد وقعة بدر، و أمّا بكاؤه أهل القليب، فالظّاهر أنّه كان مجاراة لقريش، كما يدل عليه مدحه للنّبيّ ﷺ و طلبه من بني عبد شمس و نوفل أن لا يحاربوا الهاشميين.

۲. و كانت يوم ذاك موسماً من مواسم العرب في الجاهليّة يجتمعون فيها.

۳. و لأجل موقف الهاشميّين من النّبيّ ﷺ و المسلمين، و حمايتهم لهم في مكّة، نهى الرّسول ﷺ عن قتل من خرج من بني هاشم و نهى عن قتل الحارث بن نوفل، لكراهة الخروج أيضاً فقتله من لم يعرفه.

رسول الله، إنّها قريش و خُيَلاؤها[1] ما آمنت منذ كفرت، و ما ذلّت منذ عزّت، و لم تخرج على هيئة الحرب. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله اجلس، فجلس؛ فقال صلى الله عليه وآله: أشيروا عليَّ. فقام عمر، فقال مثل مقالة أبي بكر، فأمره النّبيّ بالجلوس، فجلس.[2]

ثمّ قام المقداد، فقال: يا رسول الله، إنّها قريش و خُيَلاؤها، و قد آمنّا بک و صدّقناک و شهدنا أنّ ما جئت به حقّ من عند الله، و الله لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا[3] و شوک الهَراس لخضناه معک و لا نقول لک ما قالت بنو إسرائيل لموسى: «قالُوا يا مُوسى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها أَبداً ما دامُوا فِيها فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّکَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ»[4].

ولكنّا نقول: إذهب أنت و ربّک، فقاتلا، إنّا معكم مقاتلون. والله لنقاتلنّ عن يمينک و شمالک و من بين يديک... .

فأشرق وجه النّبيّ صلى الله عليه وآله و دعاله و سرّ لذلک.[5] ثمّ قال: أشيروا عليَّ – و إنّما يريد الأنصار لانّ أكثر النّاس منهم، و لأنّه كان يخشى أن يكونوا يرون أنّ عليهم نصرته في المدينة، إن دهمه عدوّ، لا في خارجها – فقام سعد بن معاذ، فقال: بأبي أنت و أمّي يا رسول الله، كأنّک أردتنا؟ فقال: نعم. فقال: فلعلّک قد خرجت على أمرٍ قد أُمرت بغيره؟ قال: نعم.

قال: بأبي أنت و أمّي يا رسول الله، إنّا قد آمنّا بک و صدّقناک و شهدنا أنّ ما جئت به من حقّ من عند الله، فمرنا بما شئت؛ والله، لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر

---

١. الخُيَلاء: العجب و الكبر.

٢. و نسب الواقدي و الحلبي الكلام المتقدم لعمر و قالا عن أبي بكر: إنّه قال فأحسن (المغازي، ج ١، ص ٤٨ و السيرة الحلبية، ج ٢، ص ١٥٠).

٣. نوع من الشّجر صلب، و الهَراس كسَحاب شجرٌ شائک ثمره و عبارة اللّسان: شجر كبير الشّوک.

۴. المائدة : ٢۴.

۵. تاريخ الخميس، ج ١، ص ٣٧٣، و السيرة الحلبيّة، ج ٢، ص ١٥٠.

لخضناه معک، و لعلّ الله یُریک ما تقرّ به عینک، فسر بنا إلی برکة الله.

فسرّ النّبيﷺ و أمرهم بالمسیر، و أخبرهم بأنّ الله تعالی قد وعد إحدی الطّائفتین، و لن یخلف الله وعده: ثمّ قال: والله، لکأنّي أنظر إلی مصرع أبي جهل بن هشام و عتبة بن ربیعة و شیبة و ... و سار حتّی نزل بدراً.

عُدّة و عدد المسلمین و المشرکین

و کان رسول اللهﷺ قد خرج في ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلاً، عدد أصحاب الطّالوت و هو قول عامّة السّلف.[۱] و کان معهم من الإبل سبعون بعیراً یتعاقبون علیها، الإثنان و الثّلاثة. فکان النّبيﷺ و عليعليه‌السلام و مِرثد بن أبي مِرثد – و قیل: زید بن حارثة – یعتقبون بعیراً.

و کان معه من الخیل: فرس للمقداد قطعاً بإجماع المؤرّخین. و روي ذلک عن أمیرالمؤمنینعليه‌السلام.[۲] و قیل: و فرس للزبیر، أو لمرثد، أو هما معاً.

و معهم من السّلاح ستّة أدرع و ثمانیة سیوف.[۳]

أمّا المشرکون، فخرجوا و هم یشربون الخمور و معهم القیان یضربن بالدّفوف و قد أرجعوهنّ من الطّریق، و کان معم سبعمائة بعیر[۴]، و من الخیل أربعمائة[۵] و قیل: مئتان و قیل: مئة فرس،[۶] و کلّهم دارع و مجموع الدّارعین فیهم ستّمائة.

---

۱. السیرة الحلبیة، ج ۲، ص ۱۴۹.

۲. تاریخ الطبري، ج ۲، ص ۱۳۵، و السیرة الحلبیة، ج ۲، ص ۱۴۹، و السیرة النبویة لابن کثیر، ج ۲، ص ۳۸۸.

۳. راجع: مناقب ابن شهر آشوب، ج ۱، ص ۱۸۷، و البحار، ج ۱۹، ص ۲۰۶، و مجمع البیان، ج ۲، ص ۲۱۴.

۴. راجع: ما تقدم في المصادر المتقدمة في الهوامش المختلفة.

۵. تفسیر القمي، ج ۱، ص ۲۶۷.

۶. راجع: مناقب ابن شهر آشوب، ج ۱، ص ۱۸۷، و السیرة الحلبیة، ج ۲، ص ۱۴۶، و البحار، ج ۱۹، ص ۲۴۴ و ۲۰۶.

مواقع الجيشين

و سبق المشركون إلى بدرٍ فنزلوا في العُدوة القُصوى، في جانب الوادي ممّـايلي مكّة، حيث الماء و كانت العير خلـف المـشركين.[١] قـال تعـالى: «وَ الرَّكْـبُ أسْـفَلَ مِنكُمْ»[٢] و محلّ نزولهم كان صلباً.

و نزل المسلمون في العُدوة الدّنيا، أي جانب الوادي ممايلي المدينـة، حيـث لا ماء،و حيث الأرض رخوة، لا تستقرّ عليها قدم؛ ممّا يعني أنّ منزل المسلمين كـان من وجهة نظر عسكريّة غير مناسب، و لكنّ الله أيّد عباده و نصرهم على عدوّهم،

و جاء المطر ليلاً على المشركين، فأوحلت[٣] أرضهم؛ و على المسلمين، فلبَّـدها[٤] و جعلها صُلَبَةً و جعلوا الماء في الحياض.[٥]

في المواجهة

و لمّا أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله عبّأ أصحابه و كانت رايته مع أميرالمؤمنين عليه السلام[٦]. و

---

١. و لسوف يأتي: أنّ العير قد سلمت؛ لأنّ اباسفيان قد سلك بها طريـق البحـر و ابتعـد عـن المدينة و عن مسير المسلمين.

٢. الأنفال : ٤٢.

٣. الوَحَل: الطّين الرقيق ترتطم فيه الدّوابّ و أوحل الأرض: أوقعها في الوحل.

٤. لَبّد المطر الأرضَ: رشّها و ألصق بعضها ببعض.

٥. السيرة النبوية لابن هـشام، ج ٢، ص ٢٧١ و ٢٧٢، و تـاريخ الخمـيس، ج ١، ص ٣٧٥، و تاريخ الطبري (ط الاستقامة)، ج ٢، ص ١٤٤، و السيرة الحلبيّة، ج ٢، ص ١٥٤.

٦. مناقب الخوارزمي، ص ١٠٢؛ و الآحاد و المثاني لابن أبي عاصم النّبيل مخطوط في مكتبة كوبرلي، رقم ٢٣٥، و مسند الكلابي في آخر مناقب ابن المغازلي، ص ٤٣٤.

كان عليه السلام صاحبَ لواء رسول الله ﷺ في بدر و في كلّ مشهد.[١] فما يقال: من أنّه كان لرسول الله ﷺ في بدر أكثر من لواءٍ، مع مُصعَب بن عُمير، او الحُباب بن المُنذر، في غير محلّه؛ إلّا أن يكون مرادهم: أنّ لواء المهاجرين كان مع مُصعب و لواء الأنصار كان مع الحُباب، و نحو ذلك.

و أرسل رسول الله ﷺ إلى المشركين، يقول لهم: «معاشر قريش، إنّي أكره أن أبدأكم بقتال، فخلّوني و العرب و ارجعوا؛ فان أكُ صادقا فأنتم أعلى بي عيناً و إن أكُ كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمري».

و يقال: إنّ عتبة رجّح للمشركين قبول ذلك، فرماه أبوجهل بالجبن، و أنّه انتفخ سَحْرُه[٢] لمّا رأى محمّداً و أصحابه، كلّا و الله لا نرجع حتّي يحكم الله بيننا و بين محمّد، و استوسقوا[٣] على ماهم عليه من الشرّ و تقدّموا يطلبون البراز.

و كان أوّل من برز للقتال عُتبة، و شيبة، و الوليد. فبرز إليهم ثلاثة من الأنصار، فقالوا لهم: ارجعوا فإنّا لسنا إيّاكم نريد؛ إنّما نريد الأكفاء من قريش، فأرجعهم النّبيّ ﷺ و بدأ بأهل بيته؛ لأنّه كره أن تكون البداة بالأنصار[٤]، و ندب عُبيدةَ بن الحارث، و حمزةَ، و عليّاً، قائلاً: قوموا يا عُبيدة، يا عمّ و يا علي، فاطلبوا بحقّكم الّذي جعله الله لكم... .

فقتل علي عليه السلام الوليد، و جاء فوجد حمزةَ معتنقاً شيبة، بعد أن تثلّمت[٥] في أيديهما السّيوف؛ فقال: يا عمّ طَأطِئ رأسک – و كان حمزةُ طويلاً – فأدخل رأسه

---

١. ترجمة الإمام أميرالمؤمنين، من تاريخ ابن عساكر، بتحقيق المحمودي، ج ١، ص ١٤٥.

٢. انتفاخ السَّحْر كناية عن الجبن؛ و السَّحْر: الرِّئة. يقال: كلّ ذي سَحْرٍ يتنفّس: أي كلّ ذي رئة.

٣. استوسقوا: اجتمعوا.

٤. تفسير القمي، ج ١، ص ٢٦٤، و البحار، ج ١٩، ص ٣١٣ و ٣٥٣، و سعد السعود، ص ١٠٢.

٥. تثلّم السّيف: انكسر.

في صدر شيبة، فاعترضه عليعليه السلام بالسّيف فطير نصف رأسه. و كان عتبة قد قطع رِجل عبيدة، و فلق عبيدة هامته، فجاء عليعليه السلام، فأجهز على عتبة أيضاً. فيكون أميرالمؤمنينعليه السلام قد شرك في قتل الثّلاثة.[١]

و ممّا يدل على أنّه شرک في قتلهم جميعاً، كتابه لمعاوية: «فأنا أبوالحسن حقّاً، قاتل جدّک عتبة، و عمّک شيبة، و خالک الوليد، و أخيک حنظلة، الّذين سفک الله دماءهم على يدي في يوم بدر... ».[٢]

و لمّا رأى أبوجهل مقتل عتبة و شيبة و الوليد، حاول إنقاذ الموقف؛ فقال: لا تعجلوا و لا تبطروا كما بطر ابنا ربيعة. عليكم بأهل يثرب، فاجزروهم جزراً، و عليكم بقريش، فخذوهم أخذاً، حتّى نُدخلهم مكّة، فنعرّفهم ضلالتهم الّتي هم عليها.

و يذكر ابن عباس في قوله تعالى: «وَ ما رَمَيتَ إِذْ رَمَيتَ وَ لكِنَّ اللّهَ رَمى»[٣]:

إنّ النّبيّصلى الله عليه وآله – بأمرٍ من جبرائيل – قال لعليعليه السلام: ناولني كفّاً من حصباء، فناوله، فرمى به في وجوه القوم، فما بقي أحدٌ إلّا امتلأت عينه من الحصى. ثمّ ردفهم المؤمنون يقتلونهم و يأسرونهم.[٤]

الملائكة في بدر

و قد أمَدَّ الله المسلمين بالملائكة لتثبيت قلوبهم؛ و في كونهم حاربوا، خلافٌ، ظاهر القرآن ربّما لا يساعد عليه، حيث يقول تعالى: «وَ ما جَعَلَهُ اللّهُ إِلاّ بُشْرى وَ

١. راجع: المناقب، ج ٣، ص ١١٩ عن صاحب الأغاني و غيره.

٢. الفتوح لابن أعثم، ج ٢، ص ٤٣٥، و نهج البلاغه بشرح عبده، ج ٣، ص ١٣، و الغدير، ج ١٠، ص ١٥١.

٣. الأنفال: ١٧.

٤. البحار، ج ١٩، ص ٢٢٩ عن تفسير الثّعلبي، و المناقب لابن شهر آشوب، ج ١، ص ١٨٩.

لِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ»[١].

ولكن ثَمّة آية أخرى تشير إلى اشتراكهم بالقتال و هي قوله تعالى: «إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَ اضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ»[٢].

هذا إذا كان قوله تعالى: «فاضربوا» خطاباً للملائكة، كما لعلّه الظّاهر، و إن كان خطاباً للمقاتلين من النّاس، فلا دلالة في الآية على ذلك أيضا.

و مهما يكن من أمر، فإنّ الملائكة كانوا يتشبّهون بأميرالمؤمنين عليه السلام[٣]. و لربّما كانوا هم الوسيلة لتكثير المسلمين في أعين المشركين أثناء القتال، كما قال تعالى: «وَ يُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ[٤]»[٥].

و هزم الله المشركين شرّ هزيمة، و قُتل أبوجهل، و كان رسول الله ﷺ قد أوعده أن يقتله الله بأضعف أصحابه، بل أخبر ﷺ بكلّ ما جرى في بدر قبل وقوعه،[٦] فقتله رجل أنصاري، و احتزّ رأسه ابن مسعود.

و كان أوّل من انهزم في بدر إبليس لعنه الله؛ فإنّه كان قد تبدّي للمشركين – كما جاء في الرّواية – بصورة سراقة بن مالك المُدلجي، من أشراف كنانة؛ فلمّا رأى ما جرى للمشركين، و رأى الملائكة مع المسلمين، نكص على عقبيه، فانهزم المشركون.

---

١. الأنفال: ١٥.

٢. الأنفال: ١٢.

٣. البحار، ج ١٦، ص ١٨٥، عن المناقب.

٤. الأنفال: ٤٤.

٥. كذا في الأصل و لكنّ الظاهر أنّه سهوٌ و الظّاهر أنّ الآية الدّالة على ذلك هي الآية ١٣ من سورة آل عمران: «و أخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين».

٦. البحار، ج ١٩، ص ٢٦٧ عن الاحتجاج، و التفسير المنسوب للامام العسكري عليه السلام، ص ١١٨ و ١١٩.

و روي: أنّ أباسفيان لمّا أبلغ العير إلى مكّة رجع و لحق بجيش قريش، فمضى معهم إلى بدر، فجرح يومئذ جراحات، و أفلت هارباً، و لحق بمكّة راجلاً.[١]

نتائج الحرب

و قُتل في بدر سبعون، و أسر مثلهم. و استشهد من المسلمين تسعة و قيل أحد عشر، و قيل أربعة عشر؛ ستّه من المهاجرين و ثمانية من الأنصار. و لم يؤسر من المسلمين أحدٌ. و غنموا من المشركين مئة و خمسين بعيراً و عشرة أفراس، و عند ابن الأثير ثلاثين فرساً، و متاعاً، و سلاحاً، و أنطاعاً،[٢] و ثياباً، و أدُماً[٣] كثيراً.

بطولات علي عليه السلام

و أكثر قتلى المشركين قُتلوا على أيدي المهاجرين، و بالتّحديد على يد أهل بيت النّبي صلى الله عليه و آله و بالذّات على يد علي عليه السلام. و قد سمّاه الكفّار يوم بدر بـ (الموت الأحمر) لعظم بلائه و نكايته.[٤] و كيف لا ، و نحن نرى الشّعبي يقول: «كان علي أشجع النّاس تقرّ بذلک العرب.»[٥]

و لماذا لا يسمّى عليه السلام بالموت الأحمر؟ و هو الّذي تقول في حقّه بعض الرّوايات: إنّ جبرائيل قد نادى بين السماء و الأرض في بدر:

---

١. تاريخ الخميس، ج ١، ص ٣٧٥.

٢. الأنطاع جمع النِّطع و هو بساط من الأديم.

٣. الأدُم جمع الإدام و الإدام كلّ موافق و ملائم، و منه إدام الطّعام و هو ما يجعل مع الخبز فيطيّبه.

٤. المناقب لابن شهر آشوب، ج ٢، ص ٦٨.

٥. نور القبس، ص ٢٤٩.

لا فتى إلّا علي لا سيف إلّا ذوالفقار

و يقال: إنّ هذه المناداة كانت في أحد، و ستأتي مع بعض الكلام حولها إن شاء الله. و قد قَتَل عليه السلام من المشركين في بدر نصفَ السّبعين و شارك في قتل النّصف الآخر.[١]

و قد عدّ الشيخ المفيد ستّةً و ثلاثين بأسمائهم ممّن قتلهم أميرالمؤمنين عليه السلام.[٢]

و قال ابن إسحاق: أكثر قتلى المشركين يوم بدر كان لعلي.[٣] و قال الطّبرسي و القمي: إنّه قَتَل منهم سبعة و عشرين.[٤]

و يلاحظ: أنّ حرب بدر و أُحُد و غيرهما قد أثّرت في قلوب القرشيين أثراً بعيداً حتّى قيل: كانت قريش و إذا رأت أميرالمؤمنين في كتيبة، تواصت خوفاً منه، و نظر إليه رجلٌ و قد شقّ العسكر، فقال: قد علمت أنّ ملك الموت في جانب الّذي فيه عليّ.[٥]

و من هنا نجد قريش لم تستطع أن تحبّ عليّاً و أهل بيته، رغم أنّها تتظاهر بالإسلام، و رغم النّصوص القرآنيّة و النّبويّة الآمرة بمحبّتهم و مودّتهم.

و عن ابن عباس: قال عثمان لعليّ: «ما ذنبي إذا لم تحبّك قريش، و قد قتلت منهم سبعين رجلاً، كأنّ وجوهَهُم سيوف (أو شنوف) الذّهب».[٦]

هذا و قد ظلّ الأحلاف يتحيّنون الفرص للأخذ بثارات بدر و أُحدٌ و غيرهما، و قد فشلوا في حرب الجمل و صفّين، إلى أن سنحت لهم الفرصة، بزعمهم – في

---

١. راجع: نهج الحق الموجود في ضمن دلائل الصدق، ج ٢، ص ٣٥٣.

٢. الإرشاد، ص ٤٣ و ٤٤.

٣. المناقب لابن شهر آشوب، ج ٣، ص ١٢٠، و البحار، ج ١٩، ص ٢٩١.

٤. راجع: تفسير القمي، ج ١، ص ٢٧١، و البحار، ج ١٩، ص ٢٤٠ عن مجمع البيان.

٥. محاضرات الأدباء للرّاغب الإصفهاني، ج ٢، ص ١٣٨.

٦. معرفة الصّحابة لأبي نعيم الورق ٢٢، مخطوط في مكتبة طوپ قپوسراي، رقم ١ / ٤٩٧، و شرح النهج للمعتزلي، ج ٩، ص ٢٢.

واقعة كربلاء المشهورة، ثمّ ما أعقبها من ظلم و اضطهاد لأهل البيت و شيعتهم.

و نجد أنّ يزيد الطّاغية لم يستطع أن يُخفي دوافعه و كفره، و أنّه يريد الثأر لأشياخه في بدر، فتمثّل بأبيات ابن الزّبعري، و أضاف إليها إنكاره الوحي و النّبوّة، فقال و هو ينكت ثنايا سيّد شباب أهل الجنّة بالقضيب:

ليت أشياخي ببدر شهدوا — جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا و استهلّوا فرحاً — ثمّ قالوا يا يزيد لاتشل
قد قتلنا القوم من أشياخهم — وعدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالمُلك فلا — خبر جاء و لا وحي نزل
لست من خِندِفَ إن لم أنتقم — من بنى أحمد ما كان فعل[1]

الغنائم و الأسرى

جمع النّبيّ صلى الله عليه وآله الغنائم و سلّمها لعبد الله بن كعب، و أمرهم بمعاونته في حملها و حفظها، و لم يُقسّمها إلّا و هو في طريقة إلى المدينة، و ذلك من أجل أن تَخِفَّ حِدّةَ الخلاف فيما بين أصحابه و تعود إليهم حالتهم الطبيعيّة، بعيداً عن نزوات[2] آمالهم الدّنيويّة. فقسّمها بينهم آنئذٍ و لم يخرج منها الخمس.

و أمّا الأسرى، فقد أسر من المشركين سبعون رجلاً كما تقدّم، و تحرّك صلى الله عليه وآله نحو المدينة، فلمّا بلغ الصّفراء أمر أميرَالمؤمنين عليه السلام بأن يضرب عنق أسيرين هما: عُقبة بنَ أبي مُعَيْط - ذو السّوابق السّيئة المعروفة مع المسلمين و النّبيّ صلى الله عليه وآله في مكّة - و النّضر بن الحارث الّذي يعذّب المسلمين في مكّة.

و لمّا رأى الأنصار ما جرى للنّضر و لِعُقبة، خافوا أن يقتل صلى الله عليه وآله جميع الأسارى،

---

١. مقتل الحسين للمقرّم، ص ۴۴۹ و ۴۵۰، و اللهوف، ص ۷۵ و ۷۶.

٢. النّزَوات جمع النّزوة و هي المرّة و القصير من الأشياء.

فقالوا: يا رسول الله، قتلنا سبعين، و هم قومک و أسرَتک أتجُذّ[1] أصلهم؟ هبهم لنا، و خذ منهم الفداء و أطلقهم.

ولكنّ النّبيّ ﷺ كره أخذ الفداء، حتّى رأى ذلک سعد بن معاذ في وجهه، فقال: يا رسول الله، هذه أوّل حرب لقينا فيها المشركين، و الإثخان في القتل أحبّ إلينا من استبقاء الرّجال.

و نزل في هذه المناسبة قوله تعالى: «ما كانَ لِنَبِي أنْ يكُونَ لَهُ أسْرى حَتّى يثْخِنَ فِي الأرْضِ تَرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنيا وَ اللّهُ يرِيدُ الأخِرَةَ وَ اللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَوْ لا كِتابٌ مِنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أخَذْتُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ»[2].

و لمّا رأى النّبيّ ﷺ إصرارهم على أخذ الفداء، أخبرهم: أنّ أخذ الفداء سوف تكون عاقبته هو أن يقتل من المسلمين بعدد الأسرى، فقبلوا ذلک و تحقّق ما أوعدهم به ﷺ في واقعة أحُد، كما سنرى.[3]

و تقرّر الأمر على الفداء، و جعل فداء كلّ أسير من ألف إلى أربعة آلاف، و صارت قريش تبعث بالفداء أوّلاً بأوّل، وأعطى ﷺ كلّ رجل من أصحابه الأسير الّذي أسر، فكان هو يفاديه بنفسه.[4]

و كان من جملة الأسرى عبّاس و عقيل، و قد سهر النّبيّ ﷺ ليلة، فقال له بعض أصحابه: ما يسهرک يا نبي الله؟ قال: أنين العبّاس.[5] فقام رجل من القوم،

---

١. جذّه: قطعه مستأصلاً.

٢. الأنفال: ٦٧ و ٦٨.

٣. راجع: تاريخ الطبري، ج ١، ص ١٦٩، و السيرة الحلبية، ج ٢، ص ١٩٠، و صحيح مسلم، ج ٥، ص ١٧٥ و أسباب النّزول للواحدي، ص ١٣٧، و حياة الصّحابة، ج ٢، ص ٤٢، و كنز العمال، ج ٥، ص ٢٦٥ عن أحمد و مسلم.

٤. المصنّف، ج ٥، ص ٢١١.

٥. الظّاهر أنّ مكان العباس كان قريباً من النّبيّ ﷺ فمنعه أنينه من الرّاحة، لا أنّه كان يعطف عليه خاصة دون غيره من الأسرى.

فأرخى من وثاقه؛ فقال رسول اللهﷺ: ما بالي ما أسمع أنين العباس؟ فقال رجل من القوم: إنّي أرخيت من وثاقه شيئاً. فقالﷺ: «فافعل ذلک بالأسارى كلّهم».[1]

و هذه الرّواية الّتي تمثّل عدل النّبيﷺ و دقّته في مراعاة الأحكام الإلهيّة و صلابته في الدّين؛ فإنّهﷺ لم يكن ليرفق بأقاربه، و يعنف بغيرهم.

و أمره بمفاداة نفسه، و عقيلاً و نوفل ابنَي أخيه، فأنكر أن يكون له مالٌ: فقال لهﷺ: أعط ما خلّفته عند أمّ الفضل، فقلت لها: إن أصابني شيء، فأنفقيه على نفسک و ولدک. فسأله من أخبره بهذا، فلمّا عرف أنّه جبرائيل قال: محلوفة،[2] ما علم بهذا أحدٌ إلّا أنا و هي؛ أشهد أنّک رسول الله.

فرجع الأسارى كلّهم مشركين، إلّا العبّاس و عقيلاً و نوفل و فيهم نزلت هذه الاية:[3]

«قُلْ لِمَنْ فِي أَيدِيكُمْ مِنَ الأسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيراً يُؤْتِكُمْ خَيراً مِمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ».[4]

و في نصّ آخر: أنّه لمّا طلب منه الفداء ادّعى: أنّه كان قد أسلم، لكنّ القوم استكرهوه. فقال لهﷺ: الله أعلم بإسلامک، إن يكن ما تقول حقّاً فإنّ الله يجزيک عليه، فأمّا ظاهر أمرک فقد كنت علينا.[5]

و هذا يدلّ على أنّه لا مجال لدعوى: أنّ العبّاس كان قد أسلم قبل بدر سرّاً،

---

١. تاريخ الخميس، ج ١، ص ٣٩٠، و صفة الصفوة، ج ١، ص ٥١٠.

٢. المحلوفة: القَسَم.

٣. راجع: تفسير البرهان، ج ٢، ص ٩٤ و الرواية معتبرة السند، و راجع أيضا: تفسير الكشاف، ج ٢، ص ٢٣٨ و غير ذلک.

٤. الأنفال: ٧٠.

٥. البحار، ج ١٩، ص ٢٥٨، و تفسير القمي، ج ١، ص ٢٦٨؛ و تاريخ الخميس، ج ١، ص ٣٩٠، و السيرة الحلبيّة، ج ٢، ص ١٩٨.

كما عن البعض.[1] إلّا إذا أراد أن يستند في ذلك إلى دعوى العبّاس نفسه، و هي دعوى لم يقبلها منه رسول اللهﷺ.

بل لقد جاء أنّه لم يظهر للعبّاس إسلامٌ إلّا عام الفتح.[2] و هذا هو الأقرب إلى الصّواب؛ فإنّه إن كان قد أسلم في بدر – كما يدلّ عليه ما تقدّم و لا سيّما رواية تفسير البرهان المعتبرة سنداً – فإنّما أسلم سرّاً، و كان يتظاهر للمشركين بما يرضيهم حفاظاً على مصالحه و أمواله و علاقاته؛ فإنّ قريشاً لم تكن تتحمّل وجود مسلم بينها هذه السّنوات الطّويلة، و حروبها مع محمّد قائمة على ساق، و لا سيّما إذا كان ذلك المسلم هو عمّ ذلك الرّجل.

و ربّما يقال: إنّ النّبيﷺ قد أمره بالمقام بين أظهرهم ليكون عيناً له، و يقال: إنّه كان يكتب للنّبيﷺ بأخبارهم، و قد أخبره بحرب أُحُد على ما يظنّ؛ و لكن ذلك لا يدلّ على إسلامه، نعم، هو يدلّ على نصحه لرسول اللهﷺ، و لو بدوافع الرّحِم و الحميّة، فلابدّ أن يُعرّف الرّسولﷺ ذلك له و يكافئه عليه.

فداء الأسير تعليم الكتابة

قال المقريزي: «و كان في الأسرى من يكتب و لم يكن في الأنصار من يحسن الكتابة، و كان منهم من لا مال له، فيقبل منهم أن يعلّم عشرة من الغلمان، و يخلّي سبيله؛ فيومئذٍ تعلّم زيد بن ثابت الكتابة في جماعة من غلمان الأنصار...».[3]

---

۱. راجع: البداية و النهاية، ج ۳، ص ۳۰۸، و السيرة الحلبيّة، ج ۲، ص ۱۸۸ و ۱۹۸، و طبقات ابن سعد، ج ۴، ص ۲۰، قسم ۱.

۲. السيرة الحلبيّة، ج ۲، ص ۱۹۹.

۳. راجع: التّراتيب الإدارية، ج ۱، ص ۴۸ و ۴۹ عن المطالع النصريّة في الأصول الخطّيّة لأبي الوفاء نصر الدّين الهوريني، و عن السهيلي و مسند أحمد، ج ۱، ص ۲۴۷، و الإمتاع، ص ۱۰۱، و الروض الأنف، ج ۳، ص ۸۴.

و نقول: إنّ جعلَ فداء الأسرى هو تعليم عشرة من أطفال المسلمين، ليعتبر أوّل دعوة في التّاريخ لمحو الأمّيّة، سبق الإسلام بها جميع الأمم، و ذلک يعبّر عن مدى اهتمام الإسلام بالعلم في وقت كانت فيه أعظم الدّول كدولة الأكاسرة تمنع بصورة قاطعة من تعليم القراءة و الكتابة لأحد من غير الهيئة الحاكمة، حتّى إنّ أحد التّجار قد عرض أن يقدّم جميع الأموال اللّازمة لحرب أنوشيروان مع قيصر الرّوم على أن يسمح له بتعليم ولده.[1]

بل لقد كانت بعض الفئات العربيّة تعدّ المعرفة بالكتابة عيباً.[2] و هذا الإسلام قد جاء ليطلق أعدى أعدائه، في أدقّ الظّروف و أخطرها في مقابل تعليمهم لعشرة من غلمان المسلمين.

عودة خيبة و ظفر

رجع المحاربون المشركون إلى مكّة بأسوأ حال من الحنق و الغيظ؛ فنهاهم أبوسفيان عن النّوح على قتلاهم، و منع الشّعراء من ندب القتلى؛ لئلّا يخفّف ذلک من غيظهم، و يقلّل من عداوتهم للمسلمين، و حتّى لا يبلغ المسلمين حزنهم، فيشمتوا بهم.

و حرّم أبوسفيان الطّيب و النّساء على نفسه، حتّى يغزو محمّداً، و كذلک كان موقف زوجته هند، الّتي اعتزلت فراشه و امتنعت عن الطّيب.

و في الجبهة الأخرى، فقد أرسل النّبيّ صلّی الله علیه وآله يبشّر أهل المدينة بالنّصر المبين، فلم يصدّق البعض ذلک في بادي الأمر، ثمّ تأكّد لديهم أنّه حقّ، ففرح المؤمنون، و استقبلوا الرّسول صلّی الله علیه وآله فرحين مسرورين.

---

١. خدمات متقابل اسلام و ايران، ص ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٣١٤، و راجع: ص ٣١٠ عن شاهنامه فردوسي، ج ۶، ص ٢٥٨ - ٢٦٠.

٢. الشّعر و الشعراء، ص ٣٣٤، و التراتيب الإداريّة، ج ٢، ص ٢٤٨.

و قدم الأسارى المدينة بعد قدومه ﷺ بيوم؛ ففرّقهم بين المسلمين، و قال: استوصوا بهم خيراً، إلى أن فداهم أهل مكّة.

ثم أرسل ﷺ عبدالله بن رواحه مبشّراً إلى أهل العالية – ما كان من جهة نجد من المدينة – و بعث زيد بن حارثة إلى أهل السّافلة – ما كان في جهة تهامة – بما فتح الله على رسوله و على المسلمين.

بعض نتائج حرب بدر

١. إنّ قريشاً الّتي كانت تحبّ الحياة قد واجهت في بدر ضربة روحيّة قاسية جداً، و أصابها هلع[1] قاتل، و هي ترى أنّ حياتها مع هؤلاء المسلمين قد أصبحت في خطر حقيقي. و قد كان لهذا الخوف و الهلع أثر لا ينكر على حروبها اللّاحقة مع المسلمين؛ فإنّ الخائف اللّجوج بطبيعته يتّخذ الاحتياطات كافّة لتأمين النّصر لنفسه مع احتفاظه بالحياة؛ و لذا فقد حاولت قريش في حملاتها اللّاحقة أن تكون أكثر دقّةً و تركيزاً، و أوسع حشداً[2] و استعداداً، من أجل القضاء على هذه الحركة الّتي تراها تهدّد مصالحها و امتيازاتها في المنطقة؛ اجتماعيّاً، و سياسيّاً و اقتصاديّاً و غير ذلک.

٢. و من الجهة الأخرى، فقد قويت نفوس المسلمين بذلک و عادت لهم الثّقة بأنفسهم بصورة ظاهرة، و شجعهم هذا الانتصار غير المتوقّع على مواجهة ما كان إلى الأمس القريب، يرعبهم حتّى احتماله، فضلاً عن التّفكّر فيه أو مواجهته. و قد كان هذا الانتصار في المستوي الّذي صعب على بعض أهل المدينة التّصديق به.

٣. لقد أعانتهم تلک الغنائم الّتي حصلوا عليها إلى حدّ كبير على مواجهة

---

١. الهلع: الجزع و قيل: أفحش الجزع.

٢. الحَشْد و الحَشَد: الجماعة.

مشاكلهم الاقتصادية المُلِحَّة،[١] كما أنّها فتحت شَهْيَةَ[٢] الطّامعين و جعلتهم على استعداد للمشاركة؛ بل و يتطلّعون إلى نظائرها في المستقبل.

٤. ثمّ إنّه قد أصبح ينظر إلى المسلمين في المنطقة على أنّهم قوّة فعّالة، لابدّ أن يحسب حسابها، و هابتهم القبائل، و بدأت تخطب ودّهم و تتقرّب إليهم و لم يعد من السّهل عليها أن تنقض ما أبرمته معهم من معاهدات.

بل و أصبحت تتوقّع لهم انتصارات أخرى أيضا، حتّى ليقول اليعقوبي عن وقعة ذي قار، الّتي كانت بعد بدر بأربعة أشهر: «و أعزّ الله نبيّه و قتل من قريش، فأوفدت العرب وفودها إلى رسول الله، و حاربت ربيعة كسرى، و كانت وقعتهم بذي قار، فقالوا: عليكم بشعار التّهامي فنادوا: يا محمّد، يا محمّد؛ فهزموا جيوش كسرى».[٣]

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

١. المُلِح: الّذي يقوم من الإعياء و لا يبرح، و ألحّ في السؤال: ألحف و أقبل عليه مواظباً.

٢. الشَّهْيَة: حركة النّفس طلباً للملائهم و شيءٌ شهي أي لذيذ.

٣. تاريخ اليعقوبي (ط. صادر) ج ٢، ص ٤٦.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الخامس

غزوة أُحد

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أجواء و مواقف

و في سنة ثلاث، في شهر شوّال، يوم السّبت على الأشهر، كانت غزوة أحد،[1] و ذلك أنّ نتائج حرب بدر كانت قاسية على مشركي مكّة، و مفاجأة لليهود و المنافقين في المدينة.

فمضت قريش بعد الآن تستعدّ لقتال النّبيّ صلى الله عليه وآله و تُعبّيء النّفوس و تجهّز القوى الحربيّة لأخذ الثار و محو العار، و مضى اليهود الّذين أصبحوا يخافون على مركزهم السّياسي و الاقتصادي في المنطقة و على هيمنتهم الثّقافيّة أيضاً يحرّضون المشركين على الثار ممّن وترهم، و أعلنوا بالحقد و نقض العهد.

و من جهة النّبيّ صلى الله عليه وآله و من معه من المسلمين؛ فإنّهم لن يتخلّوا عن قبلتهم، الكعبة و لن يتركوا قريشاً و غرورها، لا سيّما بعد تعدّيها عليهم و ظلمها القبيح لهم، حتّى اضطرّهم إلى الهجرة من ديارهم و ترك كلّ ما يملكون.

جيش المشركين إلى أحد

و كانت العير الّتي كانت وقعة بدر من أجلها – و هي ألف بعير كما قالوا – قد بقيت سالمة و محتبسة في دار النّدوة، و اتّفقوا مع أصحابها على أن يعطوهم رؤوس أموالهم، و هي خمسة و عشرون أو خمسون ألف دينار – على اختلاف

---

١. أحد جبل أحمر في شمالي المدينة، بينه و بين المدينة قرابة ميل (معجم البلدان).

النّقل – على أن يصرف الرّبح في قتال المسلمين، و كان كلّ دينار يربح ديناراً، و هو مبلغ هائل في وقت كانت للمال فيه قيمة كبيرة.

و بعثوا الرّسل إلى القبائل ستنصرونهم، و خرجت قريش بِحَدِّها و جَدِّها و أحابيشها[١] و من تابعها، و أخرجوا معهم بالظّعن[٢] خمس عشرة إمرأة، فيهنّ هند بنت عتبة، لئلّا يفرّوا، و ليُذكّرونهم قتلى بدر، يغنّين و يضربن بالدّفوف ليكون أجدّ لهم في القتال، و خرج معهم الفتيان بالمعازف، و الغلمان بالخمور، و كان جيش المشركين ثلاثة آلاف مقاتل. و كان فيهم سبعمائة دارع و مئتا فارس على المشهور، و معهم ألف – و قيل ثلاثة آلاف – بعير، و كلّهم بقيادة أبي سفيان الّذي صار زعيم قريش بعد قتل أشرافها في بدر.[٣]

و سارت قريش حتّى نزلت بذي الحُلَيفة، و سرّحوا إبلهم في زروع المدينة، و أرسل النّبيﷺ بعض العيون لمراقبتهم، و أرسل أيضاً الحُباب بن المنذر سرّاً لمعرفة عددهم و عُدّتهم، و قال له: إذا رجعت فلا تخبرني بين أحد من المسلمين إلّا أن ترى في القوم قلّةً، فرجع إليه فأخبره خالياً و أمره الرّسولﷺ بالكتمان.[۴]

النّبيﷺ يستشير أصحابه

إنّه لمّا نزل المشركون قرب المدينة و بثّ المسلمون الحرس عليها و خصوصاً على مسجد الرّسول و أراد الشّخوص، فجمع أصحابه للتّشاور في أمر جيش لم

---

١. يريد «بأحابيشها»: من اجتمع إلى العرب و انضمّ إليهم من غيرهم.

٢. يريد (بالظّعن) : النّساء في الهوادج.

٣. راجع: تاريخ الخميس، ج ١، ص ۴١٩ – ۴٢٢، و السيرة الحلبيّة،ج ٢، ص ٢١٧ و ٢١٨، و السيرة النبوية لدحلان (مطبوع بهامش الحلبيّة، ج ٢، ص ١٩ – ٢١ و ٢۶، و المغازي للواقدي، ج ١، ص ٢٠٠ – ٢٠۴ و ٢٠۶.

۴. المغازي للواقدي، ج ١، ص ٢٠٧ و ٢٠٨.

يواجه المسلمون مثله من قبل، عُدّةً و عدداً.

فأشار عبدالله بن أبي بالبقاء في المدينة، فإذا أقبل العدوّ رماه الأطفال و النّسوة بالحجارة و قاتله الرّجال بالسِّكک،[1] و إن أقام في خارج المدينة، أقام في شرّ موضع؛ و لكن من لم يشهد بدراً، و طائفة من الشّباب المتحمّسين[2] الّذين ذاقوا حلاوة النّصر في بدر، و معهم حمزة بن عبدالمطّلب و أهل السّن، قد رغبوا بالخروج و أصرّوا عليه؛ و احتجّوا لذلک: بأنّ إقامتهم في المدينة ستجعل عدوّهم يظنّ فيهم الجبن فيجرؤ عليهم.

و غالب الرّوايات، بل كلّها متّفقة على أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله كان يُرجّح البقاء في المدينة، ولكن إصرار أصحابه هو الّذي دعاه إلى العدول عن هذا الرّأي.

ولكنّ العلّامة السيّد الحسني(رحمه الله) يرى: أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله كان يرى الخروج إلى العدوّ، عكس رأى ابن أبي، و إنّما استشارهم ليختبر نواياهم، و لمّا اختبرهم و عرف نواياهم، أعلن عن رأيه الّذي كان قد انطوى عليه من أوّل الأمر.

قال: و يرجّح ذلک: أنّه لمّا خرج المسلمون إلى أحد، رجع ابن أبي في ثلاثمائة و خمسين من أتباعه المنافقين و بعض اليهود إلى المدينة بلاسبب.

و في رواية: أنّه هو نفسه صلى الله عليه وآله أمرهم بالرّجوع، و قال: لا نحارب المشركين بالمشركين.

إذاً، فالخروج من المدينة هو الأصوب، ولو أنّه بقي فيها لأصبح خلال ساعات معدودات تحت رحمة المشركين. انتهى ملخّصاً.[3]

ولكنّنا لا نوافق العلّامة الحسني على أنّ النّبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله كان يتعامل مع أصحابه بهذه الطّريقة الماكرة، فيُظهر لهم خلاف ما يبطن! نعوذ بالله من الزّلل و الخطل في القول و العمل.

---

١. جمع السكّة، الزّقاق و قيل الطّريقة المصطفّة من النخل.

٢. تحمّس : هاج و غضب لأمر.

٣. سيرة المصطفى، ص ٣٩٦ – ٣٩٩.

إلّا أن يكون مقصوده أنه ﷺ لم يُظهر لهم رأيه، بل تركهم يُظهرون له ما في نفوسهم من دون أي تحفّظ أو حياء، و ليتحمّلوا، ثمّ ليتألّفهم بذلك، حتّى إذا اختلفوا كان هو الحاسم للخلاق برأيه الصائب و موقفه الحكيم.

و أخيراً، فإنّ لنا تحفظاً على ما ذكره من أنّ ابن أبي قد رجع بمن معه من المنافقين و بعض اليهود فإنّ ذكر اليهود هنا في غير محلّه؛ لأنّه ﷺ لم يكن يحبّذ الاستعانة باليهود، كما أنّهم هم أنفسهم ما كانوا ليعينوه على قتال عدوّه، و لا يرضى قومهم بذلك منهم إلّا إذا كانوا يريدون أن يكونوا في جيش المسلمين عيوناً للمشركين. و لم يكن ذلك ليخفى على النّبيّ ﷺ و لا المسلمين، و لعلّه لأجل ذلك نجده ﷺ قد رفض قبولهم في هذه الغزوة بالذّات، و أرجعهم.

عقد الألوِيَة

و بعد أن استشار رسول الله ﷺ أصحابه و خرج عليهم لابساً لامة حربه، استخلف على المدينة ابن أمّ مكتوم و عقد الألوية، فأعطى اللّواء أميرالمؤمنين عليه السلام، كما نصّ عليه البعض. [1]

و يقال: إنّه اللّواء الأعظم[2]، و كان لواء الأوس مع أُسَيد بن حُضَير، و لواء الخزرج مع حُباب بن المُنذر، و قيل : مع سعد بن عباده.

قال القوشجي، في غزاة أحد جمع له الرّسول ﷺ بين اللّواء و الرّاية. [3] و عن أبي رافع قال: كانت راية رسول الله ﷺ يوم أحد مع علي و راية المشركين مع

۱. الأوائل لأبي هلال، ج ۱، ص ۱۸۳، و الثقات لابن حبان، ج ۱، ص ۲۲۴ و ۲۲۵ و راجع: البحار، ج ۲۰، ص ۴۹ و تفسير القمي، ج ۱، ص ۱۱۲.

۲. تاريخ الخميس، ج ۱، ص ۴۲۶ عن المنتقي.

۳.شرح التجريد، ص ۴۸۶.

طلحة بن أبي طلحة.[١]

و يظهر من بعض الرّوايات الفرق بين اللّواء و الراية، و قد قالوا: إنّ الرّاية كانت في يد قصي، ثمّ انتقلت في ولده حتّى انتهت إلى النّبيّ صلى الله عليه و آله فأعطاها رسولُ الله صلى الله عليه و آله لعليّ في غزاة وَدّان، ثمّ لم تزل مع عليٍّ في المشاهد، في بدر و أحد؛ و كان اللّواء يومئذٍ في بني عبد الدّار، فأعطاه رسولُ الله صلى الله عليه و آله لمُصعب بن عُمير، فاستشهد، و وقع اللّواء من يده فتشوّقته القبائل، فأخذه رسول الله صلى الله عليه و آله فدفعه إلى علي، فجمع له يومئذٍ الرّاية و اللّواء فهما إلى اليوم في بني هاشم.[٢]

و يظهر أنّ هذا هو مراد القوشجي من كلامه الآنف.

و نقول: إنّ هذه الرّوايات تنافي ما نقل عن ابن عباس،[٣] و جابر و قتادة[٤] من أنّه عليه السلام كان صاحب لوائه صلى الله عليه و آله في كلّ زحفٍ، و قد دلّت هذه الرّوايات على أنّ عليّاً عليه السلام هو صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه و آله و هو أيضاً صاحب راية رسول الله لو كان ثَمّة فرق بينهما.

و نحن نشكّ في ذلك، لأنّ بعض أهل اللّغة ينصّون على عدم الفرق؛[٥] فإنّ كلّاً منهما عبارة عمّا يجعله القائد من الأقمشة في طرف رمح، أو نحوه، و نجد وصف اللّواء بالأعظم تارة،[٦] و وصف الرّاية بالعظمى أيضاً.[٧]

---

١. اللآلي المصنوعة، ج ١، ص ٣٦٥.

٢. الإرشاد للمفيد، ص ٤٨.

٣. مناقب الخوارزمي، ص ٢١ و ٢٢، و إرشاد المفيد، ص ٤٨، و تيسير المطالب، ص ٤٩.

٤. راجع: كفاية الطالب، ص ٣٣٦، و كنزالعمال، ج ١٥، ص ١١٩، و مناقب أميرالمؤمنين لابن المغازلي، ص ٢٠٠، و عمدة القاري، ج ١٦، ص ٢١٦، و مناقب الخوارزمي، ص ٣٥٨.

٥. السيرة الحلبيّة، ج ٢، ص ١٤٧.

٦. راجع: حياة الصّحابة، ج ١، ص ٤٣١، و تاريخ ابن عساكر، ترجمه علي عليه السلام بتحقيق المحمودي، ج ١، ص ١١٠.

٧. كما في قول ابن أبي الحديد عن هزيمة الشيخين في خيبر:

و للرّاية العظمى و قد ذهبا بها ... ملابس ذلّ فوقها و جلابيب

إلّا أن يقال: إنّ مُصعب بن عمير كان صاحب لواء المهاجرين، فلما استشهد في أحد صار لواؤهم إلى علي؛ فعلي عليه السلام صاحب راية و لواء رسول الله، و هو أيضا صاحب لواء المهاجرين، و لعلّ هذا هو الأظهر.

عُدّة و عدد المسلمين

ثمّ توجّه رسول الله ﷺ إلى أحد و معه ألف رجل، و يقال: تسعمائة، و زاد بعضهم خمسين. منهم مئة دارع. ليس معهم فرس.[1] و قيل: مع النّبيّ ﷺ فرسه، و فرس لأبي بردة بن نيار.[2]

و قيل: كان معهم فرس واحد.[3]

و رجع ابن أُبي ممّا بين المدينة و أحد بمن معه من المنافقين، و أهل الرّيب، و كانوا ثلاثمائة رجل، و قال: محمّد عصاني و أطاع الوِلْدان، سيعلم!! ما ندري علام نقتل أنفسنا و أولادنا ههنا أيّها النّاس؟!

و قيل: إنّ النّبيّ ﷺ أمرهم بالانصراف لكفرهم.[4] فبقى ﷺ في سبعمائة من أصحابه أو ستّمائة.

و برجوع ابن أبي سقط في أيدي بني حارثة و بني سلمة، ثمّ عادوا إلى الموقف الحقّ. قال تعالى: «إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا ...»[5].

---

۱. وفاء الوفاء، ج ۱، ص ۲۸۴ و ۲۸۵ عن ابن عقبة، و السيرة الحلبيّة، ج ۲، ص ۲۲۱.

۲. تاريخ الطبري، ج ۲، ص ۱۹۰، السيرة الحلبيّة، ج ۲، ص ۲۲۱.

۳. مجمع الزوائد، ج ۶، ص ۱۱۷ عن الطّبراني، و حياة الصّحابة، ج ۳، ص ۷۶۹ عن كنزالعمال، ج ۳، ص ۱۳۵ عن الطّيالسي.

۴. سيرة مغلطاي، ص ۴۹.

۵. آل عمران: ۱۲۲.

التعبئة للقتال

إنّه لمّا وصل النّبي صلى الله عليه وآله إلى منطقة القتال، اختار أن ينزل إلى جانب جبل أحد، بحيث يكون ظهرهم إلى الجبل.

ثمّ عبّأ أصحابه، و صار يسوّي صفوفهم، حتّى إنّه ليرى منكب الرّجل خارجاً، فيؤخرّه. و أمرهم أن لا يقاتلوا أحداً حتّى يأمرهم. و كان على يسار المسلمين جبل عينين و هو جبل على شفير قناة، قِبَلي مشهد حمزة، عن يساره.[1]

و كانت فيه ثغرة؛ فأقام عليها خمسين رجلاً من الرّماة، عليهم عبدالله بن جبير، و أوصاه: أن يردّوا الخيل عنهم، لا يأتوهم من خلفهم.

و كان شعاره يوم أحد: أمِت، أمِت.

و من جهة أخرى: فقد عبّأ المشركون قواهم، استعداداً للحرب.

نشوب الحرب، و قتل أصحاب اللّواء

و كان أوّل مَن رمى بسهم في وجوه المسلمين أبوعامر الفاسق في خمسين ممّن معه، و حرّض أبوسفيان بني عبدالدّار حاملي لواء المشركين على الحرب، و جعل النّساء يضربن بالدّفوف و يحرّضنهم بالأشعار.

و طلب طلحة بن أبي طلحة، حامل لواء المشركين البراز؛ فبرز إليه علي عليه السلام فقتله: فسرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، و كبّر تكبيراً عالياً.

و اقتتل النّاس، و حميت الحرب و حارب المسلمون دفاعاً عن دينهم و عن وطنهم، الّذي فيه كلّ مصالحهم و يتوقّف على حفظه مستقبلهم و وجودهم. حاربوا فئة حاقدة، تريد الثأر لقتلاها في بدر و هي أكثر منهم عدداً و أحسن عُدّةً.

ثمّ شدّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله على كتائب المشركين، فجعلوا يضربون

---

١. تاريخ الخميس، ج ١، ص ٤٢٣.

وجوههم، حتّى انتقضت صفوفهم.[1] ثمّ حمل اللّواء عثمان بن أبي طلحة - أخو طلحة السّابق – فقُتل، ثمّ أبوسعيد أخوهما، ثم مسافع، ثمّ كلاب بن طلحة ابن أبي طلحة، ثم أخوه الجلاس، ثمّ أرطأة بن شرحبيل، ثمّ شريح بن قانط، ثمّ صواب، فقُتلوا جميعاً و بقي لواؤهم مطروحاً على الأرض، و هزموا، حتّى أخذته إحدى نسائهم، فرفعته، فتراجعت قريش إلى لوائها، و يقال: إنّ أصحاب اللّواء بلغوا أحد عشر رجلاً.[2]

قال الصّادق عليه السلام بعد ذكره قتل أميرالمؤمنين عليه السلام لأصحاب اللّواء: «و انهزم القوم، و طارت مخزوم، فضحها علي عليه السلام يومئذٍ».[3]

كما أنّ رماة المسلمين الّذين كانوا في الشّعب قد ردّوا حملات عديدة لخيل المشركين، حيث رشقوا خيلهم بالنّبل حتّى ردّوها على أعقابها.

و أمعن في النّاس حمزة و علي و أبودجانه في رجال من المسلمين، و أنزل الله نصره على المسلمين و كانت الهزيمة.[4]

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

الهزيمة بعد النّصر

لمّا رأى أصحابُ الثّغرةِ المشركين قد انهزموا، و أنّ المسلمين يغنمون، اختلفوا فبعضهم ترك الثّغرة للغنيمة.

فلمّا رأى خالد قلّة مَن على الثّغرة، و خلاء الجبل، و اشتغال المسلمين بالغنيمة، و رأى ظهورهم خالية، صاح في خيله، فمرّبهم، و تبعه عِكْرمة في جماعة، فحملوا على من بقي في الثّغرة، فقتلوهم جميعاً، ثمّ حملوا على المسلمين من

---

۱. تاريخ الخميس، ج ۱، ص ۴۲۷.

۲. المصدر السابق.

۳. الإرشاد للمفيد، ص ۵۲، و البحار، ج ۲۰، ص ۸۷ عنه.

۴. الكامل لابن الأثير، ج ۱، ص ۱۵۳.

خلفهم، و رأت قريش المنهزمة عودة رجالها للحرب، و رفعت الحارثيّة[1] لواءهم الّذي كان ملقى على الأرض فعادوا إلى الحرب من جديد.

و إذا كان المسلمون قد تفرّقوا، و انتقضت صفوفهم، و لم يعودوا صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص، يشدّ بعضه بعضاً، و فقدوا الارتباط بقيادتهم الحكيمة، و هم في طلب المغنم، فمن الطّبيعي أن لا يتمكّنوا من مقاومة هذه الحملة الضّارية، و أن يضيّعوا بين أعدائهم، فكان همُّ كلّ واحد منهم أن ينجو بنفسه، فقد «اهمّتهم أنفسهم» على حدّ تعبير القرآن الكريم؛ لا سيّما و أنّ أحد المشركين قد قصد مُصعب بن عُمير و هو يذبّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله فظنّ أنّه الرّسول، فقتله، فنادى قاتل مصعب – أو غيره – : أنّ محمّداً قد قُتل، فازداد المشركون جرأة،و هزم المسلمون الّذين لم يستطيعوا جمع شملهم و لَمّ شَعَثِهِم،[2] و ثبت علي عليه السلام و حده معه صلى الله عليه وآله يدافع عنه.

و خلص العدوّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و كُلمت[3] شفتُه، و شُجّ[4] في وجهه، و نشبت حلقتان من الدّرع في وجهه الشّريف، و دُثّ[5] بالحجارة حتّى وقع لِشقِّه[6] كذا يقولون.

و حين هزم المسلمون، جعل الرّسول صلى الله عليه وآله يدعوهم في أخراهم: إلى عباد الله، إلي عباد الله، إلي يا فلان، إلي يا فلان؛ و هم يصعدون و لا يلوون، و لا يعرج عليه أحدٌ، و النّبل يأتي إليه من كلّ ناحية.

و استمرّوا في هزيمتهم حتّى الجبل، و فيهم أبوبكر، و عمر، و طلحة و سعد بن

---

١. هي عمرة بنت علقمة الحارثيّة.

٢. لَمّ الله شعث فلان: قارب بين شتيت أموره و أصلح من حاله ما تشعّث.

٣. كَلَمَه: جرحه.

٤. شجّ: أصابته شجّة.

٥. دُثّ الرّجل: رمي حتّى التوى بعض جسده.

٦. الشّق: الجانب.

أبي وقاص و غيرهم. أمّا عثمان فقد استمرّ في هزيمته ثلاثة أيّام.

و حين انهزم النّاس غضب ﷺ و نظر إلى جنبه، فإذاً علي عليه السلام؛ فقال: مالک لم تلحق ببني أبيک؟! فقال عليه السلام: يا رسول الله، أكفرٌ بعد إيمانٍ؟! إنّ لي بک أسوة.[1]

فقال جبرئيل عليه السلام: يا محمّد، إنّ هذه المواساة لقد عجبت الملائكة من مواساة هذا الفتي! فقال ﷺ و ما يمنعه، و هو منّي و أنا منه؟! فقال جبرئيل: و أنا منكما. ثمّ سمع منادٍ من السّماء:

لا سيف إلّا ذوالفقار و لا فتى إلّا علي

فسئل ﷺ عنه؛ فقال: هذا جبريل.[2]

و أصيب أميرالمؤمنين عليه السلام بجراح كثيرة. قال أنس بن مالک: أتى رسول الله ﷺ بعلي عليه السلام يومئذٍ و فيه نيّف و ستّون جراحة، من طعنةٍ، و ضربةٍ، و رميةٍ. فجعل رسول الله ﷺ يمسحها و هي تلتئم بإذن الله تعالى كأن لم تكن.[3]

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لماذا كانت الهزيمة؟!

۱. إنّ من الواضح: أنّ السّبب الأوّل لما لحق بالنّبي ﷺ و للهزيمة الّتي لحقت بالمسلمين،و ما جرى عليهم من النّكبات و القتل الذّريع، حتّى لقد قتل منهم سبعون، و جرحت أعدادٌ هائلة – أيضاً – هو: أنّهم عصوا و تنازعوا، ففشلوا. قال تعالى:

«وَ لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذا فَشِلْتُمْ وَ تَنازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَ عَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما أَراكُمْ ما تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ

---

۱. البحار، ج ۲۰، ص ۹۵ و ۱۰۷ عن إعلام الورى و روضة الكافي، ص ۱۱۰.

۲. النّص في أكثره للمعتزلي في شرح النهج، ج ۱۴، ص ۲۵۰ و ۲۵۱ عن الزّاهد اللّغوي غلام ثعلب، و عن محمد بن حبيب في أماليه، و راجع: ج ۱۳، ص ۲۹۳.

۳. البحار، ج ۲۰، ص ۲۳، و مجمع البيان، ج ۲، ص ۵۰۹.

الأُخِرَةَ»[1]

و تصريح القرآن بأنّهم قد عصوا و تنازعوا من بعد ما كان النّصر منهم قاب قوسين أو أدنى، يكذّب ما يدّعيه البعض: من أنّهم قد تخيّلوا انتهاء أمد أمر النّبيّ صلّى الله عليه و آله و إنّ هذا اجتهاد منهم.[2]

فإنّه لو كان اجتهاداً لما كان معصية، مع أنّ القرآن يصرّح بالمعصية.

۲. و أيضاً، فقد كان لاغترارهم بأنفسهم، و بكثرتهم، أثر كبير في حلول الهزيمة بهم. و واضح أنّ الاغترار بالكثرة يفقد العناصر المشاركة شعور الاعتماد على النّفس، و يجعلهم يعيشون روح التّواكل و اللّامسئوليّة.

۳. إنّ الله تعالى ما زال يؤيّد المسلمين بنصره، حتّى عصوا الرّسول صلّى الله عليه و آله طمعاً في الدّنيا و إيثاراً لها على الآخرة؛ فكان لابدّ في هذه الحالة من إعادة التّمحيص لهم، و ابتلائهم، ليرجعوا إلى الله تعالى، و ليميز الله المؤمن من المنافق، و ليزداد الّذين آمنوا إيماناً، لأنّ الإنسان ربّما يغفل عن حقيقة العنايات الإلهيّة، و الإمدادات الغيبيّة، حين يرى الانتصارات تتوالى، فينسب ذلک إلى قدرته الشّخصيّة.

و لأجل ذلک نجد: أنّهم حين غلبوا شكّوا في هذا الأمر و قالوا: «هل لنا من الأمر من شيء»؟ فجاءهم الجواب القاطع: «قل إنّ الأمر كلّه للّه» . ثمّ، لابدّ إذاً من إعادتهم إلى الله تعالى، و تعريفهم بحقيقة إمكاناتهم، و قدراتهم.

۴. و إنّ الانضباطيّة – خصوصاً حين يكون القائد حكيماً، فكيف إذا كان نبيّاً – هي أساس النّجاح، و لربما تكون مخالفة أفراد معدودين سبباً في دمار جيش بكامله، كما كان الحال في قضيّة أحد.

---

۱. آل عمران: ۱۵۲.

۲. البوطي في: فقه السيرة ، ص ۲۶۱.

عودة المسلمين إلى القتال

ثمّ إنّ كعب بن مالك كان أوّل من عرف النّبيّ ﷺ، رأى عينيه تزهران من تحت المِغْفَر؛ فصاح: يا معشر المسلمين، أبشروا؛ فهذا رسول الله. فأمره النّبيّ بالسّكوت، لحراجة الموقف و خطورته. ثمّ صار المسلمون يفيئون إلى رسول الله ﷺ زرافاتٍ[1] و وحداناً، و جعل ﷺ يذرهم و يحضّهم على القتال، فقاتلوا على قلّتهم خير قتال.

و لكنّ الّذين كانوا على الجبل فوق الصّخرة لم يعودوا – أو أكثرهم – إلى القتال، و لا تركوا مركزهم.

و يبدو؛ أنّه في هذه اللّحظات الحرجة، أنّ الله قد أنزل على القادمين الرّاجعين إلى النّبيّ ﷺ، التّائبين، أمنةً نعاساً،[2] لكي يطمئنّوا إلى نصر الله و لطفه. أمّا أصحاب الصّخرة – أو كثيرٌ منهم – فقد أهمّتهم أنفسهم، يظنّون بالله غير الحقّ ظنّ الجاهليّة.

و هكذا كان؛ فقد بلغ الرّسول و تلك الثّلّةُ من المسلمين المجاهدين، سفح جبل أحد، و استقرّوا فيه، و لم يجاوزوه. فأرعب ذلك المشركين، لما رأوه من عودة المسلمين إلى مراكزهم الأولى، و تجميع صفوفهم، و ارتفاع معنويّاتهم من جديد. فخاف المشركون أن يُدالَ المسلمون منهم من جديد، و يفعلوا بهم كما فعلوا في ابتداء الحرب، فَفَضَّلوا إنهاء الحرب، و الانسحاب بسلام، و هكذا كان. و حينئذٍ أعلن أبوسفيان انتهاء الحرب، و أشرف على الجبل، و نادا بأعلى صوته: «أُعْلُ هُبَل».

و حيث إنّ المسئلة لم تعد مسئلة شخصيّة، و انّما يريد أبوسفيان أن يعتبر هذا

---

۱. زرافات جمع الزَّرافة: الجماعة من النّاس.

۲. إنّ النّعاس في الحرب يكون من الإيمان و الاعتقاد بالله، ولكن في الصّلاة يكون من الشّيطان.

النّصر الظّاهري مؤيّداً لدينه و لإلهه هبل، فقد أجابه النّبيّ صلى الله عليه وآله:[١] «الله أعلى و أجلّ».

فقال أبوسفيان: أنْعَمَت فعال،[٢] إنّ الحرب سِجالٌ[٣] يوم بيوم بدر.

فقال: لا سواء،[٤] قَتْلانا في الجنّة و قَتْلاكم في النّار.

و قد جاء علي عليه السلام إلى النّبي صلى الله عليه وآله بعد ان انتهت الحرب، فغسل وجهه،و ضمدت جراحه فاطمة عليها السلام.

و مَثّل نساءُ المشركين في قتلى المسلمين فَجَدَعْنَ[٥] الأنوف و الآذان. و تشاوروا في نهب المدينة، فأشار صفوان بن أميّة بالعدم؛ لأنّهم لا يدرون ما يغشاهم.[٦]

و أرسل النّبي صلى الله عليه وآله عليّاً أميرالمؤمنين عليه السلام في آثارهم، لينظر؛ فإن كانوا قد ركبوا الإبل و جَنَّبُوا الخيل[٧]، فهم يريدون مكّة، و

إن كان العكس، فهم يريدون المدينة، فلابدّ من مناجزتهم فيها. فذهب عليه السلام و عاد، فأخبره بأنّهم جَنَّبُوا الخيل و امتَطَوا[٨] الإبل.[٩]

---

١. و في رواية : أنّ النّبي صلى الله عليه وآله علّم عليّاً عليه السلام ذلك، فأجابه: «الله أعلى و أجلّ» (راجع: تفسير القمي، ج ١، ص ١١٧، و البحار، ج ٥٦، ص ٩٧ عن إعلام الورى).

٢. أنْعَمَتْ فعال: أي بالغت، يعني به الحرب أو الوقيعة، يقال أنْعَمَ في الشّيء: إذا بالغ فيه.

و قوله: فعال، أي إرْتَفِع (بصيغة الأمر فيهما) و قد يجوز أن تكون معدولة من الفعلة، أي بالغت في هذه الفعلة، و يعني بالفعلة الوقيعة.

٣. السِّجال: المكافأة في الحرب و غيرها.

٤. لا سواء، أي لا نحن سواء.

٥. الجَدْع: ما انقطع من مقاديم الأنف أو أقصاه.

٦. السيرة الحلبيّة، ج ٢، ص ٢٤٥.

٧. جَنَّبُوا الخيل: قادوها إلى جنوبهم.

٨. امتَطَوا الدّابة: جعلها مطيّة و اتّخذها مطيّة و ركبها.

٩. راجع: الثقات لابن حبان، ج ١، ص ٢٣٢، و تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٢٠٥ و ٢٠٦، و الكامل لابن الأثير، ج ٢، ص ١٦١، و السيرة الحلبيّة، ج ٢،ص ٢٤٤ و ٢٤٥، و تاريخ الخميس، ج ١، ص ٤٤٠.

و بعد انتهاء الحرب أرسل علياً عليه السلام إلى المدينة ليبشرّ أهلها بأنّ النّبي ﷺ حَيّ سالم.[۱]

من مشاهد الحرب

۱. لمّا كان يوم أحد قال مُخَيْرِيق الحبر اليهودي: يا معشر يهود، و الله لقد علمتم أنّ نصر محمّدٍ عليكم لَحَقّ. قالوا: إنّ اليوم يوم السّبت. قال: لا سبت. فأخذ سيفه و عُدَّته و قال: إن أصبتُ فما لي لمحمّد، يصنع فيه ما شاء؛ ثمّ غدا إلى رسول الله، فقاتل معه حتّى قُتل؛ فيقال: إنه ﷺ قال: مُخَيْرِيق خير يهود.[۲]

۲. و أصرّ عمرو بن الجموح على الخروج إلى الحرب مع عرجه و دعا الله أن يرزقه الشّهادة، و لا يردّه خائباً إلى أهله. فاستشهد رحمه الله.

۳. و أصيبت عين قتادة بن النّعمان، حتّى وقعت على وجنته، فردّها رسول الله ﷺ بيده، فكانت أحسنَ عينيه و أحدَّهما.

۴. و قتل سعد بن الرّبيع، و كان آخر ما قاله في وصيّة مطوّلة منه للمسلمين: إنّه لا عذر لكم عند رسول الله أن يُخلَص إلى نبيّكم، و فيكم عينٌ تَطْرِف،[۳] ثمّ مات.

۵. و يقال: إنّ قُزمان الّذي كان ﷺ إذا ذكره يقول: إنه لَمِن أهل النّار؛[۴] قد

---

۱. تاريخ الخميس، ج ۱، ص ۴۴۰.

۲. السيرة النبوية لا بن هشام، ج ۳، ص ۹۴.

۳. يقال: طرف بعينه يَطرِف: إذا ضرب بجفن عينه الأعلى على جفن عينه الأسفل.

۴. تاريخ الأمم و الملوک (ط دار المعارف) ج ۲، ص ۵۳۱، و تاريخ الخميس، ج ۱، ص ۴۳۸، و السيرة النبوية لابن هشام، ج ۳، ص ۹۳؛ و المغازي، ج ۱، ص ۲۲۴ و ۲۶۳. و يقال: إنه لمّا اشتدّت جراحته قَتَل نفسه (تاريخ الطّبري، ج ۲، ص ۵۳۱، و السيرة النبوية لابن هشام، ج۳، ص ۹۴).

حارب في أحد و قتل سبعةً أو ثمانيةً من المشركين، فجُرح، فبشّره البعض، فقال: بماذا أبشّر؟ فو الله ما قاتلت إلّا عن الأحساب.[١]

بعد ماهبت الرّياح

ما جرى على حمزة و الشّهداء

١. إنّ هنداً زوجة أبي سفيان قد أتت مصرع حمزة، فمثّلت به و جَدَعَت أنفه و قُطّعت أذنيه و مذاكيره؛ ثمّ جعلت ذلک كالسِّوار[٢] في يديها و قلائد في عنقها، و استمرّت كذلک حتّى قدمت مكّة، و كذلک فعل النّساء بسائر الشّهداء. و زادت هي عليهم: أنّها بقرت بطن حمزة و استخرجت كبده فلاكَتْها[٣]، فلم تستطع أن تُسيغَها.[۴]

٢. و أقبلت صفيّة لتنظر أخاها، فالتقت بعلي عليه السلام، فقال: ارجعي يا عمّة، فإنّ في النّاس تكشّفاً، فسألته عن الرّسول صلى الله عليه وآله، فقال: صالح.

قالت: أدللني عليه حتّى أراه، فأشار إليه إشارة خفيّة من المشركين؛[٥] فأقبلت إليه، فأمر صلى الله عليه وآله الزّبير بإرجاعها حتّى لا ترى ما بأخيها.

فقالت للزّبير: و لِمَ؟ و قد بلغني أنّه قد مُثّل بأخي، و ذلک في الله قليل؛ فما أرضانا بما كان من ذلک، لأحتسبنّ و لأصبرنّ إن شاء الله. فسمح لها النّبي صلى الله عليه وآله

---

١. أي عن أحساب قومي.

٢. السِّوار: حلية كالطّوق تلبسه المرأة في زندها أو معصمها.

٣. لاكَتْها : مضغتها.

۴. أساغ الطّعام أو الشّراب، سهّل مدخله في الحلق.

۵. لعلّهم كانوا لا يزالون قريبين من هناک و يخشى كرّتهم فيمالو علموا أنّ عليّاً بعيد عن النّبي صلى الله عليه وآله.

برؤيته، فنظرت إليه، فصلّت عليه، و استرجعت، و استغفرت له.[1]

٣. قال ابن إسحاق: و مرّ رسول الله ﷺ – حين رجع إلى المدينة – بدور من الأنصار، فسمع بكاء النّوائح على قتلاهم، فذرفت عينا رسول الله ﷺ، ثمّ قال: لكن حمزة لابواكي له. فأمر سعدُ بن معاذ – و يقال: و أسيد بن حُضير – نساء بني عبدالأشهل: أن يذهبن و يبكين حمزة أوّلاً، ثمّ يبكين قتلاهنّ. فقالت أمّ سعد بن معاذ: فما بكت منّا امرأة قطّ إلّا بدأت بحمزة إلى يومنا هذا.

٤. لقد بكى النّبي ﷺ علي حمزة، و قال: أمّا حمزة فلابواكي له. و بعد ذلك بكى على جعفر و قال: على مثل جعفر فلتبك البواكي. و بكى على ولده إبراهيم و قال: تدمع العين و يحزن القلب و لا نقول إلّا ما يرضى الرّب. و بكى كذلك على عثمان بن مظعون و سعد بن معاذ و زيد بن حارثة، و بكى الصّحابة، و بكى جابر على أبيه، و بشير بن عفراء على أبيه أيضاً إلى غير ذلك ممّا هو كثير في الحديث و التّاريخ.[2]

فكلّ ذلك فضلاً عن أنّه يدلّ على عدم المنع من البكاء، فإنّه يدلّ على مطلوبيّة البكاء و على رغبته ﷺ في صدوره منهم.

و واضح أنّ حزن الرّسول ﷺ هذا و رغبته تلك ليسا إلّا من أجل تعريف أصحابه – و الأمّة أيضاً – بما كان لحمزة من خدمات جلّى لهذا الدّين، و من قَدَمٍ ثابتة له فيه، و بأثره الكبير في إعلاء كلمة الله تعالى.

و أنّ حزنه ﷺ كان في الحقيقة حزناً على ما أصاب الإسلام بفقده، و هو المجاهد الفذّ الّذي لم يكن يدّخر وسعاً في الدّفاع عن هذا الدّين و إعلاء كلمة الله.

و ما ذلك إلّا لأنّ النّبي ﷺ لم يكن ليهتمّ بالبكاء على حمزة، و لا ليبكي هو

---

٦. راجع ما تقدم في: مغازي الواقدي، ج ١، ص ٢٨٩، و تاريخ الخميس، ج ١، ص ٤٤١ و ٤٤٢ و حياة الصحابة، ج ١، ص ٥٧٠ و ٥٧١، و مستدرک الحاکم، ج ٣، ص ١٩٨ و ١٩٩.

١. راجع: النّص و الاجتهاد، ص ٢٣٠ – ٢٣٤ ، و الغدير، ج ۶، ص ١٥٩، و دلائل الصدق، ج ٣، قسم ١، ص ١٣٤ – ١٣۶ عن عشرات المصادر الموثوقة.

عليه لمجرّد دوافع عاطفيّة شخصيّة، أو لعلاقة رَحِميّة و نَسَبيّة، و إنّما هو صلی الله علیه و آله يحبّ في الله و في الله فقط، تماماً، كما كان يبغض في الله و في الله فقط.

فهو صلی الله علیه و آله يحزن على حمزة بمقدار ما كان حمزة مرتبطاً بالله تعالى، و خسارته خسارة للإسلام؛ و إلّا فكما كان حمزة عمّه، فقد كان أبولهب عمّه أيضاً.

الصّلاة على الشّهداء و تغسيلهم و دفنهم

لقد روي بعضهم: أنّ النّبي صلی الله علیه و آله لم يصلّ على شهداء أحد، و به أخذ الأئمّة الشّافعيّة. و لكن ذلك غير صحيح، فقد صرّحت الرّوايات الكثيرة بأنّه صلی الله علیه و آله قد صلّى عليهم، و روي ذلك عن بعض أئمّة الحديث، و به أخذ الأئمّة الحنفيّة.[1]

و الصّحيح أنّه قد صلّى عليهم و لم يغسّلهم، و هو الثّابت عن أئمّة أهل البيت علیهم السلام الّذين هم سفينة نوح؛ فلا يعبأ بما رواه غيرهم.

و أمّا بالنّسبة للتّكفين؛ فإنّ الشّهيد يدفن في ثيابه، و لكنّ النّبي صلی الله علیه و آله قد كفّن حمزة و حنّطه؛ لأنّه كان قد جُرِّد، كما روي.[2]

و أمّا دفنهم؛ فيقال: إنّه قد احتمل ناسٌ من المسلمين قتلاهم إلى المدينة، فدفنوهم بها، ثمّ نهى صلی الله علیه و آله عن ذلك، و قال: ادفنوهم حيث صرعوا.[3] و يقال: إنّه قال: ادفنوا الإثنين و الثّلاثة في قبر واحدٍ و قدِّموا أكثرَهم قرآناً.[4]

---

١. تاريخ الخميس، ج ١، ص ٤٤٢، و ليراجع أيضاً: السيرة الحلبيّة، ج ٢، ص ٢٤٨ و ٢٤٩.

٢. راجع: الدرّ المنثور للعاملي، ج ١، ص ١٣٥ عن من لا يحضره الفقيه.

٣. تاريخ الخميس، ج ١، ص ٤٤٢ عن الاكتفاء و ابن إسحاق و أحمد و الترمذي و أبي داود و النّسائي و الدّارمي، و الكامل لابن اثير، ج ٢، ص ١٦٢ و ١٦٣.

٤. تاريخ الخميس، ج ١، ص ٤٤٢ عن أحمد و الترمذي و أبي داود و النسائي، و شرح النهج، ج ٥، ص ٣٨، و مغازي الواقدي، ج ١، ص ٣١٠.

عدد الشّهداء و القتلى

أمّا عدد الشّهداء، فقد كانوا سبعين، من المهاجرين أربعة و الباقون من الأنصار.[۱] و هذا ما وعدهم به النّبيّ ﷺ في بدر: بأنّه سيقتل من المسلمين بعدّة أسرى بدر إن قبلوا بالفداء. و عِدّة أسرى بدر كانت سبعين كما يقولون.[۲]

و يلاحظ هنا: أنّ أكثر القتلى كانوا من الأنصار؛ و ذلک لأنّ قريشاً ظلّت تحقد على الأنصار و على أهل البيت عليهم السلام عشرات سنين و الأعوام. و لربّما نفهم: أنّ الأنصار كانوا أكثر اندفاعاً إلى الحرب، و أشدّ تصدّياً لمخاطرها؛ لأنّهم يدافعون عن وطنهم و عن عقيدتهم معاً. و قد كان الإسلام فيهم أعمق من كثير من المهاجرين؛ فإنّهم إنّما أسلموا خوفاً أو طمعاً؛ و لذا فقد كثر فيهم المنافقون و المناوؤون[۳] لأهل البيت عليهم السلام.

و أمّا عدد قتلى المشركين، فيقال: إنّه قد قُتل منهم في معركة أحد ثمانية عشر رجلاً[۴] و قيل: أكثر من ذلک؛[۵] لأنّ حمزة قد قتل وحده منهم واحداً و ثلاثين رجلاً، كما يقولون.[۶]

و يروي البعض: أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام قد قتل في أحد اثني عشر رجلاً.[۷] و نعتقد أنّه عليه السلام قد قتل أكثر من ذلک؛ لأنّه قد قتل أصحاب اللّواء بلا شکّ و هم

---

۱. المغازي، ج ۱، ص ۳۰۰، و السيرة الحلبيّة، ج ۲، ص ۲۵۵، و تاريخ الخميس، ج ۱، ص ۴۴۶.

۲. المغازي، ج ۱، ص ۱۴۴.

۳. النّوء: المعاداة.

۴. مجمع البيان، ج ۲، ص ۵۰۰، و البحار، ج ۲۰، ص ۲۲ عنه.

۵. راجع: سيرة مغلطاي، ص ۵۰، و تاريخ الخميس، ج ۱، ص ۴۴۷، و شرح النّهج للمعتزلي، ج ۱۵، ص ۵۴.

۶. السيرة الحلبيّة، ج ۲، ص ۲۲۶ و ۲۵۵، و الإصابة، ج ۱، ص ۳۵۴.

۷. شرح النّهج للمعتزلي، ج ۱۵، ص ۵۴.

تسعة أو أحد عشر؛ كما أنّ المعتزلي يذكر: أنّ كتائب المشركين صارت تحمل على النّبي صلى الله عليه وآله، و قد قُتل من كتيبة بني كنانة أبناء سفيان بن عويف الأربعة و تمام العشرة منها ممّن لا يعرف بأسمائهم.[1] و قال القوشجي: و كان أكثر المقتولين منه (من أميرالمؤمنين عليه السلام).[2]

و قال الشّيخ المفيد: و قد ذكر أهل السّير قتلى أحد من المشركين، و كان جمهورهم قتلى أميرالمؤمنين عليه السلام، ثم ذكر أسماء اثني عشر من الأبطال المعروفين ممّن قتلهم عليه السلام.[3]

و ممّا يدل على مدى ما فعله أميرالمؤمنين عليه السلام بقريش في أحد: أنّ النّص التّاريخي يؤكّد على أنّ قريشاً كانت – بعد ذلك – و إلى عشرات السّنين تحقد على علي عليه السلام و على أهل بيته لذلك.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١. نفس المصدر، ج ١۴ ص ٢۵٠ و ٢۵١.

٢. شرح التجريد، ص ۴٨۶.

٣. الإرشاد، ص ۵۴، و البحار، ج ٢٠، ص ٨٨ و ٨٩ عنه.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل السّادس

غزوة الخندق

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

موجز عن غزوة الخندق

غزوة الأحزاب (الخندق) هي الغزوة الّتي سميّت سورة قرآنيّة باسمها بسبب أهميّتها و حيث إنّه لا يسعنا المجال عن الحديث التّفصيلي عن هذه الغزوة، نكتفي بذكر نصّ موجز لها، ثمّ نذكر بعض المباحث و الوقايع المرتبطة بهذه الغزوة تفصيلا؛ فنقول:

إنّه في السّنة الرّابعة – كما هو الأقوى – أو في الخامسة سار عدد من اليهود إلى مكّة و استنفروا أهلها لقتال النّبي صلى الله عليه و آله، و استئصال المسلمين، و اتّصلوا بقبائل غطفان و قبائل عربيّة أخرى و حرّضوهم على حرب محمّد صلى الله عليه و آله و وعدوهم بالأموال: فساروا و هم ألوف كثيرة إلى المدينة لإنجاز هذا المهمّ.

فبلغ النّبي صلى الله عليه و آله خبرهم؛ فحفر خندقاً حول المدينة من الجهة المكشوفة منها، و جعل للخندق أبواباً، و جعل على الأبواب حرساً.

و قد شارك النّبي صلى الله عليه و آله بنفسه في حفر الخندق، و ظهرت له حينئذٍ كرامات و معجزات. و قد عسكر صلى الله عليه و آله إلى جنب جبل سلع، و جعل الخندق بينه و بين الأحزاب. و جعل النّساء و الصّبيان في بعض حصون المدينة، و استخلف على المدينة «ابن أمّ مكتوم» و كان لواء النّبي صلى الله عليه و آله مع علي عليه السلام.

و لمّا وافى الأحزاب، فوجئوا بالخندق، و نزلوا في الجهة الأخرى منه، و حاصروا المسلمين؛ و ذهب «حيي بن أخطب» اليهودي إلى بني قريظة، و لم يزل بهم حتّى نقضوا العهد مع المسلمين.

فلمّا بلغ النّبي صلى الله عليه وآله ذلک أرسل إليهم مَن يثبت له الأمر. فرجعوا إليه و أخبروه بأنّ ما بلغه صحيح؛ فاشتدّ الأمر على المسلمين،و ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، و عظم البلاء ، و نَجَم النّفاق[1] و كثر الخوض، و بلغت القلوب الحناجر.

و قال المنافقون و الّذين في قلوبهم مرض: «ما وَعَدَنَا اللّهُ وَ رَسُولُهُ إلاَّ غُرُوراً»[2]

و كان أميرالمؤمنين عليه السلام على العسكر كلّه باللّيل يحرسهم؛ فإن تحرّک أحدٌ من قريش نابذهم. و كان النّبي صلى الله عليه وآله يحرس بنفسه بعض مواضع الخندق.

و لم يكن بين المسلمين و المشركين قتال إلّا الرّمي بالنّبل و الحصا. و كان المشركون يتناوبون على الخندق، فلا يمكنهم عبوره و المسلمون يمنعونهم بالنّبل و الحجارة.

و قد انتدب فوارس من المشركين فأتوا مكاناً ضيّقاً من الخندق و أكرهوا خيلهم على عبوره، فعبره عِكْرَمة بن أبي جهل، و عمرو بن عبدِوَدّ، و ضرار بن الخطّاب الفهري، و هبيرة بن أبي وهب، و حسل بن عمرو بن عبدود، و نوفل بن عبدالله المخزومي.

فخرج أميرالمؤمنين عليه السلام في نفر من المسلمين، حتّى أخذوا عليهم الثّغرة الّتي اقتحموها، و طلب عمرو بن عبدوَدّ البراز فلم يبرز إليه أحد من المسلمين، و خافوا منه خوفاً شديداً، لما يعرفون من شجاعته و كان يعدّ بألف فارس. و طلب علي عليه السلام من النّبي صلى الله عليه وآله أن يأذن له بمبارزته، فلم يأذن له.

فكرّر النّداء، و أنشد الشّعر، و عيّر المسلمين المحجمين عنه،فطلب علي عليه السلام الإذنَ مرّة أخرى، فلم يأذن له الرّسول صلى الله عليه وآله.

فلمّا كان في المرّة الثّالثة، و لم يبادر إلى ذلک سوى علي عليه السلام أذن له النّبي صلى الله عليه وآله و عمّمه و دعا له و قال: «برز الإيمان كلّه إلى الشّرک كلّه». فبارز

---

۱. نجم النّفاق : ظهر.

۲. الأحزاب: ۱۲.

عليعليه‌السلام، فقتله و قتل ولده حسلاً و نوفل بن عبدالله و فرّ الباقون.

فقالصلى‌الله‌عليه‌وآله «ضربة علي يوم الخندق تعدل (أو أفضل من) عبادة الثّقلين إلى يوم القيامة».

ثمّ أرسل الله سبحانه الرّيح على المشركين فكانت تكفأ قدورهم، و تطرح خيامهم، و تعبث بكلّ ما يحيط بهم، و قذف الله في قلوبهم الرّعب؛ فعادوا بالخزي و الخيبة، و الرّعب يلاحقهم، و كفى الله المؤمنين القتال.

و قال النّبيصلى‌الله‌عليه‌وآله حينئذٍ: «الآن نغزوهم و لا يغزوننا» فكان كما قال. و إليك بعض التّفصيل و التّحقيق و التّحليل حول هذه الغزوة.

١. أهداف الحرب

يظهر من بعض كلمات الأحزاب أنّ هدفهم من الحرب استئصال محمّدصلى‌الله‌عليه‌وآله و من معه؛ ولكنّنا نجد أنّ أميرالمؤمنينعليه‌السلام قد حدّد هدف الأحزاب و العرب من الحرب بأنّ: «قريشاً و العرب تجمّعت، و عقدت بينها عقداً و ميثاقاً لا ترجع من وجهها حتّى تقتل رسول الله و تقتلنا معه معاشر بني عبدالمطّلب».[1]

و نعتقد : أنّ هذا الكلام هو الأقرب و الأنسب فيما يرتبط بتحديد الهدف الأقصى للحرب فإنّ كلامهم المتقدّم و إن كان ينصّ على استئصال محمّد و من معه؛ إلّا أنّ استئصال جميع مَن مع النّبيّ من الأوس و الخزرج و سائر قبائل العرب لن يكون سهلاً و لا ميسوراً لهم؛ أمّا قتل محمّد و بني عبدالمطّلب فهو الأسهل و الأيسر، و به يتحقق المطلوب، و لماذا يذهبون إلى أبعد من ذلك؟!

فاليهود إنّما قدموا مكّة ليتحالفوا و يتعاقدوا مع المشركين على استئصال محمّدصلى‌الله‌عليه‌وآله و من معه حسب زعمهم، حيث قالوا لقريش: «نحن معكم حتّى

---

١. الخصال (باب السبعة) ج ٢، ص ٣٦٨، و البحار، ج ٢٠، ص ٢٤٤، و الاختصاص،ص ١٦٦ و ١٦٧.

نستأصل محمّداً» أو «سنكون معكم حتّى نستأصله و من معه» كما أنّهم – و هم يقرّرون ما يتعاقدون عليه – قالوا : «و لتكون كلمتنا واحدة على هذا الرّجل ما بقي منّا رجلٌ». و ذلك يعني:

ألف. أنّ هدفنا المعلن هو استئصال شأفة[1] الإسلام و المسلمين.

ب. أنّهم مصمّمون على تحقيق هذا الهدف بأسلوب الحرب حتّى آخر رجل منهم.

ج . أنّ هذه المبادرة منهم قد جاءت عن طريق خيانتهم لعهودهم و مواثيقهم الّتي كانوا قد أبرموها مع النّفس الّذين يريدون استئصالهم، مع العلم بأنّ ذلك الطّرف لم يزل وفيّاً بعهده، حافظاً لمواثيقه معهم، و لم يحدث أن خان أو تردّد في عهدٍ مع أي فريق منهم، و لم يسيء إليهم و لا إلى غيرهم بشيء إلّا ما يجرونه هم على أنفسهم بخياناتهم المتتالية و هم يرتكبون هذه الخيانة رغم أنّهم قد رأوا بأمّ أعينهم عواقب خيانة بني قينقاع، ثمّ خيانة بني النّضير و أكثرهم نضيريّون.

۴. أنّ مبرّر هذا الإجرام العظيم و البَشع[2] هو مجرّد الحسد و الحقد منهم، بالإضافة إلى مكاسب سياسيّة و اجتماعيّة و غيرها و لم يكن الهدف عقيديّاً و لا إنسانيّاً و لا أخلاقيّاً؛ بل هم قد داسوا بأقدامهم الإنسانيّة و الأخلاق و حتّى مبادئهم و عقيدتهم الّتي يدّعون أنّهم ينتسبون إليها و هذا هو منتهي الإسفاف، و غاية التّردّي في حمأة الجريمة و البغي.

۲. المشورة و التّخطيط

و يقول المؤرّخون: إنّه لمّا فصلت قريش من مكّة إلى المدينة، خرج ركب من خزاعة إلى النّبيّ، فساروا من مكّة إلى المدينة أربعاً، فأخبروا النّبيّ ﷺ بالأمر. و ذلك حين ندب رسول الله ﷺ النّاس و أخبرهم الخبر و شاورهم في أمرهم و

---

۱. الشأفة: الأصل.

۲. البَشِع: عكس حسن و طيّب.

أمرهم بالجدّ و الجهاد و وعدهم النّصر، إن هم صبروا و اتّقوا، و أمرهم بطاعة الله و طاعة رسوله.

و شاورهم، فقال: أنبرز لهم من المدينة، أم نكون فيها و نخندقها علينا، أم نكون قريباً و نجعل ظهورنا إلى الجبل؟ فاختلفوا.

فقال سلمان: يا رسول الله ! إنّا إذكنّا بأرض فارس، و تخوّفنا الخيل خندقنا علينا، فهل لک يا رسول الله أن نخندق؟ فأعجب رأى سلمان المسلمين، و أحبّوا الثّبات في المدينة.

فركب رسول اللهﷺ فرساً له، و معه نفر من أصحابه فارتاد موضعاً ينزله، فكان أعجب المنازل إليه: أن يجعل سلعاً[1] خلف ظهره و يخندق على المَذاد، إلى ذباب، إلى راتج. فعمل يومئذٍ الخندق، و ندب النّاس و خبرهم بدنوّعدوّهم و عسكرهم إلى سفح سلع.[2]

و لنا مع هذا الّذي يذكره المؤرّخون وقفات، و هي التّالية.

ألف. مَن أخبر النّبيﷺ بمسير الأحزاب؟

قد تقدّم: أنّ ركباً من خزاعة قدم إلى المدينة في مدّة أربعة أيّام، فأخبروا النّبيﷺ بمسير الأحزاب إليه. ولكنّا نجد نصّاً آخر عن عليعليه السلام يقول: إنّ النّبيﷺ قد علم بذلک من جهة جبرئيلعليه السلام فخندق على نفسه و من معه».[3] و لا نستبعد أن يكون كلا الأمرين قد حصل.

ب. مَنِ المشير بحفر الخندق؟

إنّ السّياق المذكور آنفاً يدلّ: على أنّ النّبيﷺ هو الّذي بادر إلى اقتراح حفر الخندق، ثمّ لمّا اختلف المسلمون، فتكلّم سلمان الفارسي بطريقةٍ بَيَّنَ لهم فيها

---

۱. جبل معروف بسوق المدينة.

۲. راجع: المغازي، ج ۲، ص ۴۴۴، و الإمتاع، ج ۱، ص ۲۱۹ و ۲۲۱، و السيرة الحلبيّة، ج ۲، ص ۳۱۱.

۳. الخصال (باب السبعة) ج ۲، ص ۲۶۸ و البحار، ج ۲۰، ص ۲۴۴ عنه.

وجه الحكمة في اعتماد إجراءٍ كهذا، فأعجبهم ذلک حينئذ، فقبلوه و اجتمعت كلمتهم عليه؛ ولكن كلمات كثير من المؤرّخين قد أظهرت: أنّ سلمان هو المشير بحفر الخندق،من دون أن تشير إلى أي تحفّظ في ذلک،[1] و هذا هو ما استنتجه بعض المشركين حين فوجئوا بالخندق.[2]

و في مقابل ذلک نجد ابن إسحاق و كذا غيره ينسب حفر الخندق إلى رسول الله ﷺ و لا يشير إلى مشورة سلمان، لا من قريب و لا من بعيد.[3] بل إنّ النّبي ﷺ قد كتب في رسالته الجوابيّة لأبي سفيان: «و أمّا قولک مَنْ علّمنا الّذي صنعنا من الخندق، فإنّ الله ألهمني ذلک».[4]

و لا نُخفي هنا إعجابنا بهذا الوعي من سلمان المحمّدي حيث بادر في الوقت المناسب إلى تقديم تبرير لأولئک النّاس الّذين اختلفوا على رسول الله ﷺ يتوافق مع طريقة تفكيرهم، حيث قرّر لهم: أنّ الخندق المقترح من شأنه أن يحدّ من فاعليّة الخيل في الحرب و يدفع غائلتها، و يصبح الجهد الشّخصي للأفراد، هو الّذي يقرّر مصير الحرب و نتائجها.

فكان أن استجاب المسلمون لاقتراح حفر الخندق و أعلنوا موافقتهم عليه، و تحمّلوا مسؤوليّة الخيار و الاختيار، و هذا بالذّات هو ما أراده الرّسول ﷺ و سواء أكان حفر الخندق بمشورة سلمان أم لم يكن، بل النّبي ﷺ هو الّذي بادر إلى

---

۱. راجع: وفاء الوفاء، ج ۱، ص ۳۰۰ و ج ۴، ص ۱۲۰۶، و الثقات، ج ۱، ص ۲۶۶، و التنبيه و الإشراف، ص ۲۱۶، و سيرة مغلطاي، ص ۵۶، و الكامل في التاريخ، ج ۲، ص ۱۷۸.

۲. راجع: سبل الهدى و الرشاد، ج ۴، ص ۵۳۰، و تفسير القمي، ج ۲، ص ۱۸۲، و بحار الأنوار، ج ۲۰، ص ۲۲۴، و المغازي، ج ۲، ص ۴۷۰.

۳. راجع: السيرة النبوية لابن هشام، ج ۳، ص ۲۲۶، و جوامع السيرة النبوية، ص ۱۴۸، و عيون الأثر، ج ۲، ص ۵۵، و تهذيب سيرة ابن هشام، ص ۱۸۹، و دلائل النبوة للبيهقي، ج ۳، ص ۳۹۹.

۴. الإمتاع، ج ۱، ص ۲۴۰، و خاتم النبيين، ج ۲، ص ۹۴۲.

اقتراحه – كما نرجّح ذلک – فإنّ ما نريد أن نؤكّد عليه هو أنّ الإسلام لا يمنع من الاستفادة من تجارب الآخرين في المجالات الحياتيّة البناءة، فقد رُوي: أنّ «الحكمة ضالّة المؤمن، فاطلبوها و لو عند المشرک تكونوا أحقّ بها و أهلها».

ولكن هذه الاستفادة مشروطة : بأن لا تنشأ عنها سلبيّات أخرى، كما لو كان ذلک يعطى للمنحرفين فرصة لتضليل النّاس و جرّهم إلى مهالک الانحراف،أو يعطيهم بعض النّفوذ و الهيمنة أو يجرئهم على التّدخّل في الشّئون الخاصّة بالمسلمين و ما إلى ذلک.

فالمرفوض إسلاميّاً هو التبعيّة للآخرين و تقليدهم على غير بصيرةٍ و أمّا الاستفادة الواعية من منجزاتهم الحيويّة لبناء الحياة، و التّغلّب على مصاعبها بصورةٍ تنسجم مع أحكام الشّرع، فذلک أمر مطلوب و لا غضاضة فيه.

و حتّى لو كان الخندق بإشارة سلمان من الأساس، و كان سلمان قد استفاد ذلک من بيئته و قومه – الّذين ما كانوا على طريقة الإسلام و لا على دين الحنيفيّة فلا ضير و لا غضاضة في قبول مشورته؛ بل الغضاضة في ترک العمل بتلک المشورة إذا كانت موافقة للصّواب.

٣. أين كان الخندق و ما هي مواصفاته؟

قد تقدّم: أنّ النّبيّ ﷺ قد ركب فرساً و خطّ لهم الخندق و قد بيّنت النّصوص التّاريخيّة لنا مواضع الخندق و خصوصيّاته و مواصفاته بشيءٍ من التّفصيل و نحن نذكر طائفة منها، فنقول:

- موضع الخندق: قال الواقدي: «كان الخندق ما بين جبل بني عبيد بِخُرْبَي، إلى راتج. قال: و هذا أثبت الأحاديث عندنا».[1] و في نصٍّ آخر: «من المَذاد إلى

---

١. المغازي، ج ٢، ص ٤٥٠ – ٤٥٢، و راجع: السيرة الحلبيّة،ج ٢، ص ٣١٢.

ذُباب، إلى راتج».[١] و عند القمي: «فأمر ﷺ بمسحه من ناحية أحد إلى راتج».[٢]

و في نصّ أكثر تفصيلاً: «حفر النّبيّ ﷺ الخندق طولاً، من أعلى وادي بطحان، غربيّ الوادي مع الحَرَّة إلى غربيّ مصلّى العيد، ثمّ إلى مسجد الفتح، ثمّ إلى الجبلين الصّغيرين، الّذين في غربيّ الوادي. و مأخذه قول ابن النّجّار».

إلى أن قال: «و الحاصل: أنّ الخندق كان شاميّ المدينة، من طرف الحرّة الشّرقيّة إلى طرف الغربيّة».[٣]

- أبواب الخندق: و ذكروا: أنّ الخندق له أبواب؛ فلسنا ندري أين موضعها».[٤]

و حسب نصّ آخر: «جعل له رسول الله ﷺ أبواباً و جعل على الأبواب حرساً».[٥] و ذكر القمي:أنّ عدد الأبواب كان ثمانية.[٦]

- خصوصيّات و مواصفات أخرى: «و الخندق فيه قناة، يأتي من عين قُباء إلى النّخل الّذي بالسّنح حوالي مسجد الفتح، و في الخندق نخل أيضاً، و انطمّ[٧] أكثره و تهدّمت حيطانه».[٨]

و ذكروا أيضا: أنّه قد بلغ طول الخندق نحواً من خمس آلاف ذراع، و عرضه

---

١. راجع: سبل الهدى و الرشاد، ج ٤، ص ٥١٥، و المغازي، ج ٢، ص ٤٤٥.

٢. تفسير القمي، ج ٢، ص ١٧٧. و قال الطبرسي في مجمع البيان، ج ٨، ص ٣٤٢: «كان اسم الموضع الّذي حفر فيه الخندق: المَذاد».

٣. وفاء الوفاء، ج ٤، ص ١٢٠٤ و الفقرة الأخيرة، ص ١٢٠٦.

٤. المغازي، ج ٢، ص ٤٥٢.

٥. المصدر السابق، و سبل الهدى و الرشاد، ج ٤، ص ٥١٥.

٦. تفسير القمي، ج ٢، ص ١٧٩.

٧. انطمّ الخندق: امتلأ بالتّراب حتّى استوى مع الأرض.

٨. وفاء الوفاء، ج ٤، ص ١٢٠٤ و تاريخ الخميس، ج ١، ص ٤٨١.

تسعة أذرع، و عمقهُ سبعة أذرعٍ.[١]

• الموقع الجغرافي للخندق: و نحن إذا راجعنا الواقع الجغرافي للمدينة، فإنّة يتّضح: أنّ الخندق قد ضرب على المدينة في مواقع من الجهة الغربيّة و الشّماليّة؛ أمّا الجهة الشّرقيّة و الجنوبيّة فقد شبكت بالبُنْيان[٢] من الجبال و الأودية و التّضاريس[٣] و الأشجار و الحجارة ما يحدّ من قدرة تلك الجيوش الغازية على الحركة الفاعلة و المؤثّرة، فلم يخندق المسلمون عليها.

و يوضح ذلك: أنّه كانت توجد في الجهة الشّرقيّة حَرّة واقم و في الجهة الغربيّة حَرّة الوبرة، و هي مناطق وَعْرَة[٤] فيها صخورٌ بركانية و تمثّل حواجز طبيعيّة و كان في جهة الجنوب أشجار النّخيل و غيرها بالاضافة إلى الأبنية المتشابكة، و كلّ ذلك لا يتيح لجيش المشركين أن يقوم بنشاط فاعلٍ و قويٍّ ضدّ المسلمين.

يقول مصطفى طلّاس: «و بحفر الخندق استطاعت قيادة الجيش الإسلامي أن تعزل قوّات العدوّ عن مكان التّجمّع الرّئيسي للقوّات المدافعة عن المدينة، و أن تحول بينها و بين اقتحام مداخل المدينة؛ لأنّ هذه المداخل أصبح من الممكن حراستها بعد حفر الخندق».[٥]

• مدّة حفر الخندق: و قال المؤرّخون: و جعل المسلمون يعملون مستعجلين يبادرون قدوم العدوّ عليهم.[٦]

---

١. الرّسول العربي و فنّ الحرب لمصطفى طلاس، ص ٢٤٠ و ٢٤١، و السيرة النبوية للنّدوي، ص ٢٨١.

٢. البنيان: المبني. يقال: كأنهم البنيان المرصوص، أي الملصق بعضه ببعض.

٣. تضاريس الأرض: ما برز عليها كالأضراس.

٤. الوعر: المكان الصّلب ضدّ السّهل.

٥. الرّسول العربي و فنّ الحرب، ص ٢٣٤.

٦. السيرة الحلبيّة، ج ٢، ص ٤١١، و المغازي، ج ٢، ص ٤٤٥.

الأقوال في مدّة حفر الخندق مختلفة بين ستّة أيّام[١]؛ بضع عشر ليلـة؛[٢] شـهرٍ أو قريباً من شهر،[٣] و غير ذلك. وصرّح القمّي: بأنّه ﷺ قد فرغ من حفر الخندق قبل قدوم قريش و الأحزاب بثلاثة أيّام.[٤]

هذا... ولكن يمكننا أن نخفي أعجابنا بهذا الانجاز الـضّخم و الـسّريع جـداً، مـع ملاحظة ضعف الوسائل و الامكانـات المتـوفرّة للعـاملين فـي حفـر الخنـدق آنئـذٍ بالاضافة إلى وجود المثبطين عن العمل. فحيّا الله هذه الهِمَم و بورک لهم جهادهم المبارک و الرّائد تحت قيادة و في طاعة رسول الإسلام الأعظم و الأكرم ﷺ.

٤. عُدَّة و عدد الجيشين

أمّا المسلمون فقد اختلفت كلمات المؤرّخين في عُدّة و عـددهم. فأمّـا بالنّـسبة للعُدَّة فقد ذكر ابن سعد: «أنّه كـان مـع المـسلمين سـتّة و ثلاثـون فرسـاً.[٥] و أمّـا بالنّسبة إلى العدد، فقيل. كانوا سبع مئة – و هو قول ابن إسحاق[٦] – و قيـل : كـانوا ألفاً أو نحوها – و هو صريح رواية البخاري و مسلم عن جابر و صرّح به قُتادة أيضاً[٧] – و قيل: تسع مئة،[٨] و ذهب أكثر المؤرّخين إلى أنّهم كانوا ثلاثة آلافٍ أو نحوها.[٩]

و نقول: إنّنا نرجّح قول ابن إسحاق، و إن حكم عليه الـبعض، كـالحلبي و غيـره

---

١. المغازي، ج ٢، ص ۴۵۴.

٢. السيرة الحلبيّة، ج ٢، ص ٣١۴.

٣. وفاء الوفاء، ج ۴، ص ١٢٠٩.

۴. تفسير القمي، ج ٢، ص ١٧٩، و البحار، ج ٢٠، ص ٢٢١.

۵. المواهب اللدنيّة، ج ١، ص ١١٠، و تاريخ الخميس، ج ١، ص ۴٨٠ عن ابن سعد.

۶. تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ۵٠، و السيرة الحلبيّة، ج ٢، ص ٣١۴ عن ابن اسحاق.

٧. الكافي، ج ۵، ص ۴۶، و الوسائل، ج ١١، ص ١٠۵.

٨. الرسول العربي و فنّ الحرب، هامش،ص ٢٣٨.

٩. راجع: وفاء الوفاء، ج پ١، ص ٣٠١، و فتح الباري، ج ٧، ص ٣٠١، و تاريخ الخميس، ج ١، ص ۴٨٠.

بأنّه قد وهم أو غلط في ذلك. و لو تنزّلنا عن ذلك، فإنّنا نأخذ بالقول الثّاني؛ أمّا القول بأنّهم كانوا ثلاثة آلاف، فلا مجال للاعتماد عليه؛ لما روي عن الإمام الصّادق عليه السلام أنه صلى الله عليه و آله شهد الخندق في تسع مئة رجل،[١] و يحتمل أن تكون كلمة تسع تصحيفاً لكلمة سبع أيضا.

و يرى البعض: أنّ المسلمين كانوا في أحد بعد رجوع المنافقين سبع مئة رجل، و بين أحد و الخندق سنة أو أكثر بقليل، و يبعد أن يزيد المسلمون خلال سنة واحدة هذه الزّيادة الكبيرة، بحيث يصلون إلى ثلاثة آلاف.[٢]

و ما جرى في الخندق يوضح: أنّ عدد سكّان المدينة لا يصل إلى الخمسة آلاف نسمة بما في ذلك الأطفال و النّساء.

أمّا المشركون، فقد اختلفت الأقوال في عددهم. قال المسعودي: سارت إليه قريش، و غطفان، و سُليم، و أسد و أشجع و قريظة و نضير، و غيرهم من اليهود، فكان عِدّة الجميع أربعة و عشرين ألفاً، منها قريش و أتباعها أربعة آلاف.[٣]

و قال ابن شهر آشوب: كانوا ثمانية عشر ألف رجل.[٤] و قال ابن الرّبيع: كانوا أحد عشر ألفاً[٥] و ذكر في موضع آخر: أنّهم كانوا عشرة آلاف، و لعلّه حين عدّ معهم بني قريظة ذكر الرّقم الأوّل و حين غَضّ النّظر عنه عدّهم عشرة آلاف.

و أمّا بالنّسبة إلى عُدَّتهم، فقد قال المسعودي: إنّه كان معهم ثلاث مئة فرس، و ألف و أربع مئة بعير و قائدهم أبوسفيان، صخر بن حرب.[٦] و ذكر آخرون: أنّه كان

---

١. راجع: العبر و ديوان المبتدأ و الخبر، ج ٢، قسم ٢، ص ٢٩.

٢. راجع: إمتاع الأسماع، ج ١، ص ٢٢٤ و ٢٢٥، و مجمع البيان، ج ٨، ص ٣٤٢ و البحار، ج ٢٠، ص ٢٠٠ عنه.

٣. التنبيه و الإشراف، ص ٢١٦.

٤. مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ١٩٧،و البحار، ج ٢٠، ص ٢٧٢ عنه.

٥. حدائق الأنوار، ج ١، ص ٥٢.

٦. التنبيه و الإشراف، ص ٢١٦.

معهم ألف و خمس مئة بعير و ثلاث مئة فرس،[۱] و غير ذلک من الأقوال.

و من الواضح: أن لا مجال لتحديد الرّقم الحقيقي لذلک كلّه و لا لغيره؛ لكن ممّا لا شک فيه: أنّ هذا العرض للنّصوص و الأقوال يوضح مدى التّفاوت بين عُدَّة و عدد المسلمين و أعدائهم من الأحزاب الّذين جاؤوا من كلّ حدب و صوب.

۵. الحصار و القتال

إنّ المشركين قد أحاطوا بالمسلمين حتّى جعلوهم في مثل الحصن من كتائبه، و أخذوا بكلّ ناحية، و قد استمرّ هذا الحصار مدّة طويلة بلغ شهراً كاملاً بل أكثر،و قد كانت الحراسة المستمرّةو اليقظة الدّائمة من الأمور الضّروريّة و كان المسلمون يقومون بها باستمرار.

و أمر رسول الله ﷺ المسلمين بالثّبات في مكانهم و لزوم خندقهم. و نظر المشركون إلى الخندق، فتهيّبوا القدوم عليه، فجعلوا يدورون حوله بعساكرهم و خيلهم و رجلهم، و مكثوا على ذلک المدّة المتقدّمة و لم يكن بينهم حرب إلّا الرّمي بالنّبل و الحصا.[۲]

و كان للمشركين رماة يقدمونهم إذا غدوا متفرّقين أو مجتمعين بين أيديهم؛ فتناوشوا يوماً بالنّبل ساعة – و هم جميعاً في وجه واحد – وِ جاه قبّة رسول الله ﷺ و هو قائم بسلاحه على فرسه، فرمى «حِبّانُ الْعَرِقَة» سعدَ بن معاذ بسهم فأصاب أكْحَلَه.[۳]*

و أمر ﷺ بنقل سعد حينما جُرح إلى خيمة رُفَيْدَة الّتي كانت أقامتها في

---

۱. السيرة الحلبيّة، ج ۲، ص ۳۱۰ و ۳۱۱.

۲. السيرة الحلبيّة، ج ۲، ص ۳۱۵ و نهاية الإرب، ج ۱۷، ص ۱۷۱ و ۱۷۲.

* الأكحل يقال له نهر الحياة، في كلّ عضو منه شعبة لها اسم على حدة. قال أبو حاتم: هو عِرْقٌ في اليد، و في الفخذ النّساء و في الظّهر الأبهر.

۳. إمتاع الأسماع، ج ۱، ص ۲۳۱ و ۲۳۲، و المغازي، ج ۲، ص ۴۶۸ و ۴۶۹.

مسجد النّبيّ لمداواة الجرحي، و كان يتعاهده بنفسه.[۱]

٦. ضربة عليّ عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثّقلين

يقول المؤرّخون: إنّه بعد أن جُرح سعد بن معاذ، أجمع رؤساء المشركين أن يغدو جميعاً، و جاؤا يريدون مَضيقاً يقحمون منه خيلهم إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله، فوجدوا مكاناً ضَيّقاً أغفله المسلمون، فلم تدخله خيولهم، فعبره عِكرمة بن أبي جهل و نوفل بن عبدالله و ضرار بن الخطاب و هُبَيْرَة بن أبي وهب و عمرو بن عبدوَدّ، و وقف سائر المشركين وراء الخندق.[۲]

و تقدّم عمرو، فلمّا رأى المسلمين، وقف هو و الخيل الّتي معه و قال: هل من مبارز.[۳] و كان عمرو فارس قريش و كان يعدّ بألف فارس، و يسمّى فارس يليل،[٤] و كان من مشاهير الأبطال و شجعان العرب،[٥] و كان – كما قيل – لم يهزم في مبارزة قطّ.[٦]

فلمّا دعا عمرو للبراز قال صلى الله عليه وآله – على ما في الرّوايات – مَن لهذا الكلب؟ فلم يقم إليه أحدٌ. فلمّا أكثر، قام عليّ عليه السلام و قال: أنا أبارزه يا رسول الله؛ فأمره بالجلوس، انتظاراً منه ليتحرّك غيره. و أعاد عمرو النّداء و النّاس سكوت كأنّ على رؤوسهم الطّير، لمكان عمرو، و الخوف منه و ممّن معه و مَن وراءه.

---

١. عيون الأثر، ج ٢، ص ٧٢، و السيرة النبوية لابن هشام، ج ٣، ص ٢٥٠.

٢. راجع: إمتاع الأسماع، ج ١، ص ٢٣٢، و سبل الهدى و الرشاد، ج ٤، ص ٥٣٢ و ٥٣٣.

٣. راجع: مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ١٩٨، و الإرشاد للمفيد، ص ٥٢.

٤. مجمع البيان، ج ٨، ص ٣٤٢، و البحار، ج ٢٠، ص ٢٠٢. وجه تسميته بفارس يليل هو أنّه أقبل في ركب من قريش، حتّى إذا هو بيليل – و هو وادٍ قريب من بدر – عرضت لهم بنوبكر في عدد، فقال لأصحابه: امضوا. فقام في وجوه بني بكر حتّى منعهم من أن يصلوا إليه، فعرف بذلك.

٥. تاريخ الخميس، ج ١، ص ٤٨٦.

٦. خاتم النبيين، ج ٢، ص ٩٣٨.

فقال عمرو: أيّها النّاس! إنّكم تزعمون أنّ قتلاكم في الجنّة، و قتلانا في النّار. أفما يحبّ أحدكم أن يقدم على الجنّة، أو يقدم عدوّاً له إلى النّار؟ فلم يقم إليه أحدٌ.

فقام عليّ عليه السلام دفعة ثانية، قال: أنا له يا رسول الله، فأمره بالجلوس.

فجال عمرو بفرسه، مقبلاً مدبراً، و جاءت عظماء الأحزاب و وقفت من وراء الخندق و مدّت أعناقها تنتظر، فلمّا رأى عمرو: أنّ أحداً لا يجيبه قال:

و لقد بححت من النّداء بجمعهم هل من مبارز؟...

فقام عليّ عليه السلام، فقال: يا رسول الله! ائذن لي في مبارزته. فلمّا طال نداء عمرو بالبراز، و تتابع قيام أميرالمؤمنين عليه السلام، قال له رسول الله ﷺ: ادن منّي يا عليّ. فدنا منه، فقلّده سيفه (ذاالفقار) و نزع عِمامته من رأسه و عمّمه بها، و قال: امض لشأنك.[1]

فلمّا ولي عليه السلام قال النّبيّ ﷺ: اللّهم احفظه من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله و من فوق رأسه و من تحت قدميه.[2]

و يضيف البعض: أنّه رفع عِمامته و رفع يديه إلى السّماء بمحضر من أصحابه، و قال: اللّهم إنّك أخذت منّي عبيدة بن الحرث يوم بدر، و حمزة بن عبدالمطّلب يوم أحد، و هذا أخي عليّ بن أبي طالب. «رَبِّ لا تَذَرْني فَرْداً وَ أنْتَ خَيرُ الْوارِثينَ[3]»[4]

و قال ﷺ حينئذٍ: برز الإسلام (أو الإيمان) كلّه إلى الشّرک كلّه.[5]

فخرج له عليّ عليه السلام و هو راجل، و عمرو فارساً، فقال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا

---

۱. راجع: شرح النهج للمعتزلي، ج ۱۹، ص ۶۳و ۶۴، و الإرشاد، ص ۵۹ و ۶۰.

۲. مجمع البيان، ج ۸، ص ۳۴۳، و بحار الأنوار، ج ۲۰، ص ۲۰۳ و ج ۴۱، ص ۸۸.

۳. الأنبياء ۸۹.

۴. راجع: شرح النهج للمعتزلي، ج ۱۹، ص ۶۱ و ج ۱۳، ص ۲۸۳ و ۲۸۴.

۵. راجع: كشف الغمة، ج ۱، ص ۲۰۵، و ينابيع المودة، ص ۹۴ و ۹۵، و إعلام الورى، ص ۱۹۴.

علي. قال: ابن عبد مناف؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. فقال: يابن أخي، من أعمامک من هو أسنّ منک، فإنّي أکره أن أهريق دمک. فقال له علي. لکنّي والله لا أکره أن أهريق دمک.

فغضب، فنزل، و سلّ سيفه کأنّه شعلة نار، ثمّ أقبل نحو عليعليه‌السلام مغضباً، و استقبله على بِدَرَقَتِه؛[۱] فضربه عمرو في دَرَقَتِه، فقدّها، و أثبت فيها السّيف، و أصاب رأسه، فشجّه.[۲] و ضربه عليعليه‌السلام على حبل عاتقه، فسقط و ثار العَجاجُ،[۳] فسمع رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله التّکبير، فعرفنا أنّ عليّاً قد قتله.

... و خرجت خيولهم منهزمة، حتّى اقتحمت الخندق.[۴]

عن ابن مسعود و عن بهز بن حکيم، عن أبيه قال: قال رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله: لَمبارزة علي (أو قَتْلُ علي) لعمرو بن عبدودّ (أو ضربة علي يوم الخندق) أفضل (أو خيرٌ) من عبادة الثّقلين، أو أفضل من أعمال أمّتي إلى يوم القيامة.[۵]

و في نصّ آخر عن ابن مسعود: أبشر يا علي، فلووزن عملک اليوم بعمل أمّتي لرجح عملک بعملهم.[۶] و زاد المجلسي و الطّبرسي قوله: «و ذلک أنّه لم يبق بيتاً من بيوت المشرکين إلّا و قد دخله و هن بقتل عمرو؛ و لم يبق بيت من بيوت المسلمين إلّا و قد دخله عزّ بقتل عمرو».[۷]

---

۱. الدَّرَقَة: الجَحَفَة و هي التّرس من جلود ليس فيها خشب و لا عقب.

۲. شجّ رأسه: جرحه و کسره.

۳. العَجاج: الغبار و الدّخان.

۴. راجع: البداية و النهاية، ج ۴، ص ۱۰۶ عن البيهقي في دلائل النبوة عن ابن إسحاق، و السّيرة النبوية لابن کثير، ج ۳، ص ۲۰۴، و مجمع البيان، ج ۸، ص ۳۴۳، و البحار، ج ۲۵، ص ۲۰۳ و ۲۰۴ و ۲۳۹.

۵. راجع النصوص الّتي تشير إلى ذلک في: کنزالعمال، ج ۱۲، ص ۲۱۹، و تاريخ بغداد، ج ۱۳، ص ۱۹، و مقتل الحسين للخوارزمي، ص ۴۵، و مستدرک الحاکم، ج ۳، ص ۳۲.

۶. ينابيع المودة، ص ۹۴، و شواهد التنزيل (ط سنة ۱۴۱۱ هـ) ص ۱۲.

۷. راجع: مجمع البيان، ج ۸، ص ۳۴۳، و البحار، ج ۲۰، ص ۲۰۵.

قال المفيد: «فتوجّه العتب إليهم، و التّوبيخ، و التّفريع، و الخطاب، و لم ينج من ذلك أحدٌ بالاتّفاق إلّا أميرالمؤمنين عليه السلام إذ كان الفتح له و على يديه، و كان قتله عمرواً و نوفلَ بن عبدالله سبب هزيمة المشركين. و قال رسول الله ﷺ بعد قتل هؤلاء النّفر: ألآن نغزوهم و لا يغزوننا».[١]

٧. الشّهداء و القتلى

- الشّهداء من المسلمين أربعةٌ أو خمسةٌ[٢]، و قيل ستّة، و زاد الكازروني: أنّهم من الأنصار.[٣] و حسب بعض المصادر، فالشّهداءهم: ثلاثة من بني عبدالأشهل: سعد بن معاذ، رُمي بسهم، و أنس بن أوس، قتله خالد بن الوليد، و عبدالله بن سعد، رماه رجل من بني عويف فقتله؛ و اثنان من بني جشم، هما: الطّفيل بن النّعمان، قتله وحشي، و ابن عتمة، قتله هُبَيْرَة بن أبي وهب. و واحد من بني النّجار (أو دينار) هو كعب بن زيد، أصابه سهم غرب فقتله.[٤]
- القتلى من المشركين ثمانية،[٥] و قيل: ثلاثة[٦]، و قيل: أربعة،جميعهم من قريش.[٧] و قال ابن شهر آشوب: إنّ عليّاً عليه السلام قتل يوم الأحزاب: عمرو بن عبدودّ و ولدَه و نوفلَ بن عبدالله بن المغيرة و منبه بن عثمان العبدري و هُبَيْرَة بن أبي هبيرة المخزومي.[٨]

---

١. الإرشاد، ص ٦٢.
٢. الوفاء، ج ١، ص ٣٠٤، و تاريخ الخميس، ج ١، ص ٤٩٢.
٣. تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٥٠، و تاريخ ابن الوردي، ج ١، ص ١۶٣.
۴. سبل الهدى و الرشاد، ج ۴، ص ۵۵١، و عيون الأثر، ج ٢، ص ۶٧ و ۶٨.
۵. تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ۵٠.
۶. البدء و التاريخ، ج ۴، ص ٢٢٠.
٧. العبر و ديوان المبتدأ و الخبر، ج ٢، ق ٢، ص ٣٢.
٨. مناقب آل أبي طالب، ج ٢، ص ٨٣.

الفصل السّابع

بيعة الرّضوان

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

إلى الحُدَيبيّة

و قد ذكرت النّصوص: أنّ النّبيّ صلی الله علیه و آله رأى في منامه: أنّه دخل مكّة هو و أصحابه، آمنين، مُحَلِّقين رؤوسهم و مقصّرين، و أنّه دخل البيت، و أخذ مفتاحه، و أدّى عمرته، و عرّف مع المعرّفين.[1]

فلمّا أخبر صلی الله علیه و آله أصحابه بما رأى فرحوا، و ظنّوا أنّهم يدخلون مكّة في عامهم ذاك. ثم أخبرهم أنّه يريد الخروج للعمرة؛ فتجهّزوا للسّفر، و استنفر العرب إلى ذلك و أهل البوادي من الأعراب حول المدينة، من أسلم، ثمّ خرج معتمراً، و أحرم هو و غالب من معه من ذي الحُلَيفَة، و بعض أصحابه أحرم بالجُحفَة، و كان خروجه في ذي القعدة.

و ساق صلی الله علیه و آله معه الهدي سبعين بدنة، و بعد أن صلّى الظّهر في ذي الحليفة أشعر عِدّةً منها، و هي موجهات إلى القبلة في الشّق الأيمن من سنامها، ثم أمر ناجية بن جندب، فأشعر الباقي، و قلّدهنّ (أي علّق برقابهنّ كلّ واحدٍ نعلاً) و أشعر المسلمون بُدنهم و قلّدوها، و كان النّاس سبع مائة رجل، و قيل: ألفاً و أربع مئة، و سار حتّى بلغ عُسفان».[2]

---

١. راجع: تفسير مجاهد، ج ٢، ص ٦٠٣، و معاني القرآن، ج ٦، ص ٥١١، و سبل الهدى و الرشاد، ج ٥، ص ٣٣. و «عرّف مع المعرّفين» لعلّ المراد أنّه جعل على النّاس عُرَفاء، كما في الأصل، أو المراد بالمُعَرِّفين هم الواقفون بعرفة، كما في سبل الهدى و الرشاد، ج ٥، ص ٨٠.

٢. السيرة الحلبيّة، ج ٣، ص ٩ و ١٠، و تاريخ الخميس، ج ٢، ص ١٦، و السيرة النبويّة، لابن هشام، ج ٣، ص ٣٢١ و ٣٢٢.

و لمّا بلغ المشركين خروج رسول الله صلی‌الله‌علیه‌وآله، راعهم ذلک، فاجتمعوا و تشاوروا، فتعاقدوا على منع رسول الله صلی‌الله‌علیه‌وآله من دخول مكّة في عامهم هذا.

ثمّ قدّموا خالدَ بن الوليد في مأتي فارس إلى كُراع الغَميم[1]، و استنفروا من أطاعهم من الأحابيش، و خرجوا إلى بَلْدَح،[2] و ضربوا بها القُباب و الأبنية و معهم النّساء و الصّبيان، فعسكروا هناک، و وضعوا العيون على الجبال.

و رجع بِشر بن سفيان الّذي بعثه صلی‌الله‌علیه‌وآله عيناً له من مكّة بغدير الأشطاط و راء عُسفان، فأخبر النّبيّ صلی‌الله‌علیه‌وآله بخروج قريش من مكّة لمحاربته و مَنْعِه من دخول مكة.

فقال رسول الله صلی‌الله‌علیه‌وآله «يا ويح قريش لقد أكلتهم الحربُ، ماذا عليهم لوخلّوا بيني و بين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان ذلک الّذي أرادوا، و إن أظهرني الله تعالى عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، و إن لم يفعلوا، قاتلوا و بهم قوّة؛ فما تظنّ قريش؟ فو الله لا أزال أجاهدهم على الّذي بعثني الله تعالى به حتّى يُظهره الله أو تنفرد هذه السّالفة».[3]

ثمّ قام رسول الله صلی‌الله‌علیه‌وآله في المسلمين و قال: «يا معشر المسلمين، أشيروا عليّ، أترون أن نميل إلى ذراري هؤلاء الّذين أعانوهم فنصيبهم؟ فأن قعدوا، قعدوا موتورين محرومين، و إن يأتونا، تكن عنقاً[4] قطعها الله، أم ترون أن نؤمّ البيت، فمن صدّنا عنه، قاتلناه؟».

فقال أبوبكر:الله و رسوله أعلم،يا رسول الله إنّما جئنا معتمرين، و لم نجيء

---

* عُسفان منهلة من مناهل الطّريق بين الجحفة و مكّه، و قيل: هي بين المسجدين، و هي من مكّة على مرحلتين، و قيل غير ذلک (راجع: معجم البلدان).

۱. موضع بناحية الحجاز بين مكّة و المدينة و هو واد أمام عسفان بثمانية أميال (عن معجم البلدان).

۲. وادٍ قبل مكّة من جهة المغرب.

۳. السّالفة صفحة العنق، و هما سالفتان من جانبيه و كنّي بانفرادها عن الموت.

۴. و في لفظٍ: عيناً بدل عنقاً.

لقتال أحدٍ، و نرى أن نمضي لوجهنا فمن صدّنا عن البيت قاتلناه. و وافقه على ذلک أسَيْدبن الحُضَيْر.

ثمّ قام المقداد و قال بعد كلام أبي بكر: إنّا و الله يا رسول الله، لا نقول لک كما قالت بنو إسرائيل لنبيّها: «اذْهَبْ أَنتَ وَ رَبُّکَ فَقَاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ»[١] و لكن اذهب أنت و ربّک فقاتلا إنّا معكم مقاتلون.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فسيروا على اسم الله.[٢]

و خالف النّبي صلى الله عليه وآله العدوّ في الطّريق، و قال لأصحابه: تيامنوا، في هذا العَصَل،[٣] و في رواية: اسلكوا ذات اليمين بين ظهور الحَمْض،[٤] فإنّ خالد بن الوليد بالغَميم في خيل لقريش طَليعةً.[٥]

كره رسول الله صلى الله عليه وآله أن يلقى خالداً فقال: تيامنوا فأيّكم يعرف ثنيّة ذات الحنظل؟ فقال بُرَيدَة بن الحُصَيْب الأسلمي: أنا يا رسول الله عالم بها. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اسلک أمامنا. فأخذ بُريدة في العصل قبل المغرب، فو الله ما شعر بهم خالد حتّى إذا هم بقترة الجيش،[٦] فانطلق يركض نذيراً لقريش.

أمّا عدول النّبي صلى الله عليه وآله عن الطّريق و عدم مواجهته طليعة المشركين الّتي كانت بقيادة خالد، فلعلّه أنّه صلى الله عليه وآله لم يُرد أن يواجه تلک الطّليعة لكي يتجنّب أي اشتباک معها، يمكن أن يدفع بالأمور إلى حيث تصبح الحرب مع قريش أمراً مفروضاً لا يمكن تجنّبه، و قد يمكن لقريش أن تشيع: أنّ أصحابه، أو بعضهم هم الّذين

---

١. المائدة:٢۴.

٢. سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ٣٧، و شرح النهج للمعتزلي، ج ١۴، ص ١١١.

٣. العَصَل: الإعوجاج في صلابة، و المراد هنا الرّمل المعوّج الملتوي.

۴. الحَمْض: موضع يخرج على مهبط الحديبيّة من أسفل مكّة.

۵. سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ٣٧، و مسند أحمد، ج ۴، ص ٣٢٨، و عن صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٧٨، و السنن الكبرى للبيهقي، ج ٩، ص ٢١٨.

۶. قترة الجيش: غبار الجيش.

تستبوا بنشوب الحرب.

و يستوقفنا هنا قول رسول الله ﷺ: يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلّوا بيني و بين سائر العرب الخ... فإنّ نظرة منصفة إلى واقع الحال تعطينا: أنّ هذا الكلام من رسول الله ﷺ ما هو إلّا رسالة ذات مغزى عميق و دقيق، يريد الرّسول ﷺ أن يوصلها إلى النّاس، من أجل سوقهم نحو هدف يريد أن يصل إليه. مع ما في ذلک من إظهار درجة من العطف على هؤلاء الّذين يظلمون أنفسهم و يظلمون غيرهم و هم قريش، أو على الأقلّ، فيه ايحاءٌ بأنّ من الممكن التّجاوز عما مضى و أنّ الأمور بينه و بين قريش لم تصل إلى نقطة اللّارجوع.

اتّصالات و مداولات

لمّا اطمأنّ رسول الله ﷺ بالحديبية أتاه بُديل بن وَرقاء في رجال من خزاعة، فكلّموه و سألوه: ما الّذي جاء به؟ فأخبرهم أنّه لم يأت يريد حرباً، و إنّما جاء زائراً للبيت، و معظّماً لحرمته. فوعى بديل مقالة رسول الله ﷺ و رجع إلى قريش و قال لهم: يا معشر قريش، إنّكم تعجلون على محمّدٍ، إنّ محمّداً لم يأت لقتالٍ و إنّما جاء معتمراً، فاتّهَموه و جَبَّهوه[1] و قالوا: و إن كان جاء و لا يريد قتالاً، فو الله لا يدخلها علينا عامه هذا أبداً، حتّى لا يبقى منّا رجلٌ.

ثمّ بعثوا إلى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثّقفي، فجاء رسولَ الله ﷺ فقال: يا محمد، إنّها قريش، قد استنفروا لک الأحابيش[2] و من أطاعهم، قد لبسوا جلود النّمور، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عَنْوَةً أبداً... .

---

۱. جَبَّهوه: خاطبوه بما يكرهه.

۲. الأحابيش هم بنو الهون بن خزيمة، و بنو الحرث بن عبد مناف، و بنو المصطلق، سمّوا بذلک لأنّهم تحالفوا تحت جبلٍ بمكّة اسمه حبشي.

و جعل عروة يرمق أصحاب رسول اللهﷺ بعينه ... فإذا أمرهم بأمرٍ ابتدروا أمره، و إذا توضّأ كادوا يقتتلوا على وضوئه، و لا يسقط شيءٌ من شَعره إلّا أخذوه، و إذا تكلّم خفضوا أصواتهم عنده، و ما يُحِدّون النّظر إليه، تعظيماً له.

فلمّا فرغ عروة من كلام رسول اللهﷺ و ردّ عليه الرّسولﷺ مثل ما قال لبُديل بن ورقاء، أتى عروةُ قريشاً، فقال: يا قوم، إنّي وفدت إلى الملوك: كسرى و قيصر و النّجاشي، و إنّي والله ما رأيت مَلِكاً قطّ أطوع فيما بين ظهرانيه من محمدٍ في أصحابه. و الله إن رأيت ملكاً قطّ يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمّدٍ محمّداً و ليس بِمَلِكٍ... و اعلموا أنّكم إن أردتم منهم السّيف بذلوه لكم و قد رأيت قوماً لا يبالون ما يصنع بهم اذا منعتم صاحبهم... .

فقالت قريش: لا تتكلّم بهذا يا أبا يعفور، أوَ غيرک تكلّم بهذا؟ ولكن نردّه عامنا هذا و يرجع إلى قابل.

فقام الحُلَيس بن علقمة و كان يومئذٍ سيّد الأحابيش، فقال: دعوني آتيه. فقالوا: ائته. فلمّا أشرف على رسول اللهﷺ قالﷺ: هذا من قومٍ يُعظمون البُدن و يتألّهون[1]، فابعثوها له، فبعثت له، فلمّا رأى الهدى يسيل عليه من عُرض الوادي[2] عليها قلائدها،[3] قد أكلت أو بارها من طول الحبس، ثمّ رجع إلى قريش و لم يصل إلى رسول اللهﷺ إعظاماً لما رأى، فقال لهم ذلک، فقالوا له: اجلس، فإنّما أنت أعرابي لاعلم لک، فغضب و قال: و الله ما على هذا حالفناكم، و لا على هذا عاقدناكم، أيُصَدّ عن بيت الله من جاء مُعَظِّماً له! و الّذي نفس الحُلَيس بيده لَتُخَلّنّ بين محمّد و بين ما جاء له، أو لأنفرنّ بالأحابيش نَفرَة رجلٍ واحد. قالوا له: مَه، كُفّ عنّا يا حُليس حتّى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به.

نجد أنّ جميع من جاؤوا من قِبَل قريش إلى النّبيﷺ لم يكن لديهم حجّة

١. يتألّهون: يتعبّدون و يعظمون أمر الإله.

٢. عُرْض الوادي: جانبه.

٣. القلائد: ما يعلق في أعناق الهدى ليعلم انّه هدى.

يعتصمون بها، فكانوا يلجأون إلى محاولة تخويفه ﷺ و المسلمين من عاقبة دفع الأمور باتّجاه الحرب.

ثمّ كانت حصيلة مساعيهم: أنهم يرجعون إلى قومهم ليواجهوهم بنفس المنطق الّذي سمعوه من رسول الله ﷺ و ذلك بدءاً من بُديل بن ورقاء، مروراً بعروة بن مسعود الّذي قال لهم: قد عرض عليكم خطّة رشد فاقبلوها، و انتهاءً بالحُليس بن علقمه الّذي سبقت مقالته.

فاتّضح بذلك كلّه: أنّ الأمر قد انتهى بتصدّع صفوف أهل الشّرک... و ظهور الخلاف العميق فيما بينهم، إلى حدّ أنّ زعماء أقوياء في صفوفهم هم الّذين يسعون لإقناع قريش بقبول عروض النّبيّ ﷺ و يعلنون أنّ خطّته خطّة رشد و صلاح، و هي نتيجة ذات أهميّة فائقة و حاسمة أيضاً.

رسول النّبيّ ﷺ إلى مكّة

و قد بعث رسول الله ﷺ خراش بن أميّة على جمل له ﷺ إلى قريش ليخبرهم ما جاء له، فعقروا الجمل و أرادوا قتله فمنعه الأحابيش، فخلّوا سبيله، حتّى أتى رسولَ الله ﷺ و أخبره بما لقي.[1] فدعا عمر ليبعثه، فقال: إنّي أخاف قريشاً على نفسي و ليس لي من بني عدي أحد يمنعني، فبعث عثمان، فقال ﷺ أخبِرْهم أنّا لم نأت لقتال و إنّما جئنا زوّاراً لهذا البيت معظمين لحرمته، معنا الهدي ننحره و ننصرف.

و لقيه أبانَ بن سعيد بن العاص حين دخل مكّة، فأجاره حتّى بلغ رسالةَ رسول الله ﷺ، فقالوا: لا كان هذا أبداً و لا يدخلها علينا العام، و احتبسته قريش عندها ثلاثة أيّام، فبلغ رسول الله ﷺ أنّ عثمان قد قُتل، فقال ﷺ : لا نبرح حتّى نناجز

---

١. السيرة الحلبيّة، ج ٣، ص ١٦، و سبل الهدى و الرشاد، ج ٥، ص ٤٦، و شرح أصول الكافي، ج ١٢، ص ٤٥٢، و جامع البيان، ج ٢٦، ص ١١١.

القوم.

بيعة الرضوان

و قد زعموا: أنّ السّبب في دعوة النّاس إلى بيعة الرّضوان هو الشّائعة الّتي سرت في النّاس من أنّ عثمان قد قتل في مكّة.. فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وآله النّاسَ إلى البيعة.

و نقول: إنّ كون سبب البيعة هو هذه الشّايعة موضع شكّ كبير، لأنّهم يقولون: إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قد بايع عن عثمان أيضاً – بأن ضرب إحدى يديه على الأخرى و قال: اللّهم إنّ هذه عن عثمان –[1] فإن صحّ هذا فهو يدلّ على أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله و النّاس كانوا يعلمون بحياة عثمان، فكيف يزعم الزّاعمون أنّ شاعئة قتله كانت السّبب في أخذ البيعة من النّاس؟!

على أنّنا نرجّح أن يكون السّبب القريب في الدّعوة إلى بيعة الرضوان:

١. إظهار مدى تصميم رسول الله صلى الله عليه وآله على حقّه الّذي تنكره عليه قريش.

٢. أخذ قريش لعشرة من المسلمين الّذين أرسلهم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى مكّة لملاقاة أهاليهم و دخلوا سرّاً.

٣. إرسال جماعات ليليّة تسعى لاختطاف أشخاص، أو القيام باغتيالات، قد يكون بعضها بالغ الخطورة، و قد أخذ المسلمون منهم خمسين رجلاً.

۴. حصول مناوشات و صدمات بين جماعة من المشركين و المسلمين، انتهت بأسر اثني عشر رجلاً من المشركين.

۵. قتل ابن زنيم الّذي اطّلع الثنيّة من الحديبيّة، فرماه المشركون، فقتلوه، ثمّ إصرار قريش، على أنّها لن تمكّن المسلمين من دخول مكّة.

۶. إصرارها على استعادة هؤلاء الأرقاء الّذين أسلموا و التحقوا بالمسلمين، حيث

---

١. السيرة الحلبية، ج ٣، ص ١٧، و كتاب الأربعين للشّيرازي، ص ۵٨٨، و الإصابة، ج ۴، ص ٣٧٨.

أراد ﷺ أن يفهم قريشاً: أنّه على استعدادٍ للدّخول في الحرب من أجل هؤلاء.

۷. الضّغط على قريش لتستجيب إمّا لتمكينهم من زيارة بيت ربّهم، أو ترضى بإعطاء العهد و الوعد لهم بذلک في السّنة القادمة.

فمن أجل كلّ ذلک جاءت الدّعوة إلى بيعة الرّضوان، الّتي تعطي الانطباع لقريش عن أنّ المسلمين يد واحدة مع رسول الله ﷺ.

النّساء و البيعة

و لا ندري كم كان عدد النّساء اللّاتي حضرن في الحديبيّة، غير أنّ ممّا لا شکّ فيه هو: أنّ أخذ النّبيّ ﷺ البيعةَ منهنّ له العديد من الدّلالات، و هي التّالية:

۱. إنّه يؤكّد على حقيقة: أنّ الحرب حين تكون مصيريّة، فإنّ مشاركة النّساء، و حتّى الأطفال تصبح أمراً لابدّ منه، و لا غنى عنه.

۲. إنّه عدا عن أنّ ذلک يتضمّن تكريماً لعنصر المرأة، فإنّه يعدّ إعلاناً بأنّ عليها أن تشارك في حماية المجتمع الإيماني، بما تقدر عليه ممّا يتناسب مع طبيعة تكوينها و قدراتها.

۳. إنّ ذلک يُظهر تصميم المجتمع الإيماني على الحصول على حقوقه، و يشير إلى قريش بحقيقة: أنّ الأمر ليس صراعاً على النّفوذ، بهدف الحصول على مكاسب لفريقٍ يريد أن يجعل من نفسه حاكماً و مهيمناً. بل القضيّة أكبر من ذلک و أخطر؛ فإنّ المجتمع الإيماني يرى: أنّه إنّما يطالب بحقوقه من حيث أنّ عناصره يحملون صفة الإنسانيّة؛ فكلّ من له هذه الصّفة فلابدّ من أن ينال حقوقه بغضّ النّظر عن خصوصيّاته الفرديّة،مثل اللّون ، أو العِرق، أو السّن، أو غير ذلک.

و قد عبّر عن ذلک عروة بن مسعود حين قال لقريش: «والله لقد رأيت معه نساءً ماكنّ ليُسلمنه على حالٍ».[1]

---

۱. سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ۴۵.

حديث البيعة

أتى رسولُ اللهﷺ منازل بني مازن بن النّجار، و قد نزلت في ناحية من الحديبيّة فجلس في رحالهم تحت شجرةٍ خضراء، ثمّ قال: «إنّ الله تعالى أمرني بالبيعة». فأقبل النّاس يبايعونه حتّى تداكّوا، فما بقي لبني مازن متاع إلّا وطئ، ثمّ لبسوا السّلاح و هو معهم قليل.

و كان عدد الّذين شهدوا بيعة الرّضوان- على ما روي البخاري و ابن مردوية عن قتادة – خمس عشرة مأة،[1] و روي الشّيخان و ابن جرير عن عبدالله بن أبي: كان أصحاب الشّجرة ألفاً و ثلاثمائة،[2] و روي سعيد بن منصور و الشّيخان عن جابر بن عبدالله: كنّا يوم الحديبيّة ألفاً و أربعمائة.[3]

و قد اختلفوا في بيعة الرّضوان، هل كانت على الموت، أو على عدم الفرار،[4] أو أنّ المراد واحد كما ذكره البعض؟[5]

و نقول: إنّ البيعة على عدم الفرار – سواء أكانت هي نفسها البيعة على الفتح أم على الشّهادة – خلاف الحكمة و التدبير، و ذلك لأنّها تتضمنّ اتّهاماً لأصحابه، بأنّهم مظنّة الفرار من جهة، و فيها أيضاً إيحاء للعدوّ بأنّ رسولَ اللهﷺ غير واثق بنصر أصحابه له، و أنّ عدم الثّقة هذا قد بلغ حدّاً جعله يلجأ إلى أخذ المواثيق و العهود منهم بذلك من جهة أخرى.

و ممّا يشهد على ذلك ما رووه: من أنّ أوّل من بايع هو سنان بن أبي سنان الأسدي، فقال للنّبيﷺ: أبايعک على ما في نفسک. قالﷺ: و ما في نفسي؟

١. المصدر السابق، ص ٥٠ و ٥١ عن البخاري، ج ٧، ص ٥٠٧.
٢. نفس المصدر، عن البخاري، ج ٥، ص ٦٣، و مسلم ج ٣، ص ١٤٨٥.
٣. عن البخاري، ج ٧، ص ٥٠٧ و عن مسلم، ج ٣، ص ١٤٨٤.
٤. راجع: سبل الهدى و الرشاد، ج ٥، ص ٥٠.
٥. السيرة الحلبية، ج ٣، ص ١٧.

قال: أضرب بسيفي بين يديک حتّى يُظهرک أو أُقتَل، و صار النّاس يبايعونـه علـى ما بايعه عليه سنان.[١]

عهد الحديبيّة

فلمّا أجمعت قريش على الصّلح و الموادعة، بعثوا سهيل بن عمـرو و حُويطـب و مِكْرَزاً و قالوا لسهيل: ائت محمداً فصالحه و ليكن في صـلحک: أن لا يـدخل عامـه هذا، فو الله لا تحدّث العرب أنه دخل علينا عَنْوَةً.

فأتى سهيل رسولَ الله ﷺ فلمّا رآه رسـول الله ﷺ مقـبلاً قـال ﷺ: قـد أراد القوم الصّلح حين بعثوا هذا الرّجل، فلمّا انتهى سـهيل إلـى رسـول الله ﷺ، تكلّـم فأطال الكلام و تراجعا، ثمّ جرى بينهما الصّلح على:

١. أن تُوضع الحرب بينهما عشر سنين.

٢. أن يأمن النّاس بعضهم بعضاً.

٣. أن يرجع رسول الله ﷺ عامه هذا، فإذا كان العام المقبل قدمها، فخلّوا بينـه و بين مكّة، فأقام فيها ثلاثاً.

۴. أن لا يدخلها إلّا بسلاح الرّاكب، و السّيوف في القُرُب،[٢] لا يدخلها بغيره.

۵. أنّه من أتى محمّداً من قريش بغير إذن وليّه – و إن كان على دين محمّدٍ – ردّه إلى وليّه.

۶. من أتى قريشاً ممّن اتّبع محمّداً لم يردّوه إليه.

٧. و أنّ بينهم و بين رسول الله ﷺ عَيْبَةً مكفوفةً.[٣]

---

١. السيرة الحلبيّة، ج ٣، ص ١٨، و الطبقات الكبرى، ج٣، ص٩٣، و أسد الغابة، ج۵، ص٢٢١.

٢. القُرُب: الخاصرة، و قيل هو شبه الجراب يطرح فيه الرّاكب سيفه بغمده و سوطه.

٣. العيبة المكفوفة: أن يكفّ ما يحمله الإنسان في باطنه من حقدٍ أو غلّ أو عداوة، فلا يظهـر ذلک و لا يعلن به .

۸. أنّه لا إسلال.[1]

۹. و لا إغلال.[2]

۱۰. أنّه من أحبّ أن يدخل في عقد محمدٍ و عهده دخل فيه، و من أحبّ أن يدخل في عقد قريش و عهدهم دخل.

۱۱. أنّه من قدم مكّة من أصحاب محمّدٍ ﷺ حاجّاً أو معتمراً أو يبتغي من فضل الله، فهو آمن على دمه و ماله، و من قدم المدينة من قريش مجتازاً إلى مصر و إلى الشّام، يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه و ماله.[3]

۱۲. أن يخلوا له مكّة من قابل ثلاثة ايّام، و تخرج قريش كلّها من مكّه، إلّا رجلٌ واحد منها، يخلّفونه مع محمّدٍ و أصحابه.[4]

۱۳. و أن لا يخرج من أهلها بأحدٍ إن أراد أن يتّبعه.

۱۴. و أن لا يمنع أحداً من أصحابه إن أراد أن يقيم بها.[5]

۱۵. و أن يكون الإسلام ظاهراً بمكّة لا يكره أحدٌ على دينه و لا يؤذى و لا يُعَيَّر.[6]

و جاء في آخر العهد: «شهد أبوبكر بن أبي قحافه... و كتب عليّ بن أبي طالب.[7]

---

۱. الإسلال: السّرقة الخفيّة و لعلّ المراد نفي الإغارة، أو نفي سلّ السّيوف، أو كليهما.

۲. الإغلال: الخيانة، و المراد: لا خيانة خفيّه، أو لا تلبس الدّروع.

۳. راجع: كنزالعمال، ج ۱۰، ص ۳۰۶، و مدينة البلاغة، ج ۲، ص ۲۸۱، و تفسير النيسابوري، ج ۲۶، ص ۴۹، و مجمع البيان، ج ۹، ص ۱۱۸، و المصنّف لابن أبي شيبة، ج ۱۴، ص ۴۴۱.

۴. راجع: تاريخ اليعقوبي،ج ۲، ص ۴۵، والبحار، ج ۲۰، ص ۳۶۲.

۵. مكاتيب الرسول، ج ۳، ص ۷۸، عن صحيح البخاري، ج ۲، ص ۲۴۲، و صحيح مسلم، ج ۳، ص ۱۴۱۰.

۶. البحار، ج ۲۰، ص ۳۵۲ و ۳۶۲، عن تفسير القمي، ج ۲، ص ۳۱۳، و مكاتيب الرسول، ج ۳، ص ۷۷ و ۹۰، و نور الثقلين، ج ۵، ص ۵۳، و موسوعة التاريخ الإسلامي، ج ۲، ص ۶۲۹.

۷. راجع: أنساب الأشراف، ج ۱، ص ۳۵۰.

فكره المسلمون هذه الشّروط، و امتعضوا منها، و أبي سهيل إلّا ذلک، و لقي عمر من هذه الشّروط أمراً عظيماً، و قال: والله ما شككت منذ أسلمت إلّا يومئذٍ و جعل يردّ على رسول الله ﷺ الكلام.[۱]

صلح الحديبيّة أعظم الفتح

قالوا: روى البيهقي عن عروة، قال: قفل رسول الله ﷺ راجعاً، فقال رجلٌ من أصحابه: ما هذا بفتحٍ، لقد صُددنا عن البيت، و صُدَّ هدينا، و رَدَّ رسول الله ﷺ رجلين من المؤمنين كانا خرجا إليه.

فبلغ ذلک رسول الله ﷺ، فقال: بئس الكلام، بل هو أعظم الفتح، قد رضي المشركون أن يدفعوكم بالرّاح عن بلادهم، و يسألوكم القضيّة، و يرغبون إليكم في الأمان، و لقد رأوا منكم ما كرهوا، و أظفركم الله تعالى عليهم، وردّ كم سالمين مأجورين، فهو أعظم الفتح... .

فقال المسلمون: صدق الله و رسوله، فهو أعظم الفتوح، و الله يا نبي الله ما فكّرنا فيما فكّرتَ فيه و لأنت أعلم بالله و بالأمور منّا.[۲]

و روي ابن أبي شيبة، و الإمام أحمد، و البخاري في تاريخه، و أبو داود، و النّسائي،و ابن جرير و غيرهم عن ابن مسعود قال: أقبلنا من الحديبيّة مع رسول الله ﷺ فبينا نحن نسير إذأتاه الوحي، و كان إذا أتاه اشتدّ عليه، فسري عنه، و به من السّرور ما شاء الله، فأخبرنا أنّه أنزل عليه: «إنّا فتحنا لک فتحاً مبيناً».[۳]

---

۱. سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ۵۳ عن البخاري، ج ۴، ص ۲۶ و ۱۲۵ و عن مسلم، ج ۳، ص ۱۴۱۲.

۲. راجع: سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ۵۸ و ۵۹، و الدرّ المنثور، ج ۶، ص ۶۸، و السيرة الحلبيّة، ج ۳، ص ۲۴، و السنن الكبرى، ج ۶، ص ۳۲۵.

۳. سبل الهدى والرشاد، ج ۵، ص ۶۰ عن البخاري في التفسير، ج ۸، ص ۵۸۲، والبيهقي في الدلائل، ج ۴، ص ۱۵۵، والدر المنثور، ج ۶، ص ۶۸.

نتائج و آثار

إنّ هدنة الحديبيّة كانت فاتحةَ عهد جديد، له خصوصيّاته و كانت له آثاره العميقة في التحوّلات الكبيرة و العامّة، الّتي أكّدت الحاجة إلى طاقات و إمكانات، و كذلك إلى وسائل، ثمّ إلى سياسات و مواقف من نوع آخر غير ما كان الواقع يحتاجه في الظّروف و في الفترة الّتي سبقت الحديبيّة، و إنّ سير الأحداث الّتي تلت هذا الصّلح يُظهر هذه الحقيقة و يفرض على الباحث رؤية جديدة من شأنها أن توفّر له فهماً أعمق و أوضح لتلك الأحداث.

إنّ سورة الفتح و كذلك تصريحات رسول الله صلى الله عليه وآله و نصوص عهد الحديبيّة أظهرت: أنّ الإسلام قد حقّق في الحديبيّة أموراً هامّة و أساسيّة جدّاً لا مجال للتّعرض لها في كتاب كهذا، فلابدّ من الاقتصار على بعضها فنقول:

١. إنّ السّورة قد اعتبرت ما جرى في الحديبيّة فتحاً مبيناً، و صرّح بذلك الرّسول صلى الله عليه وآله و قد أظهرت الوقايع هذا الأمر بصورة جليّة.

٢. لقد أوضحت الآيات: أنّ من جملة ما حقّقه صلح الحديبيّة هو: أنّ الله تعالى قد جعل الأمور باتّجاه أرغم قريشاً على اتّخاذ موقف من شأنه أن يسقط مزاعمها في حقّ رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّ الصّلح قد ركز القناعة بأنّ النّبي صلى الله عليه وآله لم يكن يسعى في قطع الأرحام، و لم يكن يمارس العدوان و البغي، و أنه إنّما يطالب بالكفّ عن الظّلم و عن البغي، و أنّه الوّصول، الودود، الرّحيم، الرّضي، الّذي يتعامل بالصّفح و العفو، حتّى عن أعدى أعدائه.

و هذا هو ما أشار إليه قوله تعالى: «ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك و ما تأخّر...» فقد هيّأ الصّلح قريشاً للإقرار: بأنّ النّبي صلى الله عليه وآله لم يكن مذنباً في حقّها، بل هي سوف تبرؤه من الذّنب، حتّى حين تسير الأمور باتّجاه لا ترضاه.

و بعد ... فإنّنا نستطيع أن نفهم الكثير من نتائج هذه الهدنة من ملاحظة نفس

الشّروط الّتي وضعت في وثيقة الصّلح، منها:

ألف. أنّ الصّلح قد أفسح المجال أمام الكثير من المشركين و المسلمين للتّلاقي في مكّة و في المدينة و غيرهما، و طرح القضايا فيما بينهم على بساط البحث، و التقى الأصدقاءُ و الأهلُ و ذوو الأرحام ببعضهم.

ب. يضاف إلى ذلک: أنّ الكثيرين من المشركين قد شاهدوا عن قربٍ أحوال النّبيّ ﷺ و عاينوا حسن سيرته و حميد طريقته و جميل أخلاقه الكريمة، و عرفوا الكثير عن طبيعة تعاطيه مع القضايا، و أدركوا: أنّ ما يسعى إليه ليس هو التّسلّط على الآخرين و اكتساب الامتيازات على حسابهم، بل هو يريد أن يُحقّق لهم المزيد من الرّفعة و الشّوكة و الكرامة و العزّة، و هذا أمرٌ لم يعرفوه و لم يألفوه في زعمائهم، الّذين يريدون: أن يتّخذوا مال الله دُوَلاً و عباد الله خَوَلاً.

فلابدّ أن تميل نفوسهم إلى الإيمان و يبادر خلق منهم الإسلام و يزداد الآخرون له ميلاً.[1] و كان ذلک أعظم الفتح،فقد دخل الإسلام في تينک السّنتين مثل ما دخل فيه قبل ذلک، بل أكثر.[2]

بل لقد روي عن الإمام الصّادق عليه السلام أنّه قال: فما انقضت تلک المدّة (و هي سنت الهدنة) حتّى كاد الإسلام يستولي على أهل مكّة.[3]

ج . إنّ شروط الصّلح قد مكّنت من إظهار الإسلام في مكّة، بعيداً عن أي ضغوط حتّى النّفسيّة منها، فلم يعد أحدٌ يمنع أحداً من الدّخول في الإسلام، فدخل فيه مَن أحَبَّ، و لم يعد الدّاخل في هذا الدّين يخشى الاضطهاد و الأذى.

و لو أنّ النّبيّ ﷺ اختار طريق الحرب، فإنّ ضرراً بالغاً سوف يلحق بهؤلاء

---

١. مكاتيب الرّسول، ج ٣، ص ٩۴، و شرح صحيح مسلم للنووي، ج ١٢، ص ١۴٠، و سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ٨٠.

٢. تاريخ الأمم و الملوک، ج ٢، ص ٢٨٣، و النصّ و الاجتهاد، ص ١٨٣.

٣. البحار، ج ٢٠، ص ٣۶٣، و إعلام الورى، ص ۶١، و مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ١٧۵، و مكاتيب الرسول، ج ٣، ص ٩۴.

المسلمين المستضعفين؛ لأنّ قريشاً سوف تشتدّ عليهم و لربّما قتلت الكثيرَ منهم.

فكان الصّلح سبباً في حفظ هؤلاء، و هو صلح سعت إليه قريش نفسها و ظهر إعزاز الله تعالى لأوليائه و لدينه.

د. إنّ هذا العهد قد جعل المسلمين في مأمن من جانب قريش، فتفرّغوا لنشر الإسلام في سائر القبائل. فما حققه صلى الله عليه و آله في هذا الصّلح أضعاف أضعاف ما تحقّق في حروبه الدّفاعيّة مع قريش و سواها.

و يكفي للدّليل على ذلک، أنّهم يقولون: إنّ النّبي صلى الله عليه و آله قد بعث بعد الحديبيّة سراياه و بعوثه في مهمّة الدّعوة إلى الله تعالى، فلم تبق كورة و لا مِخْلاف[1] في اليمن، و البحرين. و اليمامة إلّا و فيها رُسُل النّبي صلى الله عليه و آله و النّاس يدخلون في دين الله أفواجاً.[2] و إذا كان قد جاء إلى الحديبيّة بألف و أربع مائه أو نحو ذلک، فإنّه جاء بعد سنتين فقط بعشرة آلاف مقاتل، و فتح الله له مكّة و دخلها من غير قتال.[3]

هـ دخول النّبي صلى الله عليه و آله مكّة في العام التّالي و أداء مناسک العمرة من دون قتال. و هذا يمثّل اعترافاً من قريش بقوّة الإسلام و بأنّ للمسلمين الحقّ في ممارسة شعائر دينهم حتّى في مكّة.

٣. إنّه بعد أن أصبح المسلمون في راحة من جهة قريش راسل صلى الله عليه و آله الملوک من حوله، فأرسل كتبَ الدّعوة إلى الإسلام إلى كسرى و قيصر و المقوقس و غيرهم و كان ذلک بعد الحديبيّة في السّنة السّادسة أو السّابعة بعد الهجرة.[4]

٤. إنّه في ظلّ صلح الحديبيّة انطلق النّبي صلى الله عليه و آله إلى يهود خيبر، الّذين كانوا و ما

---

١. المِخْلاف : الكورة من البلاد و منه مخاليف اليمن.

٢. راجع: مكاتيب الرسول، ج ٣، ص ٩٥.

٣. راجع: البداية و النهاية، ج ٥، ص ٣٥١، و الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١٣٤، و السيرة النبويّة، لابن هشام، ج ٣، ص ٧٨٧.

٤. راجع: مكاتيب الرسول، ج ١، ص ١١٣ عن الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٥٨ و ٢٥٩ و عن الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٨٠، و عن تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٢٨٨.

يزالون يعلنون الحرب على الإسلام و المسلمين، و كان اليهود أكبر قوة ضاربةً في منطقة نقطة الارتكاذ للوجود الإسلامي، فقد كانوا قادرين على تجهيز عشرة آلاف مقاتل من اليهود في المنطقة، فزحف إليهم النّبيّ ﷺ في ألف و أربع مائة مقاتل. هو أمرٌ لم يكن متيسّراً له قبل الحديبيّة، فإنّه لم يكن يستطيع أن يخلّي المدينة من أهلها ليقود جيشاً يجمع فيه كلّ القوى المقاتلة و يترك المدينة من دون قوّة تدافع عنها.

و قد منع عهد الحديبيّة قريشاً من مهاجمتها و من أن تمدّ يدالعون ليهود خيبر و لغيرهم و كانت سائر القبائل القريبة أضعف و أهون من أن يخشى منها أمرٌ من هذا القبيل.

۵. إنّ قريشاً قد اضطرّت إلى الاعتراف بقوّة المسلمين، و أنّها أصبحت متكافئةً معها، و أنّها قوّة لها حضورها و لابدّ أن تتعامل معها معاملة النّد للنّد،ولولا أنّها رأت فيها ذلک لم تقدم على عقد الصّلح معها. و قبل الحديبيّة لم تكن قريش على استعدادٍ للاعتراف بهذا التّكافؤ، بل ظلّت تعتبر المسلمين حالة تمرّد شاذّة لابدّ من السّيطرة عليها و إخضائها.

الفصل الثّامن

غزوة خيبر

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تقديم

إنّ هدنة الحديبيّة قد أعطت الانطباع بأنّ المسلمين قد أصبحوا قوّة كبيرة، فرضوا هيبتهم في المنطقة بأسرها؛ الأمر الّذي دعا قريشاً إلى القبول بالهدنة، بعد أن انهكتها الحروب المتتالية معهم؛ بل إنّه صلى الله عليه وآله أصبح يعمل على نشر دعوته في كلّ بقاع الدّنيا و هو يرسل إلى أعظم ملوك الأرض – طالباً منهم الدّخول في دينه – في خطاب قويّ و حازم.

و لم يعد في المحيط الّذي يعيش فيه قوّة كبيرة متماسكة، يمكن أن يحسب لها حسابٌ إلّا يهود منطقة خيبر، الّذين كانوا قادرين على تجهيز عشرة آلاف مقاتل، و هي قوّة لا يُستهان بها، إذ لديهم حصون منيعة، و قدرات اقتصاديّة، و لسوف تكون المواجهة صعبة معهم.

و كانت استعراضات يهود خيبر لقوّتهم، و ظهور اغترارهم بها، و ركونهم إليها قد لفّتت الأنظار، و لعلّها تركت آثاراً على بعض الضّعفاء في المنطقة مثل غطفان و سواها.

و لكنّ الأمور قد سارت في غير الاتّجاه الّذي توقّعوه، إذ سرعان ما تهاوت أحلامهم، و خابت آمالهم، و أنجز الله تعالى لنبيّه وَعْدَه و نصر جنده و هزم جموع اليهود وحده، و كانت كلمة الله هي العليا، و كلمة الباطل هي السّفلى.

ماذا عن خيبر؟

خيبر اسم منطقة تقع على ثلاثة أيّامٍ من المدينة على يسار الحاجّ القادم من الشّام، و بينها و بين المدينة ثمانية بُرد.[١]

و الخيبر بلسان اليهود هو الحصن و لذا سميّت خيابر أيضاً.[٢] و في هذه المنطقة حصون و مزارع و نخل كثير و توصف خيبر بكثرة التّمر،[٣] و كانت حصونه ثمانية: النَّطاة، و الوَطيح، و السّلالم، و الكتيبة، و الشَّق، و الصَّعب و ناعم و القَموص.

و كان أوّل حصنٍ فتحه رسول الله ﷺ فيها ناعم، ثمّ القموص، ثمّ حصن الصّعب بن معاذ و كان أعظم حصون خيبر و أكثرها مالاً و طعاماً و حيواناً، ثمّ الشّق، و النّطاه، و الكتيبة. فهذه الحصون السّتّة فتحها رسول الله ﷺ عَنوةً،[٤] ثم افتتح الوطيح و السّلالم و هو آخر فتوح خيبر صلحاً، بعد أن حاصرهم.

تاريخ غزوة خيبر

لمّا قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة من الحديبيّة – و ذلک في ذي الحجّة من سنة ستّ – مكث بها عشرين ليلة، أو قريباً منها، ثمّ خرج في المحرّم إلى خيبر.[٥]

قال الواقدي: أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالخروج، فجدّوا في ذلک، و استنفروا

---

١. البريد أربعة فراسخ، و الفرسخ ثلاثة أميال، و كل ميل أربعة آلاف خطوة و كل خطوة ثلاثة أقدام.

٢. راجع: تاريخ الخميس، ج ٢، ص ٤٢، و تهذيب المقال، ج ٥، ص ٤٢١.

٣. راجع: السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٣١، و سبل الهدى و الرشاد، ج ٥، ص ١٥٢.

٤. العَنوَة: أخذ الشّيء قهراً.

٥. و قيل غير ذلک، فعن ابن عباس أنّه أقام بعد الحديبيّة في المدينة عشر ليالٍ (سبل الهدى و الرشاد، ج ٥، ص ١٥٣) و عن سليمان التّيمي: خمسة عشر يوماً (المصدر السابق) و قيل: أقام شهراً و بعض شهر (السيرة الحلبيّة، ج ٣، ص ٣١) . كما أنّهم اختلفوا في الشّهر الّذي وقعت فيه غَزوة خيبر، بين شهر صفر (سبل الهدى و الرّشاد، ج ٥، ص ١٥٢ و المغازي، ج ٢، ص ٦٣٤) و ربيع الأوّل (نفس المصدرين) و جمادي الأولى (تاريخ الخميس، ج ٢، ص ٤٢).

من حوله ممّن شهد الحديبيّة، يغزون معه[1]، و استخلف على المدينة نُمَيْلَةَ بن عبدالله اللّيثي[2] و قيل: سِباع بن عُرْفَة[3] و قيل أباذر.[4]

و قالوا: إنّه ﷺ أقام يحاصر خيبر بضع عشرة ليلة إلى أن فتحها في صفر.[5] و لكنّه غير دقيق، فإنّ حصارها قد تعدّى الأيام إلى الأشهر – كما سنرى – و لعلّه يتحدّث إلى حصار بعض حصونها فقط.

و قد روي عن ابن عباس: أنّه ﷺ أقام بخيبر ستّة أشهرٍ يجمع بين الصّلاتين.[6] و أنّ حساب أيّام الحصار للحصون المختلفة – وفق ما ورد في النّصوص التّاريخيّة و الرّوائيّة – يعطي: أنّ الحصار قد دام عشرات الأيّام و إن لم يصل إلى ستّة أشهرٍ.

وصول رسول الله ﷺ إلى خيبر

ثمّ سار رسول الله ﷺ حتّى انتهى إلى المنزلة و هي سوق لخيبر، و كانت يهود لا يظنّون قبل ذلک أنّ رسول الله ﷺ يغزوهم لمنعتهم و حصونهم و سلاحهم و عددهم. فلمّا أحَسّوا بخروج رسول الله ﷺ إليهم، قاموا يخرجون كلّ يوم عشرة آلاف مقاتل صفوفاً، ثمّ يقولون: محمّد يغزونا؟! هيهات! هيهات! و كان ذلک شأنهم.

فخرج رسول الله ﷺ إليهم، فَعمِّي عليهم مخرجَه، حتّى نزل بساحتهم ليلاً.

---

۱. المغازي، ج ۲، ص ۶۳۴.

۲. سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ۱۱۵ عن ابن هشام.

۳. نفس المصدر، عن أحمد و سعيد بن منصور.

۴. الإمتاع، ص ۳۱۰، و المغازي، ج ۲، ص ۶۳۷.

۵. سبل الهدى و الرّشاد، ج ۵، ص ۱۵۲، و تاريخ الخميس، ج ۲، ص ۴۲.

۶. سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ۱۵۶ عن الطّبراني في الأوسط.

فلمّا أصبحوا و فتحوا حصونهم غادين معهم المساحي و الكرازين و المكاتل،[1] فلمّا نظروا إلى رسول الله ﷺ ولّوا هاربين إلى حصونهم.[2] فقال رسول الله ﷺ — و رفع يديه - : «الله أكبر، خُربت خيبر، إنّا إذا نزلنا بساحة قومٍ، فساء صباحُ المنذَرين».[3]

قال ابن إسحاق و محمّد بن عمروابن سعد: و فرّق رسول الله ﷺ الرّايات — و لم تكن الرّايات إلّا يوم خيبر و إنّما كانت الألوية.[4]

و كانت راية رسول الله ﷺ سوداء من بُرد لعائشة تدعى العقاب، و لواؤه أبيض، دفعه إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام و كان شعارهم: «يا منصورُ أمِتْ».[5]

ولكنّا نقول: أوّلاً، ذكروا أنّ اللّواء الّذي دفعه ﷺ إلى علي عليه السلام يوم خيبر — و كان أبيضاً — كان يقال له: العقاب أيضاً.[6] إلّا يفيد ذلك أنّ اللّواء هو نفس الرّاية؟

ثانياً، قد صرّح الرّوايات: أنّه ﷺ أعطى اللّواء لعلّي عليه السلام في قضيّة قتل مرحب و فتح خيبر، مع أنّ عبارة النّبي ﷺ — الّتي تناقلتها الرّوايات الكثيرة — هي : «لأعطينّ الرّاية غداً رجلاً يحبّ اللهَ و رسولَه...». فلا معنى للتّفريق بين اللّواء و الرّاية.

ثمّ صفّ رسول الله ﷺ أصحابه و وعظهم و نهاهم عن القتال حتّى يأذن لهم.

---

۷. المساحي: جمع مسحاة و هي المجرفة من الحديد، و الكرازين: جمع كرزن و هو الفأس، و المكاتل: جمع مكتل و هو الزّبيل الكبير (النهاية ۲ / ۱۵۰ و ۸/۴ و ۱۴).

۱. سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ۱۱۸، و السيرة الحلبيّة، ج ۳، ص ۳۳، و المغازي، ج ۲، ص ۶۳۷ و ۶۴۲ — ۶۴۳.

۲. هل كان هذا منه ﷺ دعاءً بخراب خيبر، أو أنّه ﷺ قد تفاءل بخرابها حين رأى الفؤوس و المساحي الّتي هي آلة الهدم — كما زعمه بعضهم - ، أو أنّه ﷺ بصدد الإخبار عن خرابها، بقرينة قوله: «انّا اذا نزلنا...»؟ قد يكون هذا الاحتمال الأخير قريباً، ثمّ الاحتمال الأوّل، والله العالم.

۳. سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ۱۲۰ و أخرجه البيهقي في الدّلائل، ج ۴، ص ۴۸.

۴. سبل الهدى و الرّشاد، ج ۵، ص ۱۲۰.

۵. راجع: السيرة الحلبيّة، ج ۳، ص ۳۶.

ثمّ أذن لهم في القتال و حثّهم على الصّبر، و أوّل حصن حاصره حصن ناعم و قاتل صلى الله عليه و آله يومه ذاک أشدّ القتال، و قاتله أهل النّطاة أشدّ القتال.

و جعلت نبل اليهود تخالط العسكر و تجاوزه، و المسلمون يلتقطون نبلهم، ثمّ يردّونها عليهم، فلمّا أمسى رسول الله صلى الله عليه و آله تحوّل إلى الرّجيع و أمر النّاس، فتحوّلوا، فكان رسول الله صلى الله عليه و آله يغدو بالمسلمين على راياتهم حتّى فتح الله الحصن عليهم.

قَتْلُ علي عليه السلام مرحباً

لقد كان بخيبر أربعة عشر ألف يهودي في حصونهم الثّمانية، فجعل رسول الله صلى الله عليه و آله يفتحها حصناً حصناً، و كان من أشدّ حصونهم و أكثرها رجالاً القموص؛[1] بل هو حصن خيبر الأعظم،[2] و قد فتح الله هذا الحصن العظيم على يد علي عليه السلام بعد أن حاصره المسلمون عشرين ليلة.[3]

و قال ابن هشام:[4] إنّ القتال بقي أيّاماً يشتدّ و الرّسول صلى الله عليه و آله يولّي القيادة كلّ يوم رجلا من أصحابه و يرجع خائباً و مضى يقول و يروي عن ابن إسحاق بسنده إلى أبي سلمة بن عمرو الأكوع: أنّه قال: بعث رسول الله أبابكر برايته و كانت بيضاء إلى بعض حصون خيبر، فرجع و لم يصنع شيئاً، ثمّ بعث في اليوم الثّاني عمر بن الخطّاب و كان نصيبه نصيب صاحبه.

و لمّا بلغ الجهد بالمسلمين و نفد أكثر زادهم، قال النّبي صلى الله عليه و آله بصوت رفيع سمعه أكثر المسلمين: «والله لأعطينّ الرّاية غداً رجلاً يحبّ اللهَ و رسولَه و يحبّه اللهُ

---

۱. البحار، ج ۲۱، ص ۲۱ عن إعلام الورى، ج ۱، ص ۲۰۷.

۲. تاريخ الخميس، ج ۲، ص ۴۸، و معجم ما استعجم للبكري الأندلسي، ج ۲، ص ۵۲۲.

۳. راجع: السيرة الحلبيّة، ج ۳، ص ۴۱، و تاريخ الخميس، ج ۲، ص ۴۸، و سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ۱۲۴.

۴. السيرة النبوية، ج ۳، ص ۳۴۹.

و رسولَه» و في لفظٍ: «يفتح الله على يديه، ليس بفرّارٍ ... يأخذها عنوةً».

قال بريدة: فبِتنا طيبة أنفسنا أن يفتح غداً و باتَ الناس يدوكون[۱] ليلتهم أيّهم يُعطاها.

فلمّا أصبح النّاس غدوا على رسول الله ﷺ كلّهم يرجو أن يُعطاها، فما منّا رجلٌ له من رسول الله ﷺ منزلة إلّا و هو يرجوا أن يكون ذلک الرّجل.

و كان علي عليه السلام قد أصيب برمدٍ شديد – كما اتّفقت على ذلک الرّوايات – فاستدعاه النّبي ﷺ، فمسح بيده الكريمة على عينيه، و قيل: تفل فيها، فبرءت من ساعتها، و دعاله و أعطاه الرّاية و وجّهه إلى الحصن.[۲]

قال سلمة بن الأكوع: فانطلق علي عليه السلام يهرول هرولة، و نحن خلفه نتبع أثره، حتّى ركز الرّاية تحت الحصن.

فكان أوّل من خرج إليهم الحارث أبوزينب، أخو مرحب في عاديةٍ،[۳] و كان معروفاً بالشّجاعة، فانكشف المسلمون، و ثبت علي عليه السلام، فاضطربا ضرباتٍ، فقتله علي عليه السلام. و رجع أصحاب الحارث إلى الحصن، و أغلقوا عليهم، و رجع المسلمون إلى موضعهم. فاستعظم ذلک قائدهم مرحب بعد أن شهد مصرع أخيه و هزيمة من معه، فخرج من الحصن و عليه مِغفرٌ معصفر يماني و حجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه و هو يرتجز و يقول:

قد علمت خيبر أنّي مرحب ‌‌‌‌‌‌ شاكي السّلاح بطلٌ مجرّب
إذا اللّيوث أقْبَلَتْ تَلَهَّب ‌‌‌‌‌‌ و أحجمت عن صولة المغلّب

و لم يكن بخيبر أشجع من مرحب، و لم يقدر أحدٌ من أهل الإسلام أن يقاومه

---

۵. بات الناس يدوكون: أي باتوا في اختلاط و اختلافٍ، و الدّوكة: الاختلاط.

۱. راجع: منتخب كنز العمال (مطبوع مع مسند أحمد، ج ۴، ص ۱۲۷ و ۱۲۸، و الصواعق المحرقة، ص ۷۴، و حياة الحيوان، ج ۱، ص ۲۳۷.

۲. أي ممّن يعدّون للقتال على أرجلهم.

في الحرب.[١] فبرز له عليّ بن أبي طالب عليه السلام و هو يرتجز:

أنا الّذي سمّتني أمّي حيدره[٢] كليث غابات كريه المنظرة

ضرب غلامٍ ماجدٍ حَزَوَّرَة أكيلُكم بالسّيف كَيلَ السَّنْدَرَة

فاختلفا ضربتين، فبدره عليّ بضربة (بذي الفقار) فقدّ الحجر و المِغفر و وقع في الأضراس و سمع أهل العسكر صوت ضربته، و لمّا أبصر اليهود فارسهم مرحباً ولّوا منهزمين و استولى المسلمون على الحصن.

---

٣. تاريخ الخميس، ج ٢، ص ٥٠.

٤. قال ثابت بن قاسم: في تسمية علي عليه السلام بحيدرة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّ اسمه في الكتب المتقدّمة أسد، و الأسد هو الحيدرة.

الثّاني: أنّ أمّه فاطمة بنت أسد (رضي الله عنها) حين ولدته، كان أبوه غائباً، فسمّته باسم أبيها، فقدم أبوه فسمّاه عليّاً.

الثّالث: أنّه كان لُقِّب في صغره بحيدرة، لأنّ «الحيدرة» الممتلي لحماً مع عظم بطن و كذلك كان علي عليه السلام (سبل الهدى و الرشاد، ج ٥، ص ١٦٣).

ولكنّ الصّحيح في القضيّة هو ما رواه المفيد: لمّا كان يوم خيبر خرج مرحب و كان طويل القامة، عظيم الهامة، و كانت اليهود تقدّمه لشجاعته و يساره. إلى أن قال: و كانت له ظئرٌ و كانت كاهنة، تعجب بشبابه و عظم خلقه، و كانت تقول له: قاتل كلّ من قاتلك و غالب كل من غالبك إلّا من تسمّى عليك بـ «حيدرة» فإنّك إن وقفت له هلكت.

فلمّا ارتجز عليه السلام يوم خيبر بـ «أنا الّذي سمتني أمّي حيدره...» و سمعها منه مرحب، هرب و لم يقف ، خوفاً ممّا حذرته منه ظئره. فتمثّل له إبليس في صورة حبر من أحبار اليهود، فقال: إلى أين يا مرحب؟ فقال: قد تسمّي على هذا القرن بحيدرة!! فقال له إبليس: فما حيدرة؟ فقال: إنّ فلانة ظئري كانت تحذّرني من مبارزة رجل اسمه حيدرة و تقول: إنّه قاتلك. فقال له إبليس: شوهاً لك، لو لم يكن حيدرة إلّا هذا وحده لما كان مثلك يرجع عن مثله تأخذ بقول النّساء، و هنّ يخطئن أكثر ممّا يصبن؟! و حيدرة في الدّنيا كثيرٌ، فارجع فلعلّك تقتله... فردّه، فو الله ما كان إلّا كفواق ناقة حتّى ضربه علي عليه السلام ضربةً سقطها منها لوجهه و انهزم اليهود يقولون: قتل مرحب، قتل مرحب (البحار، ج ٢١، ص ٩ عن الأمالي للمفيد، و أمالي الطوسي، ص ٤، و مدينة المعاجز، ج ١، ص ١٧٨).

عليّ عليه السلام قالع باب خيبر

و قالوا أيضاً: «و قتل عليّ يومئذ ثمانية من رؤسائهم، و فرّ الباقون إلى الحصن، فتبعهم المسلمون؛ فبينما علي عليه السلام يشتدّ في أثرهم، إذ ضربه يهودي على يده ضربة سقط منها التُّرس، فبادر يهودي آخر، فأخذ التّرس، فغضب علي عليه السلام فتناول باب الحصن، و كان من حديد، فقلعه و تترّس به عن نفسه».[1]

روي ابن إسحاق عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله قال: .... فلم يزل في يده، و هو يقاتل، حتّى فتح الله تعالى عليه الحصن، ثمّ ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتُني في نفر سبعة أنا ثامنهم، نجهد على أن نَقْلب ذلک الباب فما نَقْلبه.[2]

و عن زرارة، عن الباقر عليه السلام : «انتهى إلى باب الحصن، و قد أغلق الباب في وجهه، فاجتذبه اجتذاباً و تترّس به، ثم حمله على ظهره و اقتحم الحصن اقتحاماً و اقتحم المسلمون و الباب على ظهره .... ثمّ رمى بالباب رمياً...».[3]

و قال القسطلاني: «قلع عليّ باب خيبر و لم يحرّكه سبعون رجلاً إلّا بعد جُهد».

و في شواهد النّبوّة: روي أنّ علياً عليه السلام بعد ذلک حمله على ظهره و جعله قنطرةً حتّى دخل المسلمون الحصن.[4]

و هذا إشارة إلى وجود خندق كان هناک، فلمّا أغلقوا باب الحصن صار أميرالمؤمنين عليه السلام إليه فعالجه حتّى فتحه، و أكثر النّاس من جانب الخندق لم يعبروا معه، فأخذ أميرالمؤمنين عليه السلام باب الحصن فجعله على الخندق جسراً لهم، حتّى عبروا، فظفروا بالحصن و نالوا الغنائم.

---

۱. تاريخ الخميس، ج ۲، ص ۵۱.

۲. السيرة النبوية لابن هشام، ج ۳، ص ۳۴۹ – ۳۵۰.

۳. البحار، ج ۲۱، ص ۲۲ عن إعلام الورى، ج ۱، ص ۲۰۷.

۴. تاريخ الخميس، ج ۲، ص ۵۱، و راجع: تحف العقول، ص ۳۴۶.

فلمّا انصرفوا من الحصن أخذه أميرالمؤمنينعليه السلام بيمناه، فدحا به أذرعاً من الأرض، و كان الباب يغلقه عشرون رجلاً.[۱] *

ما قلعته بقوّة جسمانيّة

ثمّ إنّهم قد رووا أيضاً: أنّ علياًعليه السلام قال: «ما قلعت باب خيبر بقوّة جسمانيّة ولكن بقوّة إلهيّة».[۲]

و في نصّ آخر: أنّ عمر سئل علياًعليه السلام قال: يا أباالحسن، لقد اقتلعت منيعاً، و أنت ثلاثة أيّامٍ خميصاً،[۳] فهل قلعتها بقوّة بشريّة؟ فقالعليه السلام : «ما قلعتها بقوّة بشريّة، ولكن قلعتها بقوّة إلهيّة و نفسٍ بلقاء ربّها مطمئنّة رضيّة».[۴]

و نقول:

۱. بالرّغم من أنّ علياًعليه السلام قد حقّق أعظم إنجازٍ بفتح خيبر و بقلع باب حصنها... فإنّه لا ينسب ذلک إلى نفسه، و لا يدّعي أنّه قد فعل ذلک بقوّته الشّخصيّة و بقدرته الذّاتيّة، بل هو قد نسب ذلک إلى قدرة الخالق جلّ و علا، و

---

۵. البحار، ج ۲۱، ص ۱۶، و ج ۴۱، ص ۲۸۱، و الإرشاد للمفيد، ج ۱، ص ۱۲۸ و عن مناقب آل أبي طالب، ج ۲، ص ۱۲۶، و مدينة المعاجز، ج ۱، ص ۱۷۵.

* و قد يقال: إنّ اختلاف الرّوايات في عدد الذين جرّبوا حمل ذلک الباب بين ثمانية رجال و أربعين و سبعين و... دليل على عدم صحّة الرّواية و على أنّ ثمّة من يتعمّد الكذب في هذا الأمر.

غير أنّا نقول: إنّ الاختلاف الّذي يضرّ هو ذلک الّذي يشير إلى تناقض لا مجال للخروج منه، ولكنّ الأمر هنا ليس كذلک، إذ لعلّ جميع هذه الرّوايات صحيحة على اعتبار: أنّ محاولات حمل أو قلب ذلک الباب قد تعدّدت و فشلت كلّها، فأخبر كل واحدٍ من الرّواة عن الواقعة الّتي رآها.

۱. تاريخ الخميس، ج ۲، ص ۵۱، عن شرح المواقف.

۲. الخَمْصَة: الجَوعة. يقال: هو خميص الحشى، أي ضامر البطن.

۳ البحار، ج ۲۱، ص ۴۰ عن مشارق أنوار اليقين.

بذلك يكون قد لقّن نفسه و علّم الناس بصورة عمليّة درساً في هضم النّفس و في التّواضع لله عزّوجلّ، و الاستكانة و الخضوع له.

٢. إنّه بذلك يكون قد أبعد النّاس عن الغلوّ فيه، من حيث إنّه قد أفقدهم أي مبرّر لذلک، و قد كانعليه السلام متهمّاً بالحفاظ على صفاء الفكر و نقاء العقيدة لدى كلّ الآخرين،و قد عرّفهم أيضاً: أنّ الأمور لا تؤخذ على ظاهرها، بل لابدّ من التأمّل و التّدبّر فيها و وضع الأمور في مواضعها الصّحيحة.

٣. إنّه عليه السلام قد أوضح: أنّ الإطمينان إلى لقاء الله سبحانه و الرّضا به هو العنصر المؤثّر على صعيد التّضحية و الجهاد؛ أمّا إذا بقي الإنسان متعلّقا بالدّنيا و مخلّداً إلى الأرض، فإنّه لن يتمكّن من تحقيق شيء، بل هو سوف يبقى يعيش الضّعف و الهروب و الفشل الذّريع و الخيبة القاتلة و الخزي في الدّنيا، و الخسران في الآخرة.

استقبال النّبيّ ﷺ لعلي عليه السلام بعد الفتح

و لمّا بلغ النّبيّ ﷺ فتح خيبر سرّ بذلک غاية السّرور، فاستقبل عليّاً عليه السلام و اعتنقه و قبّل بين عينيه و قال: «بلغني نبؤک المشكور و صنعک، رضي الله عنک و رضيت أنا منک».[١] فبكى علي عليه السلام فقال له: مايبكيک يا علي؟ قال: فرحاً بأنّ الله و رسوله عَلَيّ راضيان.[٢]

و عن علي عليه السلام، قال: قال لي رسول الله ﷺ يوم فتحت خيبر: لو لا أن تقول طائفة من أمّتي مقالة النّصارى في عيسى بن مريم عليه السلام لقلت فيک اليوم مقالاً لا تمرّ بملأٍ من المسلمين إلّا أخذوا من تراب رجليک، و فضل طهورک يستشفون به، و لكن حسبک أن تكون منّي و أنا منک.[٣]

١. معارج النبوّة (الركن الرابع)، ص ٢١٩.

٢. البحار، ج ٢١، ص ٢٢.

٣. ينابيع المودة (ط. بمبي) ، ص ٥٢.

فالنّبي صلى الله عليه و آله يصرّح هنا: بأنّه قد خشي من غلوّ بعض النّاس في علي عليه السلام و أن يقولوا فيه كما قالت النّصارى في عيسى عليه السلام، فكان ذلک هو المانع له عن أن يقول فيه مقالته.

و إنّ هذا يدلّ على أنّ النّاس ما كانوا في المستوى المطلوب فيما يرتبط بوعيهم لقضايا العقيدة و حدودها، فكانت البيانات النّبويّة تراعي حالهم، فلا تصرّح لهم إلّا بالمقدار الّذي لا يوجب أيّة سلبيّة من هذه النّاحية.

خيبر بين الفتح و الصّلح

و روي أكثر المؤرّخين: أنّ عليّاً عليه السلام بعد أن قتل مرحباً و أخاه، استولى الخوف على اليهود و أحسّوا بأنّه أسقط في أيديهم و أنّ المسلمين سيأسرونهم و يقتلونهم إن هم ظلّوا على موقفهم، فطلبوا الصّلح من النّبي صلى الله عليه و آله، فأجابهم إلى ذلک بعد أن استولى على أموالهم و أبقاهم يعملون في الأرض على أن يكون لهم نصف ثمرها مقابل عملهم.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

موقف النّبيّ صلى الله عليه و آله من يهود فدک

لمّا فرغ رسول الله صلى الله عليه و آله من خيبر عقد لواءً، ثمّ قال: مَن يقوم إليه، فيأخذه بحقّه، و هو يريد أن يبعث به إلى حوائط فدک. فقام الزّبير إليه، فقال : أنا. فقال: أمِطْ عنه.[1] ثمّ قام إليه سعد، فقال: أمِطْ عنه. ثمّ قال صلى الله عليه و آله: يا علي قم إليه فخذه. فأخذه فبعث به إلى فدک[2]، فصالحهم على أن يحقن دماءهم. فكانت حوائط

---

۱. أماط عن كذا: تنحّى و ابتعد.

۲. فدک قرية بالحجاز بينها و بين المدينة يومان و قيل ثلاثة، أفاءها الله على رسوله في سنة سبع للهجرة صلحاً، فكانت خالصةً له صلى الله عليه و آله و فيها عين فوّارة و نخل كثير. روي عبدالله بن حماد

فدک لرسول الله صلى الله عليه وآله خاصّاً خالصاً.

فنزل جبرئيل، فقال: إنّ الله عزّوجلّ يأمرک أن تؤتی ذاالقربی حقّه.

قال: يا جبرئيل، و من قرباي و ما حقّها؟ قال: فاطمة فأعطها حوائط فدک و مالله و لرسوله فيها.

فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة، و کتب لها کتاباً، جاءت به بعد موت أبيها إلی أبي بکر و قالت: هذا کتاب رسول الله لي ولابنيّ[1]

و قال ابن إسحاق: «لمّا سمع أهل فدک بما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله بأهل خيبر، بعثوا إلی رسول الله صلى الله عليه وآله يسئلونه أن يسيرهم و يحقن لهم دماء هم و يُخَلّون له الأموال، ففعل، فکانت خيبر فيئاً بين المسلمين و فدک خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله، لأنّهم لم يجلبوا عليها بخيلٍ و لا رکاب».

و قد أصبحت مسئلة فدک من المسائل الحسّاسة عبر التاريخ و صارت تمثّل ميزان الحرارة الّذي يعطي الانطباع عن طبيعة العلاقة بين الحکّام و بين أهل البيت عليهم السلام و شيعتهم، فکانت تارة تؤخذ منهم و تارة تردّ إليهم، کما يظهر من مراجعة کتب التّاريخ؛ بل صارت من العناوين الکبيرة لقضيّة الإمامة.

قدوم جعفر من الحبشة

کان رسول الله صلى الله عليه وآله قبل مسيره إلی خيبر أرسل عمر و بن أميّه الضّمري إلی النّجاشي، عظيم الحبشة و طلب منه أن يحمل إليه جعفراً و أصحابه. فجهّز

الأنصاري أنّ دخلها کان أربعة و عشرين ألف دينارٍ في کلّ سنة (البحار، ج ۱۷، ص ۳۷۹ و ج ۲۹، ص ۱۱۶، و مستدرک سفينة البحار، ج ۸، ص ۱۵۲ و ج ۹، ص ۴۷۸) و في رواية غيره سبعين ألف دينار (کشف المحجة،ص۱۲۴،وسفينة البحار،ج۷،ص۴۵)

۱. البحار، ج ۲۱، ص ۲۲ و ۲۳، و إعلام الوری، ج ۱، ص ۲۰۹، و مکاتيب الرسول، ج ۱، ص ۲۹۱.

النّجاشي جعفراً و أصحابه بجهازٍ حسن، و أولاهم بكسوة و حملهم في سفينتين،[١] و كانوا ستّة عشر نفراً، سوى من توفّي، أو رجع قبل ذلك.[٢]

و رجعوا في اليوم الّذي تمّ فيه فتح المسلمين لخيبر، فبعث رسول الله صلی الله علیه و آله مولاه أبا رافع يتلقّاه،[٣] و لمّا رآه قام إليه و استقبله اثنتي عشر خطوة[٤] ضمّه النّبي صلی الله علیه و آله إلى صدره و قبّل ما بين عينيه و قال: «لا أدري بأيّهما أنا أشدّ فرحاً، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟»[٥]

فتح خيبر و قدوم جعفر، مترابطان

روي عن الإمام الصّادق عليه السلام أنّه قال: ما مرّ بالنّبي صلی الله علیه و آله يوم كان أشدّ عليه من يوم خيبر، و ذلك أنّ العرب تباغت عليه،[٦] و قد بلغ جمعهم أربعة عشر ألف مقاتل.

لقد كان فتح خيبر أمراً مهمّاً للغاية؛ لما كان له من تأثيرٍ بالغ في بعث اليأس في قلوب كلّ القوى المناوئة للإسلام في الجزيرة العربيّة كلّها، و كان قدوم جعفر و من معه من أرض الحبشة هو التّعبير الواضح عن هذه المرحلة و عن آثار هذا الحسم العسكري العظيم.

و قد اعتبر رسول الله صلی الله علیه و آله نفس قدوم جعفر، هو الأمر الّذي لا يضاهى من حيث أهميّته و قيمته و هو الموجب لفرحه صلی الله علیه و آله بدرجة فرحه بفتح خيبر.

---

٢. راجع: الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٠٨ و ٢٥٩، و ج ٤، ص ٣٤٩، و البحار، ج ٢١، ص ٢٣، و مكاتيب الرسول، ج ٢، ص ٤٤٥ و ٤٥٠.

٣. السيرة النبوية لابن هشام، ج ٤، ص ٨، و البداية و النهاية، ج ٤، ص ٢٠٦ و ٢٠٧.

١. شرح النهج للمعتزلي، ج ١٩، ص ١٣٣؛ و غريب الحديث لابن قتيبة، ج ١، ص ٣٣٥.

٢. الخصال، ج ٢، ص ٤٨٤، و عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٣١.

٣. السيرة النبوية لابن هشام، ج ٣، ص ١٩٩، و روض الجنان، ص ٣٢٧.

٤. علل الشرايع، ج ٢، ص ١٧٢، و البحار، ج ٢١، ص ١٣ و ١٨٠.

و نفس القدوم هو المفرّح للنّبي ﷺ و لذلک لم يذكر أنّ سلامة جعفر مثلاً هي سبب سروره، و لا أشار لاي شيء آخر، فمجرّد قدوم هذا الإنسان يوازي فتح خيبر، أو هو أعظم و أهمّ من ذلک عند الله و رسوله، مع أنّ ذلک الفتح قد استوجب جُهداً و جهاداً، و قُدِّمَ فيه شهداء.

و لا نجد في جعفر أيّة خصوصيّة توجب منحه هذا الوسام، إلّا أنّه ذلک الإنسان الإلهي الّذي جَسّدَ حقايق الإسلام في عمق وجوده و ذاته، لتصبح تلک الحقايق عقله و وعيه و خلقه و حركته و موقفه، و يصبح كلّ وجوده فانياً في الإسلام، و يصبح كلّ الإسلام متجسّداً فيه.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل التّاسع

سريّة مؤته

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أوّل بعث إلى خارج الجزيرة

ذكر بعضهم: أنّ بعث مؤته كان أوّل بعث يرسله النّبيّ صلّی الله علیه و آله إلى خارج الجزيرة العربيّة و داخل الأراضي الشّاميّة، التّابعة للرّوم. [1]

و المعروف بين أهل المغازي أنّ سريّة مؤتة كانت سنة ثمان، و قد اختلف المؤرّخون في الدّوافع إلى هذه السّريّة، فقال بعضهم: إنّ الدّافع إليها هو الانتقام للحارث بن عمير الأزدي، و كان قد وجّهه النّبيّ صلّی الله علیه و آله بكتاب إلى ملك بصري، فلمّا نزل مؤته تعرّض له شرحبيل بن عمروالغسّاني و هو من أمراء قيصر على الشّام، و قال له: أين تريد؟ فقال : الشّام. قال: لعلّك من رسل محمّد؟ قال: نعم، فأوثق رباطاً، ثمّ قدّمه، فضرب عنقه صبراً.

فبلغ رسول الله صلّی الله علیه و آله الخبر، فاشتدّ عليه و أرسل هذا الجيش المؤلّف من ثلاثة آلافٍ للاقتصاص من ذلك الوالي. [2]

---

١. الكتاب السّابع من معارك الإسلام الفاصلة : غزوة مؤتة، ص ٥. و لكن قد روي المؤرّخون أنّ سريّة أخرى كانت قد قصدت ذات أطلاح و هي من أرض الشّام، و هي في البلقاء من الأردن و هذه المناطق كانت تحت سيطرة الرّوم؛ كما أنّ غزوة دومة الجندل قد حصلت قبل سريّة مؤته بزمان و تقع دومة الجندل على خمس ليالٍ من دمشق، و على خمس عشرة ليلة من المدينة أوسطّ عشرة، فهي من أعمال الشّام (راجع: وفاء الوفاء، ج ۴، ص ۱۲ و ۱۳ و الطبقات الكبرى، ج ۲، ص ۶۳) فلا يصحّ قوله: إنّ غزوة مؤتة هي أوّل بعث يرسله صلّی الله علیه و آله إلى خارج جزيرة العربيّة و داخل الأراضي الشاميّة التابعة للرّوم.

٢. راجع: المغازي للواقدي، ج ۲، ص ۷۵۵ و ۷۵۶، و الطبقات الكبرى، ج ۲، ص ۱۲۸ و

و قيل : إنّ سبب سريّة مؤتة هو قتل أربعة عشر رجلاً من المسلمين على يد العرب المنتصرة في سريّة ذات أطلاح جنوب الشّام في منطقة البلقاء بالأردن، و كان يحكمها الحارث بن أبي شمر الغسّاني باسم ملك الرّوم.

و بعد قتلهم أطلق الحارث هذا تهديدات بغزو النّبيّ ﷺ [١]، فبادر ﷺ إلى تجهيز هذا الجيش ردّاً على هذه التّهديدات.

و نقول: إنّ الّذين قتلوا الأربعة عشر رجلاً هم من قضاعه، لامن الغساسنة، و رئيسهم رجلّ يقال له: سَدوس و ليس هو الحارث بن أبي شمر الغسّاني، و أمّا التّهديدات المشار إليها فلا تصلح مبرّراً لإرسال الجيش، إلّا إذا أريد به تسديد ضربة استباقيّة، يؤخذ العدوّ فيها على حين غرّة، و من الواضح أنّ الأمور لم تجر على هذا النّحو.

إنّ ما يدعوا إلى التّأمّل: هو أن يكون الجيش الّذي واجهه المسلمون في مؤتة بهذه الأعداد الضّخمة، تحتاج إلى وقت طويل و جُهد كبير لجمعها و إعدادها.

كما أنّ جيشاً بهذا المستوي لا يُعدّه هِرقل لمحاربة جماعة صغيرة لم تستطع أن تجهز لأكبر حربٍ خاضتها أكثر من ألف و خمسمائة مقاتل؛ بل هو يعدّه لمحاربة جيوش ضخمة و مَن هو مثل كسرى في سعة الملک و كثرة الرّجال و التوفّر على الأموال الّتي تمكّنه من التجهيزات المتميّزة.

و هذا يعطينا: أنّ هذا الجيش لم يجهّزه قيصر لمجرّد دفع غائلة سريّة مؤتة، بل لعلّه أراد به الإنقباض على منطقة الحجاز بأسرها للقضاء على دعوة الإسلام و احتلال جزيرة العرب كلّها في وقت كان يرى فيه انشغال المسلمين بحرب المشركين و يهود المنطقة.

و لو كان يرتبط جمع الجموع بدفع سريّة مؤته بسبب مافعله شرحبيل بن

السيرة الحلبيّة، ج ٣، ص ٦۶، و تاريخ الخميس، ج ٢، ص ٧٠ ، و البحار، ج ٢١، ص ٥٨ و ٥٩.

١. الكتاب السّابع من معارک الإسلام الفاصلة، غزوة مؤته، ص ٢٥٣.

عمرو الغسّاني، فلماذا يكون العنوان المطروح بين المسلمين هو أنّهم: يسيرون لمحاربة ملک الرّوم.

و النّبي ﷺ كان على علم تامّ بتحرّكات قيصر و بمقاصده و أنّ قتل الحارث بن عمير الأزدي كان هو الإشارة للمسلمين، الّتي جعلتهم قادرين على تلمّس خطورة الأمر و شَحَذَت[١] هممهم للنّفير لمواجهة الخطر المحدق بطريقة توجب تشويش الأمور على قيصر، و تمنعه من متابعة مسيرته، و تحجب عنه فرصة اتّخاذ القرار النّهايي بالتّوغّل إلى عمق منطقة الحجاز.

فسريّة مؤتة رغم أنّها لم تسر وفق ما يريده الله و رسوله باعتبار أنّ خالداً قد انهزم بالجيش بعد قتل قادته الثلاثة، إلّا أنّها حقّقت – و لا شكّ- الحدّ الأدنى من أهدافها، و لو لا الهزيمة الّتي جَرَّها خالد عليهم، فلربّما يكون إنجازها هائلا و عظيماً، ليس بإمكاننا التَّكَهُّن بحدود عظمته و بمدى أهميّته.

جعفر هو الأمير الأوّل

إنّ غالب محدّثي أهل السنّة قالوا: بأنّه ﷺ قد أمّر على السّريّة زيداً أوّلاً، قال: إن أُصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على النّاس؛ فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحه على النّاس. و لكنّ الصّحيح هو أنّ الأمير الأوّل كان جعفر بن أبي طالب، كما ذهب إليه الشّيعة.

قال ابن أبي الحديد المعتزلي: «اتّفق المحدّثون على أنّ زيد بن حارثة كان هو الأمير الأوّل، و أنكرت الشّيعة ذلک و قالوا: كان جعفر بن أبي طالب هو الأمير الأوّل، فإن قتل فزيد بن حارثة، فإن قتل فعبد الله بن رواحة. و رووا في ذلک روايات، و قد وجدت في الأشعار الّتي ذكرها محمد بن إسحاق في كتاب المغازي

---

١. شحذ السّكين و نحوه: أحَدّه، و شحذه ببصره: أحدّه إليه و رماه به.

ما يشهد لقولهم...».[1]

بل يمكن أن يستظهر ذلک من قول اليعقوبي، حيث قال: «و وجّه جعفرَ بن أبي طالب، و زيد بن حارثة و عبدالله بن رواحة في جيش إلى الشّام لقتال روم سنة ۸».[2]

و الرّوايات الّتي أشار إليها ابن أبي الحديد كثيرة و قد قال السّيد شرف الدّين في هذا المقام: إنّ «أخبارنا في هذا متظافرة من طريق العترة الطّاهرة».[3] منها رواية أبان عن الصّادق عليه السلام أنّه قال: «إنّه استعمل عليهم جعفراً، فإن قتل فزيدٌ، فإن قتل فابن رواحه...».[4]

و الشّعر الّذي أشار إليه ابن أبي الحديد هو ما أنشد حسّان بن ثابت في رثاء شهداء مؤتة، فكان من جملة ما قال:

فلا يُبْعِدَنّ الله قَتْلَى تتابعوا بمؤتَةَ، منهم ذوالجناحين جعفر
و زيد و عبدالله حيث تتابعوا جميعاً، و أسباب المَنِيَّة تَخْطِر[5]
غَداةَ مَضَوا بالمؤمنين يقودهم إلى الحرب ميمون النّقيبة أزهر[6]
أغرّ كضوء البدر من آل هاشم أبِيٌّ إذا سيم الضّلالة مِجْسَرُ[7]

حيث لم يكتف في هذا الشّعر بذكر التّتابع: جعفر، فزيد، فابن رواحد؛ بل صرّح

۱. شرح النهج، ج ۱۵، ص ۶۲.
۲. تاريخ اليعقوبي، ج ۲، ص ۶۵.
۳. النّص و الاجتهاد، ص ۲۸.
۴. مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب، ج ۱، ص ۲۰۵، و البحار، ج ۲۱، ص ۵۵.
۵. تخطر: تغتال و تهتزّ.
۶. ميمون النّقيبة، مسعود الجدّ؛ و أزهر: أبيض.
۷. أبي: عزيز الجانب، و سيم : كُلِّف و حُمّل (بالبناء للمجهول فيهما) و المجسر: المقدام الجسور.

بأنّ القائد لهم إلى الحرب ميمون النّقيبة، أزهر، أغرّ، من آل هاشم، و هو جعفر رضوان الله تعالى عليه.

المسلمون في مؤتة

قالوا: و لمّا فصل المسلمون من المدينة سمع العدوّ بمسيرهم، فتجمّعوا لهم و قام فيهم بشرحبيل بن عمرو، فجمع أكثر من مائة ألف و قدّم الطّلائع أمامه.[1]

فلمّا نزل المسلمون وادي القرى، بعث أخاه سُدوس بن عمرو في خمسين من المشركين، فاقتتلوا، و انكشف أصحاب سُدوس و قد قتل، فشخص أخوه، و عند الواقدي: «و خاف شرحبيل و دخل حصناً فتحصّن و بعث أخاله يقال له: «وَبَر بن عمرو»[2] إلى هِرَقْل يستمدّه فبعث هرقل زهاء مأتي ألف».[3]

و مضى المسلمون حتّى نزلوا مَعان من أرض الشّام، و بلغ النّاس أنّ هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الرّوم، و انضمّ إليهم مائة ألف أخرى من لَخْم و جُذام و بَكْر و وائل و قبائل قُضاعه من بلقين[4] و بَهْراء و بَلِي.

و قيل: كانوا مائتي ألف من الرّوم و خمسين ألفاً من قبائل العرب المنتصره و معهم من الخيول و السّلاح ما ليس مع المسلمين.

فلمّا بلغ ذلک المسلمين أقاموا على مَعان ليلتين يفكّرون في أمرهم، و قالوا: نكتب إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله فنخبره بكثرة عدوّنا، فإمّا أن يُمدّنا بالرّجال و إمّا أن يأمرنا بأمرٍ فنمضي له.

---

۱. راجع: الرّوض الأنف، ج ۴، ص ۱۳۲، و سبل الهدى و الرشاد، ج ۶، ص ۱۴۸ و السيرة الحلبية، ج ۲، ص ۶۶.

۲. المغازي، ج ۲، ص ۷۶۰، و تاريخ الخميس، ج ۲، ص ۷۱.

۳. سبل الهدى و الرشاد، ج ۶، ص ۱۴۸، و تاريخ الخميس، ج ۲، ص ۷۱.

۴. و الظّاهر أنّ الصحيح «القين» كما في السّيرة النبوية لابن هشام.

فشجّع النّاسَ عبدالله بن رواحة، فقال: «يا قوم، والله إنّ الّتي تكرهون، للّتي خرجتم تطلبون: الشهادة. و ما نقاتل النّاس بعدد و لا قوّة و لا كثرة، و ما نقاتلهم إلّا بهذا الدّين الّذي أكرمنا الله به، فانطلقوا، فإنّما هي إحدى الحسنيين؛ إمّا ظهور و إمّا شهادة و ليست بشرّ المنزلتين». فقال النّاس: صدق و الله ابن رواحة.[١]

فمضى النّاس حتّى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الرّوم و العرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها: مَشارِف.[٢] ثمّ دنا العدوّ، و انحاز المسلمون إلى قرية يقال لها: مؤته فالتقى النّاس عندها، فتعبّأ لهم المسلمون، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من عُذْرَة و على ميسرتهم رجلاً من الأنصار.

قال ابن إسحاق: ثمّ التقى النّاس، و اقتتلوا قتالاً شديداً، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتّى شاط[٣] في رماح القوم؛ ثمّ أخذها جعفر بن أبي طالب، فقاتل بها، حتّى إذا ألحمه[٤] القتال اقتحم عن فرس له شقراء فَعَرْقَبَها،[٥] ثم قاتل القوم حتّى قتل، فكان جعفر أوّل رجل من المسلمين عرقب فرساً في سبيل الله.[٦]

---

١. أسد الغابة، ج ٣، ص ١٥٨ ، و عن إعلام الورى، ج ١، ص ٢١٢ و ٢١٣.

٢. تنسب إليها السّيوف المَشْرِفيّة حيث يقال: إنّها طبعت لسليمان عليه السلام بها. راجع: معجم البلدان، ج ٥، ص ١٣١ و ٢٢٠.

٣. يقال شاط الرّجل: إذا سال دمه فهلك.

٤. ألحمه القتال: نشب فيه فلم يجد مخلصاً، و اقتحم عن فرس له: رمى بنفسه عنها.

٥. عرقب الدّابة: قطع عرقو بها و هو الوتر الّذي بين مفصل السّاق و القدم. و في بعض النصوص: أنّه عقر فرسه: أي ضرب قوائمها و هي قائمة بالسّيف، و لعلّ الثّاني هو الأولى و الأقرب إلى الصّحة، لأنّ عرقبة الفرس لا تناسب مع ما ورد من النّهي الشّرعي عن إيذاء الحيوان و نحن نجلّ جعفراً عن الإقدام على عملٍ نهي عنه الشّارع و يأباه الخَلق الإنساني الرّفيع. بل هناك نصّ عن رسول الله ﷺ يتعرّض لنفس هذا المعنى، فقد روي عنه ﷺ قوله: «إذا حرنت على أحدكم دابّة في أرض العدوّ فليذبحها و لا يعرقبها» (الوسائل، ج ١٦، ص ٣٠٧ و ٣٠٨، و ج ٨، ص ٣٩٦، و ج ٥، ص ٥٢.

٦. سبل الهدى و الرشاد، ج ۶، ص ١٤٨، و المغازي للواقدي، ج ٢، ص ٧٦١.

قال ابن هشام: «و حدّثني مَن أثق به من أهل العلم: أنّ جعفر بن أبي طالب أخذ اللّواء بيمينه فَقُطّعت، فأخذه بشماله فَقُطّعت، فاحتضنه بعَضُدَيْه حتّى قتل «رحمه الله تعالى» و هو ابن ثلاث و ثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنّة يطير بهما حيث شاء...».[1]

عن أبي جعفر عليه السلام: «أصيب يومئذ جعفر، و به خمسون جراحاً، خمس و عشرون منها في وجهه».[2]

فلمّا قتل جعفر، أخذ الرّاية عبدالله بن رواحة، ثم تقدّم بها و هو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه و يتردّد بعض التّردّد، ثمّ قال:

أقسمت يا نفس لَتَنْزِلَنّه ٭ طائعة أو لتكرهنّه

إن أجلب النّاس و شدّوا الرّنّة ٭ مالي أراك تَكْرهين الجنّة[3]

قد طال ما قد كنتِ مطمئنّة ٭ هل أنتِ إلّا نطفةٌ في شَنّة[4]

ثم تقدّم فقاتل حتّى قتل، و وقع اللّواء من يده، فاختلط المسلمون و المشركون و انهزم بعض النّاس، فجعل قطبة بن عامر يصيح: يا قوم، يقتل الرّجل مقبلا أحسن من أن يقتل مدبراً، فبادر خالد بن الوليد، فأخذ الرّاية و انهزم بها و تبعه سائر النّاس، ولكن هناك من سعى لتزوير الحقيقة و إيهام النّاس بعكسها، فادّعوا: أنّ الّذي حصل على يد خالد هو أحد الأمرين: إمّا مجرّد الإنحياز و المحاشاة، ثم الإنصراف؛ و إمّا النّصر و الفتح.

فقد ذكر ابن إسحاق: أنّه لم يكن إلّا المحاشاة و التّخلّص من أيدي الرّوم الّذين

---

١. السيرة النبويّة، ج ۴، ص ۲۰.

۲. البحار، ج ۲۱، ص ۵۶ عن إعلام الورى، ص ۱۱۰ و ۱۱۱.

۳. أجلب القوم: صاحوا و اجتمعوا، والرّنّة: صوت فيه ترجيع شبه البكاء.

۴. النّطفة: الماء القليل الصّافي. و الشّنّة: السّقاء البالي، أي: فيوشك أن تهراق النّطفة أو ينخرق السقّاء. ضرب ذلك مثلاً لنفسه في جسده.

كانوا مع من انضمّ إليهم أكثر من مائتي ألف، و المسلمون ثلاثة آلاف.

و على هذا سُمّي هذا نصراً و فتحاً باعتبار ما كانوا فيه من إحاطة العدوّ و تراكمهم و تكاثرهم عليهم و كان مقتضي العادة أن يُقتَلوا بالكليّة.[۱]

مع أنّ هناك طائفة من الدلائل و الشواهد على أنّ الأمر لم يكن كما زعموا، فلاحظ ما يلي:

۱. حدّث رجل من بني مُرّة كان في الجيش: أنّه لما قتل ابن رواحة، نظرت إلى اللّواء قد سقط، و اختلط المسلمون و المشركون، فنظرت إلى اللّواء في يد خالدٍ منهزماً، و اتّبعناه فكانت الهزيمة.[۲]

۲. يروي الواقدي عن محمّد بن صالح عن رجل من العرب عن أبيه: أنه لمّا قتل ابن رواحة انهزم المسلمون أسوأ هزيمة رأيتها قطّ في كلّ وجه، ثم تراجعوا، و كان ثابت بن أقرم قد أخذ اللّواء ... ثمّ أعطاه لخالد، فأخذه خالد، فحمله ساعة، و جعل المشركون يحملون عليه، فثبت حتّى تَكَرْكَرَ[۳] المشركون، و حمل بأصحابه، ففضّ جمعاً من جمعهم، ثمّ دهمه منهم بشر كثيرٌ، فانحاش[۴] المسلمون، فانكشفوا راجعين.[۵]

۳. و عن ابن كعب بن مالك قال: حدّثني نفر من قومي حضروا يومئذٍ قالوا: لمّا أخذ خالد اللّواء انكشف بالنّاس، فكانت الهزيمة، و قُتل المسلمون، و اتّبعهم، المشركون، فجعل قُطبة بن عامر يصيح: يا قوم، يُقتَل الرّجل مُقبلاً أحسن من أن يقتل مدبراً، يصيح بأصحابه، فما يثوب إليه أحدٌ؛ هي الهزيمة و يتبعون صاحب

---

۱. السيرة الحلبيّة، ج ۳، ص ۶۸ و سبل الهدى و الرشاد، ج ۶، ص ۱۵۰.

۲. المغازي، ج ۲، ص ۷۶۲، و تاريخ مدينة دمشق، ج ۶۸، ص ۸۷.

۳. تكركر الرّجل في أمره: تردّد.

۴. حاشي بهم: انحاز بهم و هو من الحشى و هي الناحيه.

۵. المغازي، ج ۲، ص ۷۶۳.

الرّاية منهزماً.[۱]

۴. إنّ أهل المدينة قد طرد ذلک الجيش العائد بقيادة خالد و حثّوا التّراب في وجوههم، و هجروهم و عاقبوهم أسوأ عقوبة. فلو صحّ أنّهم قد انتصروا لكان ينبغي أن يلاقوهم بالورود و الأناشيد، و بالأفراح و الزّغاريد،[۲] و أن يرفعوهم على الرّاحات، و يدوروا بهم في النّوادي و الساحات.

و لكان يجب على خالد و جيشه أن يعترضوا على استقبال أهل المدينة بالتّعنيف و الطّرد، و أن يشتكوهم إلى رسول الله صلی الله علیه و آله، و يجهروا بمظلوميّتهم و بأنّهم معتدي عليهم. فلماذا اختبأوا في بيوتهم، حتّى إنّ منهم من ترک الحضور للصّلاة من شدّة الخجل ممّا حدث و حصل؟!

بل إنّ المتوقّع في مثل هذه الحالة هو أن يبادر رسول الله صلی الله علیه و آله لمنع هذا التّجنّي و لجم الظّلم الّذي حاق بهؤلاء الأبرياء المجاهدين، و لو بأن يخطب النّاس في المدينة، و يؤنّبهم على ظلمهم هذا، إن لم يتمكّن من أن يعاقبهم عليه.

على أنّ هذا الّذي ذكرناه لا يعني أنّنا نريد أن ننفي أن يكون المسلمون قد أظهروا درجةً من الجدّيّة في قتال أعدائهم، و أنّهم قد سجّلوا عليهم انتصارات قويّة.

ولكنّنا نقول: إنّ ذلک إن كان قد حصل، فإنّما حصل في الأيّام أو في السّاعات الّتي سبقت استشهاد القادة، و لعلّ جذوته قد اتقدت بعد استشهادهم بصورة أكبر، ولكن خالداً ضيّع ذلک.

و من المضحک المبكي حديث الرّجل من بني مرّة، الّذي أنكر فيه أن يكون خالد قد انهزم.... ثم شرح ذلک بأنّ اللّواء سقط بعد قتل ابن رواحة ... واستمرّت الحرب قال: «فنظرت إلى اللّواء في يد خالدٍ منهزماً، و اتّبعناه، فكانت الهزيمة».[۳]

---

۱. المغازي، ج ۲، ص ۷۶۳، و تاريخ مدينة دمشق، ج ۴۹، ص ۳۳۷.

۲. زغرد البعير: هدر مردّداً هديره في حلقه و منه زغردت النّساء في الفرح.

۳. الطبقات الكبرى، ج ۲، ص ۱۲۹، و تاريخ مدينة دمشق، ج ۴۹، ص ۳۷ و ج ۶۸، ص ۸۷.

فما معنى نفيه هزيمة خالد أوّلاً، ثمّ إثباته لها أخيراً، حتّى لقد جعل خالداً أوّل منهزمٍ باللّواء فيهم، ثمّ تبعه النّاس؟

و نستطيع بعد كلّ هذا الّذي ذكرناه أن نؤكّد على أنّ كلّ الدّلائل تشير إلى أنّ الفارّين كانوا عارفين بعظيم جرمهم، كما أنّ أهل المدينة كانوا عارفين بذلک و كذلک رسول اللهﷺ، ولكنّهم لم يرتكبوا بفرارهم ذنباً بنظر الشّرع، لأنّ الفرار من جيش يفوق عدده عدد جيش المسلمين بعشرات الأضعاف ليس حراما شرعاً؛ فإنّ الفقهاء قد ذكروا: أنّه يجوز الهرب في الجهاد في أحوال ثلاثة:

الأولى: أن يزيد عدد الكفّار على ضِعف عدد المسلمين.[۱]

الثّانية: أن يترک القتال، ولكن لا بنيّة الهرب، بل لأجل أن ينصرف ليكمن في موضع، ثم يهجم.

الثّالثة: أن يتحيّز إلى فئة و هو أن ينصرف على قصد أن يذهب إلى طائفةٍ ليستنجد بها في القتال.[۲]

و على هذا يحمل قولهﷺ للّذين اعترفوا أمامه بالفرار من الزّحف: «بل أنتم

---

۱. و الدّليل على الجواز: ألف. قوله تعالى: «الان خففف الله عنكم و علم انّ فيكم ضعفاً فان يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين و ان يكن منكم ألف يغلبوا الفين باذن الله و الله مع الصابرين» (الأنفال: ۶۶).

ب. ماروه العامّة عن ابن عباس قال: من فرّ من اثنين فقد فرّ و من فرّ من ثلاثة فما فرّ (سنن البيهقي، ج ۹، ص ۷۶، و الحاوي الكبير، ج ۱۴، ص ۱۸۲).

ج. ما روي من طريق الخاصّة: عن الصّادقؑ: من فرّ من رجلين في القتال من الزّحف فقد فرّ و من فرّ من ثلاثة في القتال من الزّحف فلم يفرّ (الكافي، ج ۵، ص ۳۴، و التهذيب، ج ۶، ص ۱۷۴).

۲. راجع: تذكرة الفقهاء، ج ۱، ص ۴۱۱ (ط ق) و ج ۹، ص ۶۱ (ط.ج) و جواهر الكلام، ج ۲۱، ص ۵۸، و المهذّب، ج ۱، ص ۳۰۴، و جامع المقاصد، ج ۳، ص ۳۸۲.

الكرّارون و أنا فئتكم» أو قال: « و أنا فئة كلّ مسلم»[1] فأراد صلى الله عليه و آله به أن يؤيّد اعترافهم بالفرار، ثم يخفّف من وطأة ذلک على نفوسهم حين يقرّر أنّ فرارهم يدخل في سياق التّحيّز إلى فئة، و بذلک يكون قد خفّف عنهم بعض الألم الّذي كان يعتصر قلوبهم.[2]

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

۱. راجع: سبل الهدى و الرشاد، ج ۷، ص ۱۵۱و ج ۶، ص ۱۵۶ و قال في هامشه: أخرجه أبوداود، ج ۲، ص ۵۲، ح ۲۶۴۷ و الترمذي، ج ۴، ص ۱۸۶، ح ۱۷۱۶ و أحمد في المسند، ج ۲، ص ۱۱۱.

۲. و بتعبير آخر أوضح و أصرح: أنّه صلى الله عليه و آله إنّما قال ذلک لهم على سبيل التّشبيه و التّنزيل و المجاز لا على سبيل الحقيقة؛ إذ ليس في ظاهر حالهم حين فرارهم ما يدلّ على أنّهم كانوا يقصدون بهذا الفرار التّحيّز إلى فئة، بل كان همّهم النّجاة بأنفسهم و حسب.

ولكنّ النّبيّ صلى الله عليه و آله قد أراد معالجة سلبيّات الهزيمة بهذا النّحو من التّخفيف و التّلطيف و اعتبارهم كأنّهم قد تحيّزوا إلى فئة، حتّى قال لهم: و أنا فئتكم. و لو كان كلامه صلى الله عليه و آله جارٍ على سبيل الحقيقة، لم يحتج إلى بيان مَن هو الفئة لهم.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل العاشر

فتح مكّة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بداية

لقد التزم النّبيّ ﷺ بكلّ بنود الصّلح الّذي كان بينه و بين قريش في الحديبيّة، ولكنّ قريشاً قد استخفّت بقوّة المسلمين بعد معركة مؤتة، و جرّها هذا الاستخفاف إلى ارتكاب حماقة أصبح بعدها عهد الموادعة لاغياً.

فقد سبق أنّ عهد الحديبيّة قد أعطى الحقّ لكلّ من أراد من العرب أن يدخل في عهد محمّد ﷺ أو عهد قريش، أن يدخل فيه، و كانت بين بني بكر و خزاعة أحقاد قديمة و حروب متواصلة. فلمّا تمّ صلح الحديبيّة دخلت خزاعة في عهد محمّد ﷺ و دخل بنوبكر في عهد قريش.

فلمّا كانت معركة مؤتة تخيّل بنو الدّيل (أو الدّؤل) من بني بكر بن عبد مناة أحلاف قريش أنّ الفرصة قد سنحت لهم ليقتصّوا من خزاعة حليفة المسلمين لثاراتهم القديمة، و ظنّوا أنّ المسلمين بعد تلك النّكسة الّتي أصيبوا بها لم يعدّ في مقدورهم أن يناصروا من دخل في عهدهم كخزاعه و غيرها. و حرّضهم على ذلک عِكْرَمة بن أبي جهل و صفوان بن أميّة و حويطب بن عبدالعزّي و مكرز بن حفص و غيرهم من وجوه قريش و دسّوا إليهم الرّجال و السّلاح، و بَيَّتُوا[1] خزاعه و هم على ماءٍ لهم يُدعى الوَتير، فقتلوا منهم عشرين رجلاً و ذلک في شعبان من السّنة الثّامنة للهجرة، فالتجأت خزاعة إلى الحرم، ثمّ إلى دار بُديل بن ورقاء و دار مولى

---

١. بيّتوهم: قصدوهم ليلاً من غير أن يعلموا فأخذوهم بغتةً.

لهم يقال له: رافع الخزاعيّين و انتهوا بهم في عماية الصّبح.[١]

و دخلت رؤساء قريش منازلهم، و هم يظنّون أنّهم لا يُعرَفون، و أنّه لا يبلغ هذا رسول الله ﷺ و أصبحت خزاعة مُقَتّلين على باب بديل و رافع.

و كان ممّا لابدّ منه أن تستنجد خزاعة بالنّبي ﷺ، فذهب جماعة منهم إلى المدينة، فلمّا دخلوا على الرّسول و هو جالس في المسجد بين أظهر النّاس، أنشد عمرو بن سالم الخزاعي قوله:

يا ربِّ إنّي ناشد محمّداً حِلْفَ أبينا و أبيه الأتلَدا[٢]

قد كنتم وُلْداً و كنّا والداً ثُمَّتَ أسلمنا فلم نَنْزِع يدا[٣]

إنّ قريشاً أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكّدا

هم بَيَّتُونا بالوَتير هُجَّداً و قَتَّلونا رُكّعاً و سُجّداً[٤]

فقال رسول الله ﷺ «حسبك يا عمرو، أي: و دمعت عيناه» أو قال: «نُصِرتَ يا عمرُو بن سالم». فما برح حتّى مرّت عَنانَة[٥] من السّماء فرعدت، فقال رسول الله ﷺ: إنّ هذه السّحابَةَ لَتَستَهِلُّ[٦] بنصر بني كعب.[٧]

و قام من ساعته و ندب المسلمين في المدينة و خارِجها لأن يكون على أُهبة الاستعداد عندما يدعوهم إلى الخروج معه من غير أن يعرفوا و جهته الّتي يريدها.

و توالدت الوفود عليه حتّى اجتمع في المدينة خلال العشرة الأولى من شهر

---

١. عماية الصبح: بقيّة ظلمة الليل.

٢. ناشدٌ : طالب و مذكّر. و الأتلد: القديم.

٣. يريد أنّ بني عبد مناف أمّهم من خزاعة، و كذلك قُصَي أمّه فاطمة بنت أسد الخزاعيّة. والوُلد بمعني الوَلَد. و أسلمنا من السّلم، و ثُمّتَ حرف عطف، أدخل عليه تاء التأنيث.

٤. الوَتير: اسم ماءٍ بأسفل مكة لخزاعة، و الهُجّد جمع هاجد و هو النّائم هنا.

٥. عنانة واحدة العنان و هو السّحاب.

٦. تستهلّ: تبشّر

٧. سبل الهدى والرشاد، ج ٥، ص ٢٠٢ – ٢٠٣ ، و السنن الكبرى، ج ٩، ص ٢٣٤.

رمضان نحو عشرة آلاف مقاتل.

و ندمت قريش على ما صنعت مع خزاعة، و عرفت أنّ ذلک نقض للعهد من جانبها، و اتّفقت على أن يشدّ أبوسفيان الرّحال إلى محمّد و يكلّمه في الأمر قبل أن تستنجد به خزاعة، لعلّه يجدّد العهد فيما بينهم و بينه و يزيد في أمد الهدنة، و لم يكونوا قد علموا بوفد خزاعة إلى النّبيّ صلى الله عليه و آله.

و خرج أبوسفيان من مكّة و معه مولى له على راحلتين و أسرع السّير و هو يرى أنّه أوّل من خرج من مكّة إلى رسول الله صلى الله عليه و آله بعد ذلک الحدث الّذي أطاح بعهد الصلح بينهم و بين النّبيّ صلى الله عليه و آله، فلقى بديلَ بن ورقاء بعُسفان، فأشفق أبوسفيان أن يكون بديل جاء رسولَ الله صلى الله عليه و آله، بل كان اليقين عنده، فقال للقوم: أخبرونا عن يثرب متى عهدكم بها؟ قالوا لا علم لنابها. فعلم أنّهم كتموه، فقال: أما معكم من تمر يثرب شيءٌ تطعموناه؟ قالوا: لا. و أراد أبوسفيان أن يتأكّد من أمرهم، فقال يا بديل: هل جئتَ محمداً؟ قال: لا، ولكنّي سرت في بلاد خزاعه من هذا السّاحل في قتيل كان بينهم فأصلحت بينهم. فقال له أبوسفيان: إنّک والله – ما علمتَ برٌّ و أصل... .

و أقبل أبوسفيان حتّى دخل المدينة و أتى رسولَ الله صلى الله عليه و آله و طلب منه أن يجدّد العهد و يزيد في أمره. فقال له النّبيّ صلى الله عليه و آله: فلذلک جئت يا أباسفيان؟ قال: نعم. فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: هل كان مِنْ قِبَلكم من حدث؟ قال: معاذ الله، نحن على عهدنا و صلحنا يوم الحديبيّة، لا نغيّرو لا نبدّل. فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: فنحن على مدّتنا و صلحنا يوم الحديبيّة لا نغيّر و لا نبدّل. فأعاد أبوسفيان على رسول الله صلى الله عليه و آله القول، فلم يردّ عليه شيئاً.[1] فذهب إلى أبي بكر و عثمان و علي عليه السلام و سعد بن عبادة و أشراف قريش و الأنصار يستعين بهم على إقناع النّبيّ صلى الله عليه و آله بتجديد العهد و

---

۱. سبل الهدي و الرشاد، ج ۵، ص ۲۰۶، و السيرة الحلبية، ج ۳، ص ۷۲ و راجع: مجمع البيان، ج ۱۰، ص ۵۵۵، و البحار، ج ۲۱، ص ۱۰۱ و ۱۰۲ و ۱۲۶.

زيادة أمده، فلم يجد منهم تجاوباً على ذلك و رفضوا مراجعة النّبيﷺ بهذا الخصوص.

و قد كان طَلَبُ أبي سفيان من النّبيﷺ تجديد عهد الحديبيّة و الزّيادة في المدّة هو الخدعة الّتي أعدّها هذا الرّجل، و من ورائه قريش للتّخلّص من تبعات الجريمة الّتي ارتكبوها في حقّ خزاعة.

و قد كان لابدّ من ردّ أبي سفيان خائباً ليفهم: أنّ أساليب المكر و الاحتيال لا تجدي في إماتة الحقّ و إحياء الباطل. أضف إلى ذلك: أنّ ما واجهه أبوسفيان في المدينة كان غايةً في الرّوعة، فقد ذاق طعم الذّل و الخزي مرّة بعد أخرى و تجرّع مرارة الخيبة و الفشل كرّات و مرّات لم يعرف لها مثيلاً في حياته كلّها، و قد تجلّى هذا الذّل في مظاهر مختلفة، حتّى في لقائه مع ابنته أمّ حبيبة زوج النّبيﷺ، فإنّه لمّا دخل عليها فأراد أن يجلس على فراش رسول اللهﷺ، فَطَوَتْه دونه،[1] فقال: يا بنيّة، أرغبتِ بهذا الفراش عنّي أم رغبتِ لي عنه؟ قالت: بل هو فراش رسول اللهﷺ و أنت رجل مشرك نجس، فلم أحبّ أن تجلس على فراش رسول اللهﷺ. قال: لقد أصابك بعدي شرّ يا بنيّة،[2] ثمّ خرج من بيتها و قد استولى عليه الغضب من هذا الموقف الّذي لم يكن يترقّبه من أقرب النّاس إليه.

التّجهيز لسفرٍ مبهم

ذكروا: أنه لمّا عزم رسول اللهﷺ على غزو مكّة قال لعايشة: جَهّزينا و أخفي أمرك. فأرادﷺ أن تخفى أصل التّجهّز و الاستعداد لسفر لم يحدّده لها و لا عرّفها طبيعته هل هو سفر للحرب، أو لزيارة منطقة بعينها، أو لأي غرض آخر؟

و منع أحداً أن يخرج من المدينة مخافة أن يتسرّب خبر استعداده لقريش و

---

١. طوى الصّحيفة: نقيض نَشرَها.

٢. سبيل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ۲۰۶، و السيرة النبوية لابن هشام، ج ۴، ص ۳۸.

قد كان يجب أن يدخل مكّة فاتحاً بدون حرب و لا قتال و دعا الله سبحانه أن يمنع عن قريش العيونَ و الأخبار.

و من غير الطّبيعي كتمان أمر عن أمّة بأسرها يستنفر منها عشرة آلاف مقاتل ليعالجوا نفس هذا الأمر المكتوم مع كثرة الموتورين و الحاقدين في المنطقة، و مع وفرة المنافقين المتربّصين بالإضافة إلى الّذين يبحثون عمّا يفيدهم في مصالحهم الشّخصيّة أو القبَليّة أو غيرها.

و خفاء هذا الأمر الخطير إلى هذا الحدّ و في ظروف كهذه و في هذا المحيط بالذّات يعدّ من أعظم الإنجازات و من أجلّ التّوفيقات و يدلّل على التّدبير و الضّبط الدّقيق للأمور من قِبَل رسول الله صلى الله عليه وآله.

اكتشاف تجسّس أبي بلتعة لقريش

و مع هذا التّحفّظ الشّديد و تكتّمه عن سائر النّاس سوى الخاصّة من أصحابه، فقد تسرّب نبأ مسيرته إلى حاطب بن أبي بلتعة، فكتب إلى قريش يخبرهم بالّذي عزم عليه رسول الله صلى الله عليه وآله ، و أعطى الكتاب إلى امرأة من مُزَيْنَة و أعطاها مبلغاً من المال في مقابل إيصال كتابه لقريش، فوضعت الكتابَ في رأسها و فَتَلَتْ عليه قرونَها، و خرجت باتّجاه مكّة، فنزل الوحي على الرّسول صلى الله عليه وآله يخبره بما صنع حاطب. فأرسل النّبي صلى الله عليه وآله من ساعته عليّاً و الزّبير و أمرهما أن يُجِدّا السّير في طلب المرأة قبل أن تفوتهما.

فخرجا مُسرعَين، فأدر كاالمرأة بالخَليقة؛[1] خَليقة بني أحمد، فاستنزلاها و التماسا الكتاب في رحلها فأنكرت و حلفت: أنّه لا شيء معها و بكت.

فقال الزّبير : ما أرى يا أبا الحسن معها كتاباً، فارجع بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله نخبره ببراءة ساحتها. فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام: يخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ معها

---

١. الخليقه كسفينة: منزل على اثني عشر ميلاً من المدينة.

كتاباً و يأمرني بأخذه منها، و تقول أنت: إنّه لا كتاب معها؟!! ثمّ اخترط السّيف[١] و تقدّم إليها، فقال: أما والله لئن لم تُخرجي الكتاب لأكشفنّك، ثمّ لأضربنّ عنقك.

فلمّا رأت منه الجدّ حلّت قرونها و أخرجت الكتاب، فأخذه أميرالمؤمنين عليه السلام و أقبلا به على رسول الله ﷺ.[٢]

فدعا حاطباً، فقال: يا حاطب، ما حملك على هذا؟ قال: يا رسول الله، إنّي والله لمؤمن بالله و رسوله، ما غيّرت و لا بدلّت، ولكنّي كنت امرءاً ليس لي في القوم من أصل و لا عشيرة و كان لي بين أظهرهم ولدٌ و أهل، فصانعتُهم عليهم.[٣]

و أمر النّبيّ ﷺ بإخراجه من المسجد، فجعل النّاس يدفعونه في ظهره حتّى أخرجوه و هو يلتفت إلى النّبيّ ﷺ و لا يتكلّم، فرقّ له و أرجعه إلى المسجد و أوصاه أن لايعود لمثلها.[٤]

على طريق مكّة

قيل: إنّه استخلف على المدينة أبا لبابة بن عبدالمنذر[٥] و قيل: أبارُهْم، كلثوم بن حُصَيْن الغفاري[٦] و يقال: ابن أمّ مكتوم و به جزم الدّمياطي.[٧] و خرج يوم الأربعاء بعد العصر لعشر خلون من شهر رمضان، في عشرة آلاف مقاتل من المهاجرين و الأنصار و طوائف من العرب و قادوا الخيل و امتطوا الإبل و قدّم رسول الله ﷺ

١. اخترط السّيف: استلّه.

٢. الإرشاد للمفيد، ج ١، ص ٥٦ – ٥٩ . و راجع: البحار، ج ٢١، ص ١١٩ – ١٢١ و ص ١٢٥ و ١٢٦، و إعلام الورى،ج ١، ص ٣٨٤، و أعيان الشيعه، ج ١، ص ٤٠٨.

٣. سبل الهدى و الرشاد، ج ٥، ص ٢١٠.

٤. الإرشاد للمفيد، ج ١، ص ٥٦ – ٥٩.

٥. البحار، ج ٢١، ص ١٢٧ عن اعلام الورى، ج ١، ص ٢١٨، و تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٥٨.

٦. سبل الهدى و الرشاد، ج ٥، ص ٢١٢ عن أحمد و الطبراني، عن ابن عباس.

٧. المصدر المتقدم، عن ابن سعد و البلاذري.

أمامه الزّبير في مائتين من المسلمين.[1]

و المقصد لا يزال مجهولاً و النّاس لا يدرون أين توجّه رسول الله صلّى الله عليه و آله إلى قريش، أو إلى هوازن، أو إلى ثقيف. و هذه الخيارات كلّها تحتاج لمثل هذا الجمع العظيم من المقاتلين، كما أنّ كلّها تقع في منطقة واحدة و في أمكنة متقاربة، و الطّريق من المدينة إليها هي نفس هذه الطريق الّتي سلكها رسول الله صلّى الله عليه و آله إلى قُدَيد، و إنّما تتميّز الطُّرُقات إلى تلك المناطق بدءاً من سَرِف الّتي كانت تبعد عن مكّة أميالاً يسيرة.[2]

والّذي زاد في حيرتهم: أنّه صلّى الله عليه و آله لم يخرج بهذه الألوف على هيئة الحرب فهو لم يعقد ألوِيةً و لا رفع راياتٍ و لا رتّب الجيش ترتيباً قتاليّاً حتّى بلغ قُديداً[3] ففيها عقد الألوِية و رفع الرّايات و دفعها إلى القبائل.

فهل يمكن أن نضع هذا الإنجاز في مجال الاستطلاع و الحفاظ على السرّيّة إلّا في عداد المعجزات و خوارق العادات الّتي لا يقدر عليها إلّا نبي أو وصي نبي؟!

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبوسفيان في أيدي المسلمين

عن ابن عباس أنّه قال: مضى رسول الله صلّى الله عليه و آله عام الفتح حتّى نزل مَرَّ الظَّهران[4] عشاءاً، في عشرة آلاف من المسلمين و قد عُمِّيت الأخبار عن قريش، فلا يأتيهم خبر عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و لا يدرون ما هو صانع.[5]

و أمر صلّى الله عليه و آله أصحابه أن يوقدوا عشرة آلاف نار، و بلغ ذلك قريشاً، فخرج

---

١. نفس المصدر.

٢. المغازي، ج ٢، ص ٨٠٥، و مجمع البحرين، ج ٢، ص ٣٦٥.

٣. قديد تصغير قدّ: اسم موضع قرب مكّة.

۴. الظّهران اسم أضيف إليه مَرّ فيقال: مرّ الظّهران: اسم مكان قرب مكّة.

۵. سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ٢١۴.

أبوسفيان يتحسّس الأخبار، فخرج هو و حكيم بن حِزام فلقيا بُديل بن ورقاء، فاستتبعاه، فلمّا بلغوا الأراک[1] من مَرّ الظّهران – و ذلک عشيّاً – رأوالعسكر و القِباب و النّيران كأنّه نيران عَرَفَة و سمعوا صَهيل الخيل و رُغاء الإبل،[2] فأفزعهم ذلک فزعاً شديداً.

فلقيهم العبّاس على بغلة رسول الله ﷺ الشّهباء و قال لأبي سفيان: ويلک!! هذا رسول الله ﷺ في عشرة آلاف. فقال:

و اصباح قريش[3]. بأبي أنت و أمّي، فما تأمرني، هل من حيلةٍ؟ قال : نعم، اركب عَجُزَ هذه البغلة، فَأَذهَبُ بک إلى رسول الله ﷺ فأستأمنه لک. فإنّه و الله إن ظفر بک دون رسول الله ﷺ لتقتلنّ. فقال: و أنا و الله أرى ذلک.

قال العبّاس – كما جاء في رواية الواقدي - : فأردفته خلفي و اتّجهت نحو معسكر المسلمين، و كانوا قد أوقدوا النّيران ليلاً: فكلّما مررت بنارٍ من نيران المسلمين، قالوا: مَن هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ و أنا عليها قالوا: عمّ رسول الله ﷺ على بغلته... .

فحرّكت البغلة حتّى اجتمعنا على باب خيمة رسول الله ﷺ، فدخلت و إيّاه على النّبي ﷺ، فقال عمر بن الخطّاب: يا رسول الله، هذا أبوسفيان قد امكن الله منه، فدعني أضرب عنقه. فقلت: إنّي قد أجرته يا رسول الله... فقطع النّبيّ حوارهما بقوله للعباس: اذهب به، فقد أجرته لک، فَلْيَبِت عندک حتّى تغدوا به علينا إذا أصبحت.

فلمّا أصبحتُ غدوتُ به، فلمّا رآه رسول الله ﷺ قال: و يحک يا أبا سفيان، ألم يأنِ لک أن تعلم أن لا إله إلّا الله؟ قال: بأبي أنت، ما أحلمک و أكرمک و أعظم عفوک! قد كان يقع في نفسي أنّه لو كان مع الله إله لقد أغني عنّي شيئاً (يوم بدر

---

١. الأراک: شجر معروف.

٢. الصَهيل: صوت الفرس. و رُغا البعير أو النّعام أو الضَّبُع: صوّت و ضجّ.

٣. منادي مستغاث، يقال عند استنفار من كان غافلاً عن عدوّه.

و أحد) بعد، لقد استنصرتُ إلهي و استنصرتَ إلهک، فو الله ما لقيتُک من مـرّة إلّا نُصِرْتَ عليَّ، فلو كان إلهي مُحقّاً و إلهک مـبطلاً لقـد غلبتُـكَ. فقـال: ويحـک يـا أباسفيان، ألم يأن لک أن تعلم أنّي رسول الله؟ قال: بأبي أنت و أمّي مـا أحلمـک و أكرمک و أعظم عفوک! أمّا هذه فو الله إنّ في النّفس منها شيئاً حتّى الآن.

فقال العبّاس: ويحک! أسلم قبل أن تضرب عنقک، فشهد شهادة الحـقّ – علـى كُره منه حينما أدرک أنّ الموت ينتظره بعد لحظة و فـي نفـسه مـن نبـوّة رسول الله صلّى الله عليه وآله أشياء و أشياء و ظلّت تلک الأشياء في نفسه إلى أن مات – فقـال: أشهد أن لا إله إلّا الله و أشهد أنّ محمّداً رسول الله.[1]

عشرة آلاف نار لماذا؟!

و لسنا بحاجة إلى بيان أهدافه صلّى الله عليه وآله حين أمر أصحابه بإيقـاد عـشرة آلاف نـار؛ الأمر الّذي بَهَرَ عتاةَ و جبابرةَ أهـل الـشّرک و فراعنـة قـريش، و قـد تقـدّم: أنّ أبـا سفيان و حكيم بن حزام و ابن ورقاء فزعوا فزعاً شديداً حين رأوا تلک النّيران كأنّها نيران عَرَفَة.[2]

و لو لا أنّهم رأوا القِباب و العسكر الجرّار و سمعوا صَـهيل الخيـل و رُغـاء الإبـل لأمكن أن يتسرّب إلى أوهامهم احتمال أن تكون فئة صغيرة هي الّتي أوقدت هذه النّيران الكثيرة.

لقد تأكّد لديهم:

١. أنّ من يوقد هذه النّيران يريد أن يُعلِم أعداءه بحضوره، غيـر آبـهٍ بهـم[3] و لا

---

١. البحار، ج ٢١، ص ١٢٩ عن إعلام الورى، ج ١، ص ٢٢١ و مستدرک سفينة البحار، ج ٨، ص ١٠٩.

٢. إشارة إلى ماجرت عادتهم من إيقاد النّيران الكثيرة ليلة عرفة.

٣. غير آبه بهم: غير ملتفت إليهم.

خائف منهم، و أنه لم يأت متسلّلا و لا مُغيراً يريد أن يربح المعركة عن طريق المباغتة، لتعوض المباغتة ضعفه أو لتوهن شيئاً من قدرات عدوّه.

٢. أنّه يريد بإيقاد هذه النّيران الكثيرة أن يظهر حجم قوّته و حضورها وسعتها و امتدادها لتساعد تلك النّيران أولئك النّاظرين الّذين قد يكونون في مرتفع، على رؤية أوّل و آخر رجل جاء لقتال عُتاة الشّرك، من دون أن تغرقهم عيونهم في ضباب الإبهام بسبب الظّلمة الّتي قد تمنع العيون من الإحاطة بها.

إذن فقد كان طبيعيّاً أن يتحيّر أبوسفيان و من معه في هويّة هذا الجيش الّذي أمامَهم هل هو خزاعة، أو تميم، أو ربيعة؟

العبّاس النّاصح لقريش على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله

و واضح: انّ ركوب العباس على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله و بحثه عن رسولٍ يرسله إلى قريش لا يمكن ان يكون بدون علم النّبي صلى الله عليه وآله، بل ذلك – فيما يظهر – داخل في صلب خطّة النّبي صلى الله عليه وآله لأخذ مكّة من أولئك الجبّارين من دون قتال، و ذلك باعتماد طريقة ترسيخ القناعة لدى أقطابها بعجزهم عن مناجزته الحرب إلّا إذا كانوا يريدون أن يلقوا بأيديهم إلى الدّمار و البوار.

و قد كان العبّاس افضل رسولٍ إلى قريش و زعمائها، فانّهم على قناعة تامّة بانّه لا يمكن ان يفرط بهم، كما اثبتته لهم تجربتهم الطّويلة معه.

و قد ظهر من تفدية أبي سفيان للعباس بأبيه و أمّه مدى عمق علاقة المودّة و الصّفا فيما بينهما، حتّى أنّه يجعل نفسه رهن إشارة العبّاس. فإذا جاءتهم النّصيحة من قِبَل العبّاس، فإنّهم لا يرفضونها و لا يستغشونه.

ثمّ يظهر العباس هنا بمظهر القوي الحازم، الّذي يفرض رأيه و قراره بدون أي تحفّظ. على أنّ ركوبه بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله من شأنه أن يطمئنّ أولئك المعاندون إلى أنّ مكانته محفوظة عند رسول الله صلى الله عليه وآله و أنّ كلمته مؤثّرة لديه.

كما أنّ أحداً من المسلمين لا يجرؤ على إخفار جواره، فإذا دخلوا هذا المعسكر معه و في حمايته، فكيف إذا أردف رأس الشّرك خلفه، و حمله معه؟

فالعبّاس بعد كلّ هذا هو الوسيلة الأكثر أمناً في الطّريق، و الأكثر فاعليّة و تأثيراً لدى رسول الله صلّى الله عليه وآله.

الإعلان بالأمان

و جاء في كتب السّيرة و التّاريخ أنّ أباسفيان و حكيم بن حزام قالا لرسول الله صلّى الله عليه وآله: ادع النّاس بالأمان: أرأيت إن اعتزلت قريش و كفّتْ أيديَها آمنون هم؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: نعم.

و في بعض المرويّات: قال العبّاس: قلت يا رسول الله! قد عرفت أبا سفيان و حبّه الشّرف و الفخر فاجعل له شيئاً.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» . فقال: و ما تسع داري؟ زاد ابن عُقبة: «و من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن[1] و من أغلق بابه فهو آمن و من دخل المسجد فهو آمن».[2]

و قال الحلبي الشافعي: «عقد صلّى الله عليه وآله في المسجد لأبي رُوَيحة[3] لواءاً و أمره أن ينادي: و من دخل تحت لواء أبي رُويحة فهو آمن. و إنّما قال ذلك لما قال له أبوسفيان: و ما تسع داري و ما يسع المسجد»؟[4]

و نقول: إنّ في هذه النّصوص من الإشارات و الدّلالات، نذكر منها مايلي:

---

١. كانت دار أبي سفيان بأعلى مكّة و دار حكيم بن حزام بأسفلها.

٢. سبل الهدى و الرشاد، ج ٥، ص ٢١٨، عن ابن عُقبة.

٣. هو الّذي آخى النّبي صلّى الله عليه وآله بينه و بين بلال.

٤. السيرة الحلبيّة، ج ٣، ص ٨٠.

ألف. هل هذا تشريف لأبي سفيان؟

قد كان ممّا أعطاه رسول الله ﷺ لأبي سفيان: أن جعل الأمان لمن دخل داره؛ لأنّ أبا سفيان يحبّ التفخيم و الذّكر، و لكنّه ﷺ و إن كان قد أنعم لأبي سفيان بهذا الأمر و أعطاه إيّاه بيدٍ، و لكنّه عاد فأخذه منه باليد الأخرى بأسلوب رصين يجعل النّاس يدركون أنّه مجرّد إجراء شكلي ليس له مضمونُ تشريفٍ و لا تكريمٍ، لأنّه:

١. أعطى مثل ذلک لحكيم بن حزام أيضاً.

٢. ساوى بين دخول دار أبي سفيان و بين اللّجوء إلى راية الأمان، الّتي جعلها مع أبي رويحة، و ساوي أيضاً بينه و بين أيّة دارٍ في مكّة يدخلها صاحبها و يغلق بابها على نفسه. كما ساوى بين ذلک و بين أن يضع الإنسان سلاحه و يكفّ يده، ليكون ذلک إشارة إلى مجرّد اتّخاذ وضعٍ غير قتالي.

و بذلک يتّضح: أنّ أباسفيان ليس فقط لم يحصل على ما اراد من الذّكر و الفخر، بل أُخِذ منه ما كان قد استلبه بغير حقّ، لأنّ المساواة بين دخول داره و بين دخول دار أي إنسان في مكّة، ثمّ بين ذلک و بين أن يكفّ الإنسان يده و يضع سلاحه فيها، حَطّ من المقام الّذي جعله أبوسفيان لنفسه، و جعله كأي إنسان آخر من أهل مكّة.

ب. استجداء بعد الاستغناء

لقد كان أبوسفيان طيلة حوالي عشرين سنة يسعى لإطفاء نور الله، مدّعياً لنفسه مواقع الشّرف و الكرامة، متّخذاً من هذا الفعل المخزي سبيلاً للمجد و الذّكر و الفخر؛ ولكنّه بين ليلة و ضحاها أصبح يستجدي شيئاً من الذّكر، و ما يوجب له الفخر من نفس هذا العدوّ الّذي لم يزل يحاربه إلى تلک اللّحظة.

ج . حفظ حرم الله تبارک و تعالى

ولسنا بحاجة إلى التّأكيد على أنّ المطلوب من إعلان الأمان لأهل مكّة، و كذلک سائر المواقف و السّياسات النّبويّة في مسيره ﷺ إلى مكّة، هو أن لا تراق

أيّة قطرة دمٍ في حرم الله تبارک و تعالى. و لابدّ من أن يقارن الكثيرون من أهل مكّة و غيرهم بين هذه السّياسة مع صناديد قريش و كلّ رجالها و بين ما فعله أهل مكّة أنفسهم بالخزاعيّين الأبرياء من الصّبيان و النّساء و الرّجال الضّعفاء، في حين أنّ قريشاً لو تمكّنت من الحرب لأبادت هذا الجيش القادم في نفس بيت الله و حرمه.

كتائب[1] الإسلام إلى مكّة

قالوا: و أمر رسول الله صلّی الله علیه و آله منادياً ينادي: لتصبح كلّ قبيلة قد أرحلت و وقفت مع صاحبها عند رايته و تُظهر ما معها من الأدات و العُدّة. فأصبح النّاس على ظَهر[2] و قدّم بين يديه الكتائب. و مرّت القبائل على قادتها، و الكتائب على راياتها.[3]

فأوّل مامرّ به خالد بن الوليد في بني سليم و هم ألف... فلمّا مرّوا بأبي سفيان كبّروا ثلاث تكبيرات، ثمّ مضوا. فقال أبوسفيان: يا عبّاس، مَن هؤلاء؟ قال: هذا خالد بن الوليد. و هكذا أخذت القبائل تمرّ به الواحدة تِلوَ الأخرى. و كلّما مرت قبيلة بحذائه كبّرت ثلاثاً و أبوسفيان يسئل عنها و العبّاس يجيبه، إلى أن مرّت جميع الكتائب و لم يبق إلّا الكتيبة الّتي فيها رسول الله صلّی الله علیه و آله.

فلما طلعت كتيبة رسول الله صلّی الله علیه و آله الخضراء[4] و طلع سواد شديد، وغَبْرَةٌ من سنابک الخيل[5] و جعل النّاس يمرّون، و أبوسفيان يقول: أما مرّ محمّد؟ و العبّاس

---

١. الكتائب: جمع كتيبة و هي الطائفة من الجيش المجتمعة.

٢. أصبح النّاس على ظَهر: أي علي غلبة و انتصار.

٣. سبل الهدى و الرشاد، ج ٥، ص ٢١٩ عن ابن عقبة.

٤. سميّت بذلک لغلبة الحديد على أهلها. شبّه السّواد بالخُضْرَة، و العرب تطلق الخضرة على السّواد و العكس.

٥. سنابک الخيل: طرف حوافرها.

يقول له لا. و فيما هم كذلک – و أبوسفيان يهزّه الحقد و البغض – و إذاً برسول الله ﷺ و هو على ناقته القَصْواء، فقال العبّاس: هذا رسول الله ﷺ.

فجعل أبوسفيان ينظرو يرتعد و كان قد حشد في تلک الكتيبة وجوه المهاجرين و الأنصار، و الألوية والرّيات و كلّهم منغمسون في الحديد لا يُرى منهم إلّا الحَدَق،[1] و في الكتيبة ألفا دارع، و راية رسول الله ﷺ مع سعد بن عبادة الأنصاري و هو أمام الكتيبة.

فلمّا مرّ سعد براية رسول الله ﷺ نادى أباسفيان، فقال : اليوم يوم المَلْحَمة،[2] اليوم تُسْتَحَلّ الحُرْمة، اليوم أذلّ الله قريشاً.

فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد، فنزع اللّواء من يده، و جعله إلى ابنه قيس، و يقال: إنّ رسول الله ﷺ أمر عليّاً عليه‌السلام، فأخذ الرّاية، فذهب بها إلى مكّة حتّى غَرَزَها[3] عند الرّكن.

قال الحافظ: والّذي يظهر في الجمع: أنّ رسول الله ﷺ أرسل عليّاً لينزعها و أن يدخل بها.[4]

و في نصّ آخر : إنّ أباسفيان سعى إلى رسول الله ﷺ و أخذ بِغَرْزِه[5]، فقبّله و قال: بأبي أنت و أمّي، أما تسمع ما يقول سعد؟ إنّه يقول:

اليوم يوم الملحمة   اليوم تُسبى الحُرْمة

فقال لعلي عليه‌السلام: أدركه، فخُذِ الرّاية منه و كن أنت الّذي يدخل بها و أدخِلْها

---

۱. الحدق: العيون.

۲. المَلْحَمة: الحرب و موضع القتال و الجمع ملاحم، مأخوذ من اشتباک النّاس و اختلاطهم فيها كاشتباک لُحمة الثّوب بالسّدى و قيل: هي من اللّحم، لكثرة لحوم القتلى فيهما.

۳. غرزها: أدخلها و أثبتها.

۴. راجع: سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ۲۱۹ – ۲۲۳.

۵. الغَرْز: ركاب الرّحل من جلد.

إدخالاً رفيقاً. فأخذها علي و أدخلها كما أمر.[١]

أهداف حضور العَرض

و قد صرّح رسول الله ﷺ بالهدف الّذي كان يتوخّاه[٢] من حضور أبي سفيان عَرض جنود الله و هو أمران:

١. أن يراه النّاسُ جنودَ الله لتقوى بذلك عزائمهم و يصحّ يقينهم بوعد الله تعالى لهم بالفتح و النّصر، منذ الحديبيّة.

٢. ان يرى هو جنودَ الله لتذلّ نفسه الأمّارة بالسّوء، الّتي تُمنيه النّصر و تدعوه إلى محاربة الله و رسوله و عباده المؤمنين، و لِيَكْبِتَه[٣] الله تعالى بذلك و يشفى به صدور قومٍ مؤمنين طالما اضطهدهم[٤] و ألحق بهم أنواعاً من الأذايا و البلايا.

يوم المرحمة و عزّ قريش

بعد أن رفض النّبي ﷺ قول سعد بن بن عبادة: اليوم يوم الملحمة، أفاد كلمته الخالدة الّتي انبعثت من قلبه الكبير، الّذي لا يحمله إنسان في هذه الدّنيا و نادى أباسفيان: اليوم يوم المرحمة، اليوم أعزّ الله قريشا. و لا شكّ في أنّ الرّحمة الإلهيّة قد شملت أهل مكّة بهذا الفتح الّذي فرض عليهم الإسلام و أدّى إلى هيمنة أحكامه و شرايعه الّتي هي محض الحقّ و العدل و بها يكون لهم بلوغ درجات

---

١. مجمع البيان، ج ١٠، ص ٥٥٧، و البحار، ج ٢١، ص ١٠٥ و ١٣٠ عن إعلام الورى و المناقب.

٢. يتوخّاه، من الوَخي كفتي بمعني القصد.

٣. كبته: صرعه و أخزاه و أذلّه.

٤. اضطهده: قهره و اضطرّه و أذاه بسبب المذهب.

الكرامة و الفضل.

إنّه يوم رفع الظّلم و الجبريّة و يوم إعلان الحرب على الفساد و المفسدين و إبطال حكومة الأهواء و إسقاط هيمنة العصبيّات و الشّهوات، و أيضاً يوم تعظيم الكعبة و كسوتها، بعد أن خرجت من يد المشركين، الّذين هتكوا حرمة حرم الله بذبح أطفال، و نساء، و ضعفاء و رجال خزاعة فيه و تجرّؤوا على الله بعبادة الأصنام في بيته و الدّعوة إلى الشّرك به تعالى فيه.

و هو يوم عزّ قريش الّتي أعلنت براءتها من الشّرك و التزامها بالإيمان بالله، و بأنبيائه و رسله و قبول دينه، فمنحها ذلك حصانةً و عزّةً، حتّى لو كان إيمانها لا يزال في مراحله الأولى، الّذي يقتصر على مجرّد الإعلان اللّساني.

دخول النّبيّ صلی الله علیه و آله مكّة

قالوا: لمّا ذهب أبوسفيان، إلى مكّة بعد ما عاين جنود الله تمرّ عليه، واصل المسلمون سيرهم حتّى انتهوا إلى ذي طوى،[1] فوقفوا ينتظرون رسول الله صلی الله علیه و آله حتّى تلاحق النّاس، و أقبل رسول الله صلی الله علیه و آله في كتيبته الخضراء[2]... و قد طأطأ رأسه تواضعاً لله تعالى و هو يقرأ سورة الفتح.[3]

و جعلت الخيل تَمْعَج[4] بذي طوى في كلّ وجه، ثمّ ثابت[5] و سكنت حين توسّطهم رسول الله صلی الله علیه و آله.[6]

---

۱. ذي طوى: وادٍ بمكّة؛ مقصور مُنون و قد يمدّ، يصرف و لا يصرف.

۲. سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ۲۲۶ عن ابن إسحاق و غيره.

۳. تاريخ الخميس، ج ۲، ص ۸۴.

۴. مَعَجَ الفرس: أسرع، أوسار لشدّة عدوه مرّة في الشّقّ الأيمن و مرّة في الشّقّ الأيسر.

۵. ثابت: رَجَعَت.

۶. سبل الهدى و الرشاد: ج ۵، ص ۲۲۶.

و عند الواقدي: أنه صلى الله عليه وآله أمر الزّبير أن يدخل من كُدَى،[۱] و أمر خالداً أن يدخل من اللِّيط[۲] و أمر سعدَ بن عبادة أن يدخل من كَداء، و مضى صلى الله عليه وآله فدخل من أذاخر،[۳] حتّى نزل بأعلى مكّة و ضُربت له هناك قبّة.[۴]

و أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أمَراءه أن يَكُفّوا أيديهم و لا يقاتلوا إلّا من قاتلهم.[۵]

وقالوا: إنّ صفوان بن أميّة و عِكرمة بن أبي جهل و سهيل بن عمرو دَعَوا إلى قتال رسول الله صلى الله عليه وآله و جمعوا أناساً بالخَنْدَمَة،[۶] و ضَوى إليهم ناس من قريش و بني بكر و هذيل، و لبسوا السّلاح، يقسمون بالله لا يدخلها محمّد عنوةً أبداً.

فلمّا دخل خالد بن وليد من حيث أمره رسول الله صلى الله عليه وآله وجد الجمع المذكور، فمنعوه الدّخول، و شهروا له السّلاح، و رموه بالنّبل، و قالوا لا تدخلها عنوةً. فصاح في أصحابه، فقاتلهم، و قُتِل منهم أربعة و عشرون رجلا من قريش و أربعةٌ من هذيل.[۷]

و جعل أبوسفيان و حكيم بن حزام يصيحان: يا معشر قريش، عَلامَ تقتلون أنفسكم؟ من دخل داره فهو آمن، و من وضع السّلاح فهو آمن. فجعل النّاس يقتحمون الدّور[۸] و يَغلِقون عليهم و يطرحون السّلاح في الطّرق حتّى يأخذه

---

۱. كُدَي: جبلٌ قريب من كَداء، و كَداء كسماء جبل بأعلى مكّة و هي الثّنيّة الّتي عند المقبرة و سمّي تلك النّاحية المعلّاة و دخل النّبي صلى الله عليه وآله مكّة منها.

۲. موضع بأسفل مكّة.

۳. المغازي، ج ۲، ص ۸۲۵ و راجع: تاريخ الخميس، ج ۲، ص ۸۵.

۴. تاريخ الخميس، ج ۲، ص ۸۳.

۵. سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ۲۲۷، و السيرة الحلبيّة، ج ۳، ص ۸۳، و تاريخ الخميس، ج ۲، ص ۸۲.

۶. الخَنْدَمَة: اسم جبل معروف بمكّة، يقع خلف جبل أبي قبيس و يمتدّ منه إلى المُعَلّاة علي طول شِعب علي و عامر.

۷. سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ۲۲۸ عن ابن إسحاق، و المغازي، ج ۲، ص ۸۲۶.

۸. اقتحم الأمر: رمى نفسه فيه بشدّة و مشقّة، و المنزل: هَجَمَه.

المسلمون.[١]

و أقبل الزّبير بمن معه من المسلمين حتّى انتهى إلى الحَجون و غَرَزَ الرّاية عند منزل رسول الله ﷺ.[٢]

و في المنتقي: و كلّ الجنود لم يلقوا جنوداً غير خالد.[٣]

و قالوا: و وجّه ﷺ اللّوم على خالد و قال له: قاتلت، و قد نُهيتَ عن القتال؟!

فاعتذر له: بأنّهم هم بدأوا بالقتال. ولكنّه عذر غير مقبول، إذ إنّ بَدْأهم له بالقتال لا يمنعه من أن يراجع رسولَ الله ﷺ في أمرهم.

شعار النّبيّ ﷺ في فتح مكّة

روي الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: شعارنا «يا محمّد يا محمّد» و شعارنا ... يوم الفتح: «نحن عباد الله حقاً حقاً».[٤] و سند الحديث صحيح.

قد بدا واضحاً أنّ هذه العبارات المختارة لتكون شعاراً في هذه الحرب كانت متوافقة مع طبيعة المرحلة الّتي يمرّون بها و التّحديدات الّتي تواجههم، و ذلك لمايلي:

١. لقد كان مشركوا مكّة و عُتاتها و رموز الظّلم و التّعدّي على حرمات الله فيها، يحاربون الله و رسوله و يهتكون حرمة بيت الله و الحرم. ثمّ هم يدّعون أنّهم سَدَنَة البيت و حماة الحرم و أولياؤه.

و قد ردّ الله تعالى ذلك عليهم، فقال: «وَ ما لَهُمْ أَلاَّ يعَذِّبَهُمُ اللّهُ وَ هُمْ يصَدُّونَ

---

١. سبل الهدى و الرشاد، ج ٥، ص ٢٢٨ عن ابن هشام، و السيرة الحلبيّة، ج ٣، ص ٨٥.

٢. سبل الهدى و الرشاد، ج ٥، ص ٢٢٩.

٣. تاريخ الخميس، ج ٢، ص ٨٣.

٤. الكافي، ج ٥، ص ٤٧.

عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ ما كانُوا أَوْلِياءَهُ إِنْ أَوْلِياؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ»[١].

٢. إنّ الكعبة بيت الله، و الحرم المكّي حرم الله، و لابدّ من أن تتجلّى في هذه الأماكن المقدّسة و المشاعر المعظّمة عبوديّة الإنسان لربّه بكلّ أبعادها و مختلف تجليّاتها.

و خير مَن يجسّد هذه العبوديّة هم المؤمنون بالله الواحد الأحد، فإنّ الشرك ينقص من مقام العبوديّة. و لأجل ذلك اختار صلى الله عليه و آله بيان هذه الحقيقة و إسقاط هذه المغالطة الّتي يمارسها المدّعون لها كذباً و زوراً.

٣. إنّ اختيار العبوديّة لتكون أوّل مفهومٍ يطرح في هذه المناسبة يؤكّد على أنّ هذا الفتح العظيم لم يُخرِج هؤلاء الفاتحين عن حالة التّوازن و لم يوجب لديهم حالةً من الغرور، بل زادهم ذلك تواضعاً و خضوعاً له واستسلاماً لإرادته و مشيئته تعالى.

٤. إنّ هذا الشّعار الّذي نادى به المسلمون في فتح مكّة دعوة لأهلها إلى قبول الحقّ و الدّخول في دين الله و التّوبة و الاستغفار و طلب الرّحمة؛ كما أنّه شعار يتضمّن إنذاراً لهم بضرورة التّخلّي عن المكابرة و الجحود، لأنّ ذلك سوف يعرضهم لغضب الله و سخطه، و ستجري عليهم و فيهم أحكامه و شرايعه.

منزل النّبيّ صلى الله عليه و آله في مكّة

رُوي عن ابن عبّاس أنّه قال: دخل النّبيّ صلى الله عليه و آله مكّة يوم الإثنين.[٢]

و عن أبي جعفر قال: كان أبو رافع قد ضرب لرسول الله صلى الله عليه و آله قبّةً بالحَجون من

---

١. الأنفال: ٣٤.

٢. السيرة الحلبيّة، ج ٣، ص ٨٥.

آدم، فأقبل رسول الله ﷺ حتّى انتهى إلى القبّة و معه أمّ سلمة و ميمونة زوجتاه.[١]

عن جابر – رضي الله عنه – قال: كنت ممّن لزم رسول الله ﷺ فدخلت معه يوم الفتح، فلمّا أشرف ﷺ من أذاخر و رأى بيوت مكّة وقف عليها، فحمد الله و أثنى عليه و نظر إلى موضع قبّته، فقال: «هذا منزلنا يا جابر، حيث تقاسمت[٢] قريش علينا في كفرها»... و كنّا بالأبطح وِجاه شِعب أبي طالب حيث حُصِر رسول الله ﷺ و بنو هاشم ثلاث سنين.[٣]

قال الصّالحي الشّامي: الحكمة في نزول النّبي ﷺ بِخَيْف[٤] بني كنانة، الّذي تقاسموا فيه على الشّرک، أي تحالفوا فيه على إخراج النّبي ﷺ و بني هاشم إلى شِعب أبي طالب، و حصروا بني هاشم و بني المطّلب فيه، ليتذكّر ما كان فيه من الشّدة فيشكر الله تعالى على ما أنعم عليه من الفتح العظيم و تمكّنه من دخول مكّة ظاهراً على رغم من سعى في إخراجه منها.[٥]

و قال أيضا: لا مخالفة بين حديث نزوله ﷺ بالمُحَصَّب و بين حديث أمّ هاني أنّه نزل في بيت أمّ هاني، لأنّه لم يقم في بيت أمّ هاني و إنّما نزل به حتّى اغتسل و صلّى، ثمّ رجع إلى حيث ضُربت خيمته عند شِعب أبي طالب و هو المكان الّذي حصرت فيه قريش المسلمين قبل الهجرة.[٦]

---

١. سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ٢٣٠، و السيرة الحلبيّة، ج ٣، ص ٨۵.

٢. تقاسمت: تحالفت.

٣. راجع: سبل الهدى و الرّشاد، ج ۵، ص ٢٣٠ عن الواقدي.

۴. الخَيْف: ما انحدر من غِلَظ الجبل و ارتفع عن مسيل الماء.

۵. نفس المصدر، ص ٢۶٧.

۶. نفس المصدر، ص ٢۶٨.

طواف النّبيّ ﷺ و تحطيم الأصنام

قالوا: دخل رسول الله ﷺ مكّة بغير إحرامٍ و عليه السّلاح و مكث في منزله ساعة من النّهار حتّى اطمأنّ النّاس، فاغتسل و ركب راحلته القَصواء و قد حفّ النّاس به.

فلمّا انتهى إلى الكعبة، استلم الرّكن بِمِحْجَنِه[1]، و كبّر، فكبّر المسلمون بتكبيره فرجّعوا التّكبير، حتّى ارتجّت[2] مكّة تكبيراً، حتّى جعل رسول الله ﷺ يشير إليهم أن اسكتوا؛ و المشركون فوق الجبال ينظرون.

و طاف رسول الله ﷺ بالبيت، فأقبل على الحجر فاستلمه، ثمّ طاف بالبيت.[3] ثمّ انتهى المقام، فصلّى ركعتين، ثمّ انصرف إلى زمزم، فأطلع فيها، و نزع له العبّاس بن عبدالمطّلب دلواً فشرب منه و تَوَضَّأ،[4] و المسلمون يبتدرون وضوء رسول الله ﷺ يصبّونه على وجوههم، و المشركون ينظرون إليهم و يتعجّبون و يقولون: ما رأينا مَلِكاً قطّ أبلغ من هذا و لا سمعنا به.

و أمر بِهُبَل، فَكُسِرَوهو واقف عليه. فقال الزّبير لأبي سفيان: يا أباسفيان، قد كُسِرَ هبل، أما إنّك قد كنت منه يوم أحد في غرورٍ حين تزعم أنه أنعَم. قال: دع عنك هذا يابن العوّام، فقد أرى لو كان مع إله محمّد غيره لكان غير ما كان.[5]

و كان حول الكعبة ثلاثمائة و ستّون صنماً مرصّعةً بالرّصاص، و كان هبل أعظمها و هو وِجاه الكعبة[6] و إساف و نايلة حيث ينحرون و يذبحون الذّبائح و في

---

١. المِحْجَن، العصا المنعطفة الرّأس كالصّولجان.

٢. ارتجّت مكّة:اضطرب أهلها.

٣. سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ٢٣٣ و مستدرک الحاکم، ج ٣، ص ٢۴۴.

۴. سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ٢٣۵، و المغازي للواقدي، ج ٢، ص ٨٣٢.

۵. سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ٢٣۵.

۶. و جاه الكعبة: مقابلها.

يد رسول الله صلى الله عليه وآله قوس[۱] و قد أخذ بِسِيَةِ القوس،[۲] فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله كلّما مرّ بصنم منها يشير إليه و يطعن في عينه و يقول: «جاء الحق و زهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً».[۳] فما يشير إلى صنم إلّا سقط لوجهه – و في لفظ لِقَفاه – من غير أن يَمَسَّه.[۴]

قال الصالحي الشامي: عن علي عليه السلام قال: انطلق رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى أتى بي الكعبة، فقال اجلس، فجلست بجنب الكعبة، فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله على منكبي، فقال: انهض، فنهضت فلمّا رأى ضعفي تحته، قال: اجلس، فجلست، فقال: يا علي اصعد على منكبي، ففعلتُ .. . فصعدت فوق الكعبة، و تنحّى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: ألقِ صنمهم الأكبر و كان من نحاس موتّد بأوتاد من حديد إلى الأرض، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: عالِجْه و يقول لي: «أيه أيه» جاء الحق و زهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً، فلم أزل أعالجه حتّى استمكنتُ منه.[۵]

و في بعض المصادر: أنّه عليه السلام جمع الحطب و أوقد ناراً، ثمّ وضع قدمه على عضد النّبي صلى الله عليه وآله و صار يأخذ الأصنام عن جدار الكعبة و يُلقيها في النّار.[۶]

لماذا لم يباشر النّبي صلى الله عليه وآله تحطيم الأصنام؟

ثمّ إنّ ما يدعو إلى التأمّل هنا: أنّ النّبي صلى الله عليه وآله تولّى بنفسه مع أخيه علي عليه السلام

---

۱. قوس: عود.

۲. سِيَةُ القوس: هو ما عطف من طرف القوس.

۳. الاسراء، الآيه ۸۱.

۴. سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ۲۳۴ عن أبي نعيم و البيهقي و ابن إسحاق و ابن مندة و الواقدي.

۵. نفس المصدر، ص ۲۳۶.

۶. أنيس الجليس للسّيوطي (ط سنة ۱۲۹۱ هـ) ص ۱۴۸ و إحقاق الحق (الملحقات) ج ۱۸، ص ۱۷).

هذا العمل، مع أنّه كان من الممكن أن يُوكَل هذا العمل إلى بعض من كان معه من المسلمين، فلِماذا كان ذلك و ما الحكمة فيه؟

و نقول: لعلّ نفس مبادرة نبي الله ﷺ و وصيّه عليه السلام إلى تحطيم مظاهر الشّرك في بيت الله لتدلّ على أنّ وجودها كلّه مبغوض لله تعالي، و لا يجوز الاحتفاظ بها تحت أي عنوان من العناوين.

البيعة

عن الأسود بن خلف: أنّه رأى رسول الله ﷺ يبايع النّاس يوم الفتح. قال: جلس عند قرن مَسْقَلَة فبايع النّاس على الإسلام، فجاءه الكبار و الصّغار و الرّجال و النساء، فبايعهم على الإيمان بالله تعالى و شهادة أن لا إله إلّا الله و إنّ محمّداً عبده و رسوله.[1]

و قال ابن جرير: «فأخذ على النّاس السّمع و الطّاعة لله و لرسوله فيما استطاعوا».[2]

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

فلمّا فرغ من بيعة الرّجال بايع النّساء و فيهنّ هند بنت عتبه، امرأة أبي سفيان، متنقّبة متنكّرة خوفاً من رسول الله ﷺ أن يُخبرها بما كان من صنيعها بحمزة.[3]

و كان رسول الله ﷺ لا يصافح النّساء و لا يمسّ جلدة امرأة لم يحلّها الله تعالى له، أو ذات محرمٍ. فدعا بقدح من ماء فأدخل يده ثمّ أخرجها، فقال: ادخلن أيدكنّ في هذا الماء ، فهي البيعة.[4] و في رواية: ما كان يبايعهنّ إلّا كلاماً، و يقول:

---

١. سبل الهدى و الرشاد ، ج ۵، ص ٢۴٧ عن احمد و البيهقي.

٢. سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ٢۴٧، و تاريخ الخميس، ج ٢، ص ٨٩.

٣. السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٩۶.

۴. راجع:الكافي، ج ٣، ص ۶۶، و البحار، ج ٢١، ص ١٣۴ و ١١٣ و ١١٧، و ج ۶۴، ص ١٧٨.

إنّما قولي لامرأةٍ واحدةٍ كقولي لمائة امرأة.[۱]

و روي علي بن إبراهيم،عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، عن أبان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا فتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكّة بايع الرّجال، ثمّ جاء النّساء يبايعنه، فأنزل الله عزّوجلّ: «يا أيها النّبي إذا جاءَكَ الْمُؤْمِناتُ يبايِعْنَکَ عَلى أنْ لا يشرِكْنَ بِاللّهِ شَيئاً وَ لا يسرِقْنَ وَ لا يـزْنينَ وَ لا يقْـتُلْنَ أوْلادهُـنَّ وَ لا يـأْتينَ بِبُهْتانٍ يفْتَرينَهُ بَينَ أيديهِنَّ وَ أرْجُلِهِنَّ وَ لا يعْصِينَکَ فِي مَعْرُوفٍ فَبايعْهُنَّ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللّهَ إنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».[۲][۳]

تجديد أنصاب الحرم

قالوا: أوّل من نصب أنصاب الحرم إبراهيم عليه السلام، كان جبرئيل عليه السلام يدلّه على مواضعها، فلم تحرّک حتّى كان إسماعيل عليه السلام فجدّدها؛ ثمّ لم تحرّک حتّى كان قُصي بن كلاب فجدّدها؛ ثمّ لم تحرّک حتّى كان يوم الفتح، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله تميم بن أسد الخزاعي، فجدّد أنصاب الحرم.[۴]

و نقول: إنّ هذا التّسلسل يشير إلى أنّ هناک أناساً اختارهم الله تعالى لهذا الأمر و لعلّنا نستطيع أن نفهم من اختيار هؤلاء الأشخاص لذلک أمرين:

أحدهما: إنّ قصي بن كلاب -- و هو أحد آباء رسول الله صلى الله عليه وآله -- لم يكن إنساناً عاديّاً، بل كان من ذوي المراتب العليا و لعلّ الحديث الّذي يقول: «مازال الله

---

۱. السيرة الحلبيّة، ج ۳، ص ۹۴ و ۹۶، و سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ۲۴۷ و ۲۴۸، و البحار، ج ۲۱، ص ۹۸.

۲. الممتحنة: ۱۲.

۳. راجع: وسائل الشيعه (ط. مؤسسة آل البيت) ، ج ۲۰، ص ۲۱۱، و تفسير الصافي، ج ۵، ص ۱۶۶، و تفسير نور الثقلين، ج ۵، ص ۳۰۷، و تفسير الميزان،ج ۱۹، ص ۲۴۶.

۴. سبل الهدى و الرشاد، ج ۱، ص ۲۰۳، و ج ۵، ص ۲۴۹ عن الواقدي و الأزرقي.

ينقلني من صلب نبي إلى صلب نبي، حتّى أخرجني من صلب أبي، عبدالله»[1] يدل على أنّ قصياً كان من الأنبياء أيضاً.

الثاني: إنّ الّذين تصدّوا لوضع أنصاب الحرم و لتجديدها، هم رسول الله صلى الله عليه وآله و آباؤه الطّاهرون و ليس فيهم أي نبي من غير آبائه. و في هذا إشارة إلى موقع رسول الله صلى الله عليه وآله من هذا البيت و هذا البلد، و اختصاص إبراهيم و إسماعيل و ذريّته به، كما أنّ اقتران اسم قصي باسم هؤلاء الأنبياء العظام يدلّ على مقامه و علوّ درجته أيضاً.

عَتّاب بن اَسيد على مكّة

قالوا: و ولىّ رسول الله صلى الله عليه وآله عَتّابَ بن أسيد – و عمره ثماني عشرة، أو إحدى و عشرون سنة – أمر مكّة، و أمره أن يصلّي بالنّاس، و هو أوّل أمير صلّى بمكّة بعد الفتح جماعةً.

و قال له: يا عَتّاب، أتدري على مَن استعملتک؟ استعملتک على أهل الله، فاستوص بهم خيراً. يقولها ثلاثاً.

و لمّا ولّاه على مكّة جعل له في كلّ يومٍ درهماً، فكان يقول: لا أشبع الله بطناً جاع على درهم في كلّ يومٍ. و يُروي: أنّه قام فخطب النّاس، فقال: يا أيّها النّاس أجاع الله كبد من جاع على درهم (أي له درهم) فقد رزقني رسول الله صلى الله عليه وآله درهماً في كلّ يومٍ ، فليست لي حاجة إلى أحدٍ.[2]

إنّ عتّاب بن أسيد قد أسلم يوم الفتح، و قد كان في المهاجرين المكّيين، مَن هو أفضل و أورع و أتقى و أكثر تجربةً منه بلا شكّ؛ ولكنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله في نفس

---

١. سبل الهدى و الرشاد، ج ١، ص ٢٣٥، و راجع: مجمع الزوائد، ج ٧، ص ٨٦، و تفسير السمعاني، ج ۴، ص ٧١، و تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٣۶۵.

٢. السيرة الحلبيّة (ط. دار المعرفة) ج ٣، ص ۵٩ – ۶٠.

الوقت الّذي يريد أن يكون والي مكّة من قريش، فإنّه أراده ممّن يعيش في مكّـة، و ممن أسلم يوم الفتح بالذّات، فإنّ حقد عتاة قريش عليه أضعف، و حسّاسيّتهم منـه تكون أقلّ

و أراده أيضاً بهذا السّن أن يبقيه لآخِر حياته؛ لأنّ ذلک يُبطل ما سوف يتـذرّع به نفس هؤلاء نصرةً لأحبّائهم لردّ خلافة أميرالمؤمنين عليه السلام بعـد رسـول الله صلى الله عليه و آله و هو أنّ من اختاروه كان أكبر سنّاً من علي، عليه السلام و أنّ النّاس لا يرضـون بعلـي عليه السلام بسبب حداثة سنّه و هذه الذّريعة سوف تظهر على رغم وجود عَتّاب أميراً على مكّة فعلاً. و مع أمارة أسامة عليهم في المدينة فعلاً أيضاً، و رغم أنّهـم قـد بـايعوه يـوم الغدير و... .

إنّ ذلک كلّه يوضح: أنّ قضيّة تولية عَتّاب كانت في غاية الأهميّة و في منتهـى الحسّاسيّة.

الفصل الحادي عشر

غزوة حنين

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بداية

إنّ النّصوص التّاريخيّة تؤكّد على: أنّ قبيلة هوازن هي الّتي بادرت إلى جمع الجموع و تحرّكت من أماكن سكناها باتّجاه المسلمين لتورد ضربتها الحاسمة فيهم، فلمّا سمع رسول الله صلى الله عليه وآله بجمعها و بتحرّكها، سار إليها، و سنحاول في هذا الفصل متابعة أهمّ أحداث هذا التّحرك، و الأجواء المهيمنة على هذا المسير، فنقول:

هوازن تَحشّدُ[1] و تستعدّ

قال أئمّة المغازي: لمّا فتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكّة، مشت أشراف هوازن و ثقيف بعضها إلى بعض، وأشفقوا أن يغزوهم رسول الله صلى الله عليه وآله، فَحَشَدُوا و بَغَوا، و قالوا: والله، إنّ محمّداً لاقى قوماً لا يُحسنون القتال، فأجمعوا أمركم و سيروا إليه قبل أن يسير إليكم.

فجمعها مالك بن عوف – و هو يوم حنين ابن ثلاثين سنة – و كان جملة من اجتمع إليه من بني سعد و ثقيف أربعة آلاف، و انضمّت إليهم أعداد من سائر العرب جموع كثيرة، كان مجموعهم ثلاثين ألفاً، و جعلوا أمر الجميع إلى مالك.[2]

فلمّا أجمع مالك المسير بالنّاس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، أمر النّاس، فخرجوا معهم

---

١. حَشَد الشّيء: جمعه و منه حَشَدَ الجنود للحرب.

٢. السيرة النبوية لدحلان (ط. دار المعرفة) ج ٢، ص ١٠٧.

أموالهم و نساؤهم و أبناؤهم، ثمّ انتهى إلى أوطاس[١] فعسكر به، و جعلت الأمداد[٢] تأتي من كلّ جهة.

الاستعدد للرّحيل و عقد الألوية

بلغ رسول الله ﷺ اجتماع هوازن بأوطاس، فجمع القبائل و رغّبهم في الجهاد، و وعدهم النّصر و أنّ الله قد وعده أن يغنمه أموالهم و نساءهم و ذراريهم. فرغب النّاس و خرجوا على راياتهم و عقد اللّواء الأكبر و دفعه إلى أميرالمؤمنين عليه السلام، و كلّ من دخل مكّة براية، أمره أن يحملها و خرج في اثني عشر ألف رجل، عشرة آلاف من المدينة و ألفين من أهل مكّة.[٣]

و خرج إلى حنين[٤] لستّ خلون من شهر شوّال،[٥] و انتهى إلى حنين لعشر خلون من شوّال،[٦] و كان قد سبقهم مالك بن عوف، فأدخل جيشة باللّيل في ذلك الوادي و فرّقهم على الطّرق و المداخل،[٧] و بشّرهم بالفتح إن صدقوا و صبروا. و قدّم خالدَ بن الوليد في بني سَليم و أهل مكّة و جعل ميمنةً و ميسرةً و قلباً؛ كان رسول الله ﷺ فيه.

أمّا مالک بن عوف، فعبّأ أصحابه في وادي حنين – و هو وادٍ أجوف خطوط ذو

١. أوطاس: وادي في ديار هوازن، و الصّحيح أنّه غير وادي حنين.

٢. الأمداد: جمع مدد و هو الجيش.

٣. البحار، ج ٢١، ص ١٤٧ و ١٤٩ و ١٥٥ و ١٦٥، و تفسير القمّي، ج ١،ص ٢٨۶، و سبل الهدى و الرشاد ، ج ۵، ص ؟؟.

۴. حُنين وادٍ إلى جنب ذي المجاز، قريب من الطّائف، بينه و بين مكّة بضعة عشر ميلاً.

۵. السيرة النبوية لدحلان (ط. دار المعرفة) ج ٢، ص ١٠٨.

۶. سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ٣١۶ و ٣١٨ و ٣۴۶.

٧. تاريخ الخميس، ج ٢، ص ١٠١.

شعاب و مضايق و فرّق النّاس فيها و اوعز[1] إليهم أن يحملوا على رسول الله و أصحابه حملةً واحدةً.

الهزيمة في اللّحظات الأولى

إنّه لا ريب في وقوع الهزيمة على المسلمين في أوّل صدام لهم مع المشركين، و قد كان خالد بن الوليد مع بني سُليم في مقدّمة الجيش، فخرج عليهم كتائب هوازن من كلّ ناحية، فانهزمت بنوسُليم، و انهزم مَن وراءَهم.[2]

و زعموا أنّ المشركين قد كمنوا في المضايق و الشِّعاب، فهاجموهم، ثمّ كانت الهزيمة.[3] و هذا الكلام موضع ريب و شكّ.

أوّلاً: أنّ الموضع الّذي أختير للقتال لم يكن فيه مضايق و لا شعاب؛ لأنّ دُرَيْدُ بن الصِّمَة حين لمس الأرض و سأل عنها، و أخبروه باسمها، قال: نعم مجال الخيل. فالموضع الصّالح لجولان الخيل لابدّ أن يكون متّسعاً ليس فيه عوائق.

ثانياً: إنّه لا يصحّ قولهم: إنّ الكمين هوالّذي هزمهم، فقد صرّحت رواية البَراء بن عازب: بأنّ الجيشين قد تواقفا، و أنّ جيش المسلمين قد حمل على المشركين فكشفهم، فانكَبُّوا[4] على الغنائم، فاغتنمها منهم المشركون فرصة ، فرشقوهم بالسّهام.[5]

ثالثاً: إنّ الهزيمة إنّما وقعت على خصوص بني سُليم و من جهة واحدة، و لو كان الهجوم من المضايق و الشِّعاب، أو على خصوص أهل مكّة لم يتّبعهم غيرهم.

---

١. أوعز إليه في كذا أن يفعله: تقدّم و أشار.

٢. تفسير القمي، ج ١، ص ٢٨٧، و البحار، ج ٢١، ص ١٤٩ عنه.

٣. السيرة النبوية لدحلان (ط. دار المعرفة) ج ٢، ص ١٠٩، والسيرة الحلبية، ج ٣، ص ١٠٨.

٤. انكبّ على أمر: أقبل عليه و لزمه.

٥. السيرة النبوية لدحلان (ط.دارالمعرفة)،ج٢،ص١٠٩، والسيرة الحلبية، ج٣،ص١٠٨ .

فإن قيل: لماذا اختار الرّسول ﷺ مقدّمة جيشه من هؤلاء، مع أنّ احتمال هزيمتهم جبناً و خوراً، أو تآمراً و كيداً كانت قريبة و ظاهرة؟

نقول: إنّ من جملة مقاصده:

١. إنّ ذلک يطمئنّ زعماء مكّة و الزّعامات الأخرى في المنطقة إلى أنّه يقبلهم في المجتمع الإسلامي و يعاملهم فيه كغيرهم، و لا يريد أن ينتقم من أحد.

٢. و ليعلم الجميع: أنّ دخولهم في الإسلام لا ينقص من قدرهم و لا يوجب الخسران لهم، بل هو يعلي من مقامهم و يمنحهم العزّة و الكرامة.

٣. إنّ أهل المنطقة إذا رأوا أنّ الّذين يخشون سطوتهم هم الّذين يدعونهم إلى هذا الدّين، بل هم يحاربونهم دفاعاً عنه و عن أهله و عن نبيّه.

ما الّذي جرى بعد الهزيمة؟

إنّ المسلمين انهزموا عن رسول الله ﷺ في حنين بلا مبرور، و قد أنزل الله في فعلتهم هذه قرآناً يسجّل ملامتهم و يجاهر بتوبيخهم و يعلن: أنّ الله سبحانه قد أنزل سكينته على رسول الله ﷺ و على خصوص المؤمنين الّذين جاهدوا و صمدوا و لم يفرّوا.

ثمّ جرت أحداث و معالجات للموقف من قِبَلِ رسول الله ﷺ انتهت بهزيمة المشركين. إنّنا نستطيع أن نجمل ما جرى من حين الهزيمة إلى حين عودة بعض المسلمين بمايلي.

١. محاولات لاغتيال النّبي ﷺ.

٢. حين وقعت الهزيمة صار ﷺ يركض بغلته قِبَلَ الكفّار و قد شهر سيفه، ثمّ نزل عنها و صار يتقدّم نحوهم.

٣. أمر رسول الله ﷺ عمّه العبّاس بأن يصعد مرتفعاً لينادي المسلمين و يذكّرهم العهد لكي يرجعوا، و قد ناداهم النّبي ﷺ نفسه أكثر من مرّة: يا لَلأنصار.

۴ . رفع صلى الله عليه و آله يديه إلى السّماء و صار يدعو بما دعا به موسى عليه السلام حين فلق له البحر.

۵. أخذ كفّاً من حصى أو من تراب و رمى به في وجوه المشركين و قال: «شاهت الوجوه».

۶. تولّى علي عليه السلام قتال الكفّار، و الباقون من بني هاشم، احتوشوا النّبي صلى الله عليه و آله ليكونوا جداراً بشرياً له، يحميه من العدوّ.

۷. أنزل الله تعالى جنوداً من الملائكة لتكون مع المسلمين.

۸. حَمِي وَ طيس الحرب[1]، حتّى كُسرت شوكة المشركين بجهاد علي عليه السلام و صبر النّبيّ صلى الله عليه و آله. ثمّ بدأت عودة بعض الأنصار و خصوصاً من الخزرج إلى ساحة القتال.

و إليک تفصيل بعض هذه المفردات، فنقول:

ألف. النّبيّ صلى الله عليه و آله يعالج الموقف

قال الشّيخ المفيد: «و لمّا رأى رسول الله صلى الله عليه و آله هزيمة القوم عنه، قال للعبّاس – و كان رجلاً جَهورياً صَيّتاً – نادِ في القوم و ذكّرهم العهدَ. فنادى العبّاس بأعلى صوته: يا أهل بيعة الشّجرة، يا أصحاب سورة البقرة،[2] إلى أين تفرّون؟ اذكروا العهد الّذي عاهدتم عليه رسول الله صلى الله عليه و آله و القوم على وجوههم قد ولّوا مدبرين، و كانت ليلة ظلماء... فنظر رسول الله صلى الله عليه و آله إلى النّاس ببعض وجهه في الظّلماء، فأضاء كأنّه القمر ليلة البدر، ثمّ نادى المسلمين: أين ما عاهدتم الله عليه؟ فأسْمَعَ أوّلهم و

---

١. الوَطيس: التنّور و ما أشبهه، و حَمِي الوطيس، اشتدّ الحرب.

٢. وجه تسميتهم بأصحاب سورة البقرة، أنّ هذه السّورة هي أوّل سورة نزلت في المدينة، فلعلّ هذا النّداء يرمي إلى تذكيرهم ببعض آياتها الّتي تقول: «و أوفوا بعهدي أوف بعهدكم» (الآية:٤٠). و تقول: «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله» (الاية : ٢٤٩) و تقول: «و من النّاس من يشتري نفسه ابتغاء مرضات الله و الله رؤوف بالعباد» (الاية : ٢٠٨)

آخرهم، فلم يسمعها رجل إلّا رمى بنفسه إلى الأرض، فانحدروا إلى حيث كانوا من الوادي، حتّى لحقوا بالعدوّ فقاتلوه».[1]

يظهر من سياق رواية المفيد: أنّ النّاس لم يصغوا إلى نداء العبّاس، بل مرّوا على وجوههم في هزيمتهم، فلمّا ناداهم النّبيﷺ: «أين ما عاهدتم الله عليه»؟ لم يسمعها رجل إلّا رمى بنفسه إلى الأرض، الخ. فلا يصحّ قولهم: إنّ عودة الأنصار كانت لسماعهم نداء العباس.[2] غير أنّ لنا تحفّظاً على قوله: «لحقوا بالعدوّ فقاتلوه» إذ إنّ الدّلائل و الشّواهد تشير إلى أنّهم لم يقاتلوهم.

ب. هزيمة المشركين على يد عليعليه‌السلام

و قد ذكرت الرّوايات: أنّه لمّا عاد الأنصار للقتال، قال رسول اللهﷺ: «الآن حَمِيَ الوطيس».[3]

و نقول: إنّ الهزيمة للمشركين قد حصلت على يَدَي عليعليه‌السلام، فإن كان قد قال هذه الكلمة، فقد قالها حين اشتدّ القتال بين المشركين و بين عليعليه‌السلام، لا بين المسلمين بعد عودتهم و المشركين؛ إذ إنّهم بعد عودتهم لم يرمِ أحدٌ منهم بسهمٍ، و لم يطعن برمحٍ و ذلک لمايلي:

۱. روي عن أنس و عِكرمة، قالا: لمّا انهزم المسلمون بحنين و رسول اللهﷺ على بغلته الشّهباء – و كان اسمها دُلدُل – فألزقت بطنها بالأرض، فأخذ رسول اللهﷺ حفنةً من تراب، فرمى بها في وجوههم و قال: «حم لا يُنصرون»، فانهزم

---

۱. البحار، ج ۲۱، ص ۱۶۷ و راجع: ص ۱۵۶ و ۱۵۷، و الإرشاد، ج ۱، ص ۱۴۲.

۲. راجع على سبيل المثال: سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ۳۲۳، و مجمع البيان، ج ۵، ص ۱۷ و ۱۸، و المعجم الكبير للطّبراني، ج ۷،ص ۲۹۹، و الثقات، ج ۲، ص ۶۹.

۳. سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ۳۲۸، و إعلام الورى، ص ۱۲۲، و البحار، ج ۲۱، ص ۱۵۷ و ۱۶۷.

القوم، و ما رمَينا بسهمٍ و لا طعنّا برمحٍ.[1]

٢. و عن أنس أيضاً: أنّه صلى الله عليه وآله بقي وحده، فنادى الأنصار عن يمينه تارة و عن يساره أخرى بندائين لم يخلط بينهما، فلبّوه بأنّهم معه، فهزم الله المشركين و لم يُضْرب بسيف و لم يطعن برمح.[2]

٣. قال ابن إسحاق: «و رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من جهة المشركين بعد انهزامهم إلى العسكر و أمر ان يُقتَلَ كلّ من قدر عليه، و ثاب[3] من انهزم من المسلمين».[4] فإنّه ظاهرٌ في أنّ عودة من انهزم قد كانت بعد انقضاء الأمر.

٤. قولهم: فو الله، مارجعت راجعة للمسلمين حين هزيمتهم حتّى وجدوا الأسارى مكتوفين عند رسول الله صلى الله عليه وآله.[5] فإنّه صريح في أنّ هزيمة المشركين وقعت، و أُسِرَ مَن أسِر منهم قبل رجعة راجعة المنهزمين، و هذا معناه: أنّ المنهزمين لم يشاركوا في القتال بعد عودتهم.

٥. إنّ أحاديث: أنّه صلى الله عليه وآله حثّ التراب في وجوه المشركين، فهزمهم الله، تدلّ على أنّ المشركين انهزموا من دون أن يباشر المسلمون العائدون من الهزيمة أي قتال معهم.

فكلّ هذه الدّلائل و الشّواهد تدلّ على أنّه لم يَحارب أحد من المسلمين، بل الّذي قاتل هو خصوص علي عليه السلام و قد قتل أربعين رجلاً بيده حسب تصريحهم. و هو ما روي عن الإمام الصّادق عليه السلام أيضاً.[6]

---

١. مجمع الزوائد، ج ۶، ص ١٨٣، و سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ٣٢۴.

٢. سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ٣٢۵ عن ابن أبي شيبة، و أحمد، و الحاكم، و ابن مردوية.

٣. ثاب: رجع بعد ذهابه.

۴. سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ٣٣٢ عن ابن إسحاق.

۵. نفس المصدر، ص ٣٢٣.

۶. الكافي، ج ٨، ص ٣٧۶، و البحار، ج ٢١، ص ١٧۶ و ١٧٨ و ١٧٩، و ج ۴١، ص ٩۴ و ۶۶ عنه و عن مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٢٩۵ و ٢٩۶.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم إسلامي

قال أنس: «و كان عليه السلام يومئذ أشدّ النّاس قتالاً بين يديه».[1]

ج ـ نزول السّكينة

قال الطّبرسي: «ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ أَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها»[2] حين رجعوا إليهم و قاتلوهم. و قيل: على المؤمنين الّذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ: علي، و العبّاس في نفر من بني هاشم. عن الضّحّاك.[3]

و رُوي في قول الله تعالى: «وَ أَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها» قال: هم الملائكة. «و عذّب الّذين كفروا» قال: قتلهم بالسّيف. و رُوي أيضاً عن سعيد بن جبير، قال: «في يوم حنين أمدّ الله تعالى رسوله ﷺ بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين...».[4]

و قد زعموا أنّ سبب نزول السّكينة على المسلمين ليس هو جبنهم، فإنّ فرار المسلمين لم يكن عن جبن، و إنّما كان بسبب مفاجأة هوازن و ثقيف لهم، حيث شدّوا عليهم شدّة رجلٍ واحدٍ، فاحتاجوا إلى السّكينة، فأنزلها الله عليهم.

و احتاجها أيضاً رسول الله لأجل ما دخله من الحزن و الاضطراب و الأسف ممّا جرى على المسلمين.

و الدّليل على أنّ جبنهم ليس هو السّبب: أنّهم رجعوا إلى ساحة القتال بمجرّد سماعهم لنداء العبّاس.

و نقول: إنّ ذلک لا يمكن قبوله و ذلک:

أوّلاً: إنّ ظاهر الآيات من سورة التّوبة هو: أنّهم قد فرّوا جبناً و خوفاً، لأنّهم اعتقدوا أنّ كثرتهم تغني عنهم في ساحة القتال، و لم يفكّروا بأنّ عليهم أن يرجعوا

---

۱. سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ۳۲۴ عن أبي يعلي و الطبراني، و مجمع الزوائد، ج ۶، ص ۱۸۰ و ۱۸۲.

۲. التوبة: ۲.

۳. مجمع البيان، ج ۵، ص ۱۷ و ۱۸.

۴. سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ۳۲۷ عن ابن أبي حاتم.

إلى الله و يعتمدوا عليه، و لم يتذكّروا ربّهم الّذي نصرهم في ثمانين موطناً.

ثانياً: إنّ الآيات المشار إليها إنّما هي بصدد لومهم و تأنيبهم على فرارهم و تولية أدبارهم؛ الأمر الّذي يوجب لفاعله: أن يبوء بغضب من الله كما دلّت عليه الآية الشّريفة: «وَ مَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَةٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَ مَأْواهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ»[1].

فتولية الأدبار المحرّمة في الحرب توجب الغضب الإلهي، سواءٌ أكان بسبب الاضطراب النّاشي من المفاجأة أو بسبب الجبن.

ثالثاً: إنّ أسف النّبي صلّى الله عليه و آله و حزنه على ما صدر من أصحابه، حيث لم يعتصموا بالله، أمر محمود و محبوب لله تعالى و لا شأن للسّكينة به و لا يمكن أن يكون مبغوضاً، و مع غضّ النّظر عن ذلك، فإنّه صلّى الله عليه و آله معصومٌ و لا يصدر منه ما يكون مبغوضاً.

د. الثّابتون في حنين

قال الحلبي و غيره: «وردت في عدد من ثبت معه صلّى الله عليه و آله روايات مختلفة. فقيل: مائة. و قيل: أقلّ و قيل: ثلاثمائة. و قيل ثمانون. و قيل: اثنا عشر. و قيل: عشرة».[2] و عدّوا من الرّجال الّذين ثبتوا في حنين أشخاصاً كثيرين.

قال الصّالحي الشّامي! عن الحَكَم بن عُتَيْبَة، قال: لم يبق معه إلّا أربعةٌ؛ ثلاثة من بني هاشم و رجل من غيرهم؛ علي بن أبي طالب، و العبّاس، و هما بين يديه، و أبوسفيان بن الحارث آخذ بالعنان، و ابن مسعود من جانبه الأيسر. قال: فليس يُقبَل أحدٌ إلّا قُتِلَ و المشركون حوله صَرعى».[3]

١. الانفال: ١٦.

٢. راجع: السيرة الحلبيّة، ج ٣، ص ١٠٨، و السيرة النبوية لدحلان، ج ٢، ص ١١٠.

٣. سبل الهدى و الرشاد، ج ٥، ص ٣٢٩.

و قال الشّيخ المفيد: «و لم يبق منهم مع النّبي صلى الله عليه وآله إلّا عشرة أنفس: تسعة من بني هاشم خاصّة و عاشرهم أيمن بن أمّ أيمن، فَقُتِل أيمن و ثبتت التّسعة الهاشميّون حتّى ثاب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من كان انهزم، فرجعوا أوّلاً فأوّلاً حتّى تلاحقوا... .

و من ثبت معه من بني هاشم... العبّاس بن عبدالمطّلب عن يمين رسول الله صلى الله عليه وآله، و الفضل بن العبّاس عن يساره، و أبو سفيان بن الحارث مُمسِکٌ بسرجه عند ثَفرِ[1] بغلته، و أميرالمؤمنين عليه السلام بين يديه يضرب بالسّيف، و نوفل بن الحارث، و ربيعة بن الحارث، و عبدالله الزّبير بن عبدالمطّلب، و عتبه و مُعَتّب ابنا أبي لهب حوله، و قد ولّت الكافّة مدبرين سوى من ذكرناه».[2]

و کذلک عدّهم سائر المؤرّخين کابن قتيبة في المعارف، و الثّعلبي في الکشف، و اليعقوبي في تاريخه، و ابن شهر آشوب في المناقب، فراجع،[3] غير أنّ البحث العلمي و الموضوعي لا يسمح بالجزم بثبات أحدٍ سوى علي أميرالمؤمنين عليه السلام فإنّه هو الوحيد المتسالم على ثباته من بين جميع من ذكروهم، و من الرّاجح أيضاً أن يکون هناک جماعة من بني هاشم قد أحاطوا بالنّبي صلى الله عليه وآله خوفاً من أن يناله سلاح الکفّار.[4] أمّا القتال فکان محصوراً بعلي عليه السلام.

مقارنتان بين بدر و حنين

إنّ هناک خصوصيّات تتشارک فيها غزوتا بدر و حنين، نذکر منها:

---

١. الثَّفر: سير من الجلد في مؤخّر السّرج.

٢. الإرشاد، ج ١، ص ١٤٠ و ١٤١ (ط. دار المفيد)

٣. المعارف، ص ١٦٤؛ البحار، ج ٤١، ص ٩٣ و ٩٤ و عن مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٦٠٤ و (ط. المکتبة الحيدرية)، ج ٢، ص ٣٣٠؛ و تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٦٢.

٤. البحار، ج ٤٩، ص ١٩٩، و عيون أخبار الرّضا عليه السلام، ج ٢، ص ١٩٣.

١. الإمداد بالملائكة.

٢. إنّ فئة قليلةً غلبت فئةً كثيرة بإذن الله.

٣. إنّ النّكاية في المشركين في كليهما كانت لعليّ عليه السلام.

٤. إنّ عدد الّذين قتلهم عليّ عليه السلام متقارب في الغزوتين، حيث قتل في حنين أربعين رجلاً بيده،[1] و قتل في بدر ما يقرب من هذا العدد أيضاً، فقد ذكروا أنّه عليه السلام قتل نصف السّبعين و شارك في قتل النّصف الآخر.[2] و حين يذكرون الأسماء و نجمع بين مختلفاتها، فلعلّ العدد يبلغ الأربعين.

٥. إنّ حرب بدر كانت مصيريّة بالنّسبة لأهل الشّرک و للمسلمين على حدّ سواء، و كذلک كانت حرب حنين. و نفس قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن تهلک هذه العصابة لا تُعبد» خير دليل على ذلک.

٦. إنّ عدد قتلي المشركين من ثقيف كان سبعين رجلاً، أمّا عدد الشّهداء فكان أربعة أو خمسة من المسلمين فقط.[3] و في بدر كان عدد قتلي مشركي قريش سبعين رجلاً و عدد الشّهداء أيضاً كان خمسة على بعض الأقوال.

٧. إنّ غزوة بدر كانت أوّل غزوة للعرب، و غزوة حنين كانت آخر غزوة لهم، فَخَمَدَتْ[4] جَمْرَةُ العرب بهاتين الغزوتين.

٨. إنّه صلى الله عليه وآله رمى بالحصى في وجوه المشركين في الغزوتين.

---

١. الجامع لأحكام القرآن، ج ٨، ص ١٩٩، و راجع: كشف الغطاء (ط . ق) ج ١، ص ١٥ و الكافي، ج ٨، ص ٣٧٤، و مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٣٥٥.

٢. راجع: نهج الحق الموجود في ضمن دلائل الصدق، ج ٢، ص ٣٥٣.

٣. راجع: سبل الهدى و الرشاد، ج ٥، ص ٣٣٤، و الميزان، ج ٩، ص ٢٣٥.

٤. خَمَدَتِ النّار: سكن لَهيبها و لم يطفأ جَمْرُها، و الجَمْر: النّار المُتَّقدة.

حصار الطّائف[١]

قالوا: إنّه لمّا فتح رسول الله ﷺ حنيناً، خرج إلى الطّائف يريد جمعاً من هوازن و ثقيف و كانوا قد هربوا من معركة حنين.[٢] و يذكرون في بيان ما جرى: أنّه لمّا قدم فَلُّ[٣] ثقيف الطّائفَ، رمُّوا حصنهم[٤] و أغلقوا عليهم أبواب مدينتهم و تهيّؤا للقتال.

و قدّم رسولُ الله ﷺ بين يديه خالدَ بن الوليد في ألف من أصحابه إلى الطّائف. و سار ﷺ في إثْر خالد و لم يرجع إلى مكّة و لا عرّج بها[٥] على شيء إلّا على غزو الطّائف، قبل أن يقسّم غنائم حنين و قد ترك السَّبْي بالجِعْرانة[٦] و مُلئت عُرُشُ[٧] مكّة منهم، و كان مسيره في شوّال سنة ثمان.

قال ابن إسحاق: ثمّ مضى رسول الله ﷺ حتّى نزل قريباً من الطّائف، فضرب عسكره و أشرفت على حصنهم -- و لا مثال له في حصون العرب -- و أقاموا رماتهم و هم مائة رام فرموا بالسّهام و المقاليع[٨] من بَعُدَ من حصنهم .... حتّى أصيب ناس من المسلمين بجراح و قتل منهم اثنا عشر رجلا.[٩] فارتفع ﷺ إلى موضع مسجده اليوم الّذي بَنَتْه ثقيف بعد إسلامها.

---

١. الطّائف بلد كبير، يقع على ثلاث مراحل، أو على مرحلتين من مكّة إلى جهة المشرق.

٢. تاريخ الخميس، ج ٢، ص ١١٠، و عمدة القاري، ج ١٢، ص ١٣٧.

٣. الفَلّ: الجماعة المنهزمون من الجيش.

٤. رمُّوا حصنهم (بتشديد الميم المضمومة): قصدوه.

٥. عرّج: مال من جانب إلى جانب، و لم يُعَرِّج عليه : لم يمل

٦. الجِعِرانة بكسر الجيم و سكون العين -- خفّف الأكثر الرّاء و شدّدها غيرهم -- موضع سبعة أميال من مكّة من جهة الطائف.

٧. عُرُش، جمع عَريش؛ بيوت مكّة، سميّت بذلك لأنها كانت عيداناً تنصب و يظلّل عليها.

٨. المقاليع جمع مقلاع و هي آلة ترمي بها الحجارة.

٩. سبل الهدى و الرشاد، ج ٥، ص ٣٨٣.

فقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالرّمي عليهم، و هم يقاتلونه بـالرّمي مـن وراء الحـصن، فلم يخرج إليه أحد، و كثرت الجراحات له من ثقيف بالنّبل.[1]

و شاور رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه في أمر الحصن، فقـال لـه سـلمان الفارسـي: يـا رسول الله، أرى أن تنصب المنجنيق[2] على حصنهم، فإنّا كنّا بـأرض فـارس ننـصب المنجنيقات علـى الحـصون، فنـصيب مـن عـدوّنا: فـأمره رسـول الله صلى الله عليه وآله، فعمـل منجنيقاً بيده، فنصبه على حصن الطّائف، و هو أوّل منجنيق رُمي به في الإسلام.[3]

و عن مكحول: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نصب المنجنيـق علـى أهـل الطّـائف أربعـين يوماً.[4] و لكنّه كان قليل الجدوي، لم يكن يؤثّر على حـصونهم و لا علـى أعـصابهم، فاستعملوا نوعاً آخر من الأسلحة، كان لبعض القبائل المقيمة بأسفل مكّة علمٌ بها و هو الدّبابة.[5] ولكن رجال الطّائف كانوا من المهـارة، بحيـث أكرهـوا هـؤلاء علـى أن يلوذوا بالفرار، فقد أرسلت ثقيف بسكك الحديـد المُحْمـاةُ بالنّـار، فَخَرّقـتِ الدّبابـةَ، فخرج المسلمون من تحتها و قد أصيب منهم من أصيب، فـرمتهم ثقيـف بالنّبـل، فَقُتِل منهم رجالٌ.[6]

و لم يبق للنّبي صلى الله عليه وآله من وسيلة للضغط عليهم إلّا الالتجاء إلى تقطيع الأعناب و الأشجار و تحريقها، عساهم يستسلمون عندما يرون أملاكهم قد تعرّضت للخطـر، و بدلا من أن يستسلموا، أرسلوا إلى النّبي صلى الله عليه وآله يناشدونه أن يكفّ عنها لأصـحابها أو يأخذها لنفسه، فأمر عند ذلك أصحابه بالكفّ عنها.

---

١. نفس المصدر.

٢. المنجنيق: آلة حربيّة تُصنع من جلود و خشب و حديد يقذفون الحجارة بها.

٣. سبل الهدى و الرشاد، ج ٥، ص ٣٨٥ عن الواقدي.

٤. تاريخ الخميس، ج ٢، ص ١١٠ عن المنتقى، و سبل الهدى و الرشاد، ج ٥، ص ٣٨٥.

٥. الدّبابة:آلة حربيّة توضع الجلود عليها و يدخل فيها الرّجـال فيـدبّون إلـى أسـوار الحـصن لينقبوها.

٦. سبل الهدى و الرشاد، ج ٥، ص ٣٨٥، و السيرة النبوية (ط . دار المعرفة) ، ج ٢، ص ١١٢.

نهاية حرب الطّائف

قالوا: لمّا حاصر رسول الله ﷺ الطّائف أربعين ليلة، أو ثلاثين ليلة، أو قريباً من ذلک و لم ينل منهم شيئاً، آثر ﷺ أن يرفع الحصار عنهم و يرجع بمن معه إلى الجِعْرانة حيث الأسرى و الغنائم، و دعا حين رکب قافلاً: «اللّهم اهدهم و اكفنامؤنتهم»[١] و قال لأصحابه، حين أرادو أن يرتحلوا: «قولوا: لا إله إلّا الله وحده لا شريک له، صدق وعده، و نصر عبده، و أعزّ جنده، و هزم الأحزاب وحده».[٢]

ثمّ إنّه جاء في بعض النّصوص أنّ النّبي ﷺ حين ترک الحصار أطلق تهديداته القويّة لأهل الطّائف: بأنّه سوف يرميهم بعلي عليه السلام ليضرب أعناق مقاتليهم و يَسبي ذراريهم أو يقيمون الصلاة و يؤتون الزّكاة.

و يمكن تفسير و توضيح ذلک بمايلي:

١. أنّه ﷺ بتحرّكاته تلک – حيث كان يترکهم ثمّ يعود إليهم في أوقات مختلفة – كأنّه يريد أن يَفهم أهلَ الطّائف عملاً لا قولاً أنّهم غير متروكين و أنّ عليهم أن يتوقعوا مفاجأتهم في كلّ وقت و زمان، و بديهي أنّه لا يمكنهم العيش في مثل هذه الأجواء الصّعبة.

٢. أنّه ﷺ قد أطلق تهديداته لهم بأنّهم إن لم يستجيبوا لنداء المنطق و العقل، فسوف يرميهم بأخيه علي عليه السلام؛ الّذي أذا قهم وحده طعم الهزيمة المُرّة و الذّليلة قبل أيامٍ يسيرة و حين كانوا قد جمعوا عشرات الألوف، فهل يمكنهم الصّمود في وجهه بعد أن تفرّق النّاس عنهم و أصبحوا وحدهم، و قد قطعت عنهم جميع الإمدادات؟

١. سبل الهدى و الرشاد، ج ٥، ص ٣٨٨.
٢. نفس المصدر عن الواقدي.

٣. وفوق ذلك، فإنّ مصيبتهم العظمى إنّما تكون حين يأذن النّبيّ صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام فيهم، فإنّه لا شيء يقف في وجهه عليه السلام و لا تجدى الحصون و لا غيرها في دفعه عنهم. و قد رأى النّاس ما جرى على يديه لحصون خيبر و كيف قتّل فرسانها، و اقتلع أبوابها.

فكّ الحصار لتسهيل الاستسلام

و عن الإمام الصّادق عليه السلام: أنّه صلى الله عليه وآله لما فرغ من هوازن، سار حتّى نزل الطّائف، فحصر أهل وجّ[1] أيّاماً، فسأله القوم أن يبرح عنهم[2] ليقدم عليه و فدهم، فيشترط له، و يشترطون لأنفسهم. فسار حتّى نزل مكّة، فقدم عليه نفر منهم بإسلام قومهم، و لم يبخع[3] القوم له بالصّلاة و لا الزّكاة.

فقال صلى الله عليه وآله: إنّه لا خير في دين لا ركوع فيه و لا سجود. أما والّذي نفسي بيده ليقيمنّ الصلاة و ليؤتنّ الزّكاة، أو لأبعثنّ إليهم رجلاً هو منّي كنفسي، فليضربنّ أعناق مقاتليهم و لَيَسْبِيَنّ ذراريهم و هو هذا و أخذ بيد علي عليه السلام، فأشالها.[4]

فلمّا صار القوم إلى قومهم بالطّائف أخبروهم بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وآله، فأقرّوا له بالصّلاة و أقرّوا بما شرط عليهم. فقال صلى الله عليه وآله: ما استعصى عَلَى أهلُ مملكة، و لا أمّة إلّا رميتهم بسهم الله عزّوجلّ. قالوا: يا رسول الله، و ما سهم الله؟ قال: علي بن أبي طالب، ما بعثته في سريّة إلّا رأيت جبرئيل عن يمينه، و ميكائيل عن يساره، و مَلَكاً أمامه، و سحابةً تظلّه، حتّى يعطى الله عزّوجلّ حبيبي النّصرَ و

---

١. وجّ: موضع بناحية الطّائف. أو اسم جامع حصونها أو اسم واحد منها.

٢. بَرِح المكانَ أزاله عنه، والمعنى: سأله القوم أن يبتعد.

٣. لم يبخعِ القوم: لم يُقرّوا و لم يذعنوا.

٤. أشاله : رفعه و حمله.

الظَّفَر.[1]

و هذا معناه: أنّ النّبيّ ﷺ قد حقّق نصراً عظيماً يوازي ما حقّقه في غزوة الخندق و خيبر و سواهما.

و يدلّ على ذلک أيضاً ما تقدّم من أنّه ﷺ قد قال لأصحابه حين أرادوا أن يرتحلوا عن الطّائف: قولوا لا إله إلّا الله وحده لا شريک له الخ.[2] فلو لم يكونوا منتصرين، لم يكن وجه لأمرهم بأن يقولوا ذلک؛ فإنّ النّبيّ ﷺ لا يُطلق الشّعارات جزافاً.

السّبايا و الغنائم

قالوا: كان السّبي ستّة آلاف رأس، و الإبل أربعة و عشرين ألف بعير، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة و أربعة آلاف أوقية فضّة.[3] و لكنّ المروي عن الصّادق عليه السلام قوله: «سبي رسول الله ﷺ يوم حنين أربعة آلاف فارس و اثني عشر ألف ناقة سوى ما لم يعلم من الغنائم».[4]

و كانت الغنائم للنّبيّ ﷺ و علي عليه السلام حيث إنّ المسلمين انهزموا جميعاً عن النّبيّ ﷺ و أنّ راجعتّهم حين رجعت وجدت الأسارى مُكتّفين عند رسول الله ﷺ و أنّ المسلمين المهزومين لم يضربوا بسيف و لم يطعنوا برمحٍ، و تقدّم أنّ الّذين بقوا عند رسول الله ﷺ كانوا تسعة أشخاص أو أقلّ من ذلک كلّهم من بني

---

۱. الأمالي للطوسي، ص ۵۱۶ و ۵۱۷، و البحار، ج ۲۱، ص ۱۵۳ و ج ۳۸، ص ۳۰۵، و مستدرک سفينة البحار، ج ۵، ص ۳۱۵، و مدينة المعاجز، ج ۲، ص ۳۰۸.

۲. سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ۳۸۸ عن الواقدي.

۳. راجع السيرة النبوية لدحلان (ط. دار المعرفة) ج ۲، ص ۱۱۲ و ۱۱۴،و السيرة الحلبية، ج ۳، ص ۱۱۹.

۴. إعلام الورى، ص ۱۲۳، و البحار، ج ۲۱، ص ۱۶۸ و ۱۸۳.

هاشم، فكان ثمانية منهم، أو أقلّ قد احتوشوا رسول الله صلى الله عليه وآله لكي لا يصل إليه أحد من المشركين بسوءٍ، و المهاجم الوحيد لجيوش المسلمين كان علي بن أبي طالب عليه السلام فهزم الله المشركين على يديه شرّ هزيمة.

فالنّصر إنّما تحقّق بجهاد علي عليه السلام و بالتّأييد الإلهي للنّبي صلى الله عليه وآله بإنزال الملائكة. و هذا يبيّن السّبب في أنّ الله سبحانه ردّ أمر الغنائم و السّبي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليعطيها لمن يشاء، فأعطاها لمن أراد أن يتألّفهم، و لم يعط منها حتّى أقرب النّاس إليه و هم الأنصار؛ لأنّهم لم يكن لهم و لا للمهاجرين و لا لغيرهم حقّ فيها.

و كان القسم الأكبر لأولئک الّذين لا يزالون يُبطنون الشّرک كأبي سفيان و معاوية و عِكرمة و أمثالهم و كان الحرمان من نصيب الأنصار، عزّ ذلک عليهم، و قال بعضهم ليست هذه القسمة بعادلة و قال آخرون منهم: لقد لقي محمّد قومه و ما يصنع بنا بعد ذلک، إلى غير ذلک ممّا بدر منهم من الكلمات الّتي تدل على أنّهم لم يرتاحوا لتوزيع الغنائم بالنّحو الّذي تمّ توزيعها عليه.

فجمعهم النّبي صلى الله عليه وآله و قال لهم: يا معشر الأنصار ألم آتكم ضُلّالاً فهداكم الله تعالى، وعالةً فأغناكم الله، و أعداءاً فألّف بين قلوبكم؟ قالوا: بلي يا رسول الله،الله و رسوله أمَنّ[1] وأفضل[2] ... .

فارتفعت أصواتهم بالبكاء و قام شيوخهم إليه، فقبّلوا يديه و رجليه، ثم قالوا: رضينا بالله و عنه و برسوله و عنه و هذه أموالنا بين يديک، فإن شئت فاقسمها على قومک، و إنّما قال من قال منّا على غير وَغرِصدرٍ[3] و غِلٍّ في قلب، و لكنّهم ظنّوا سخطاً عليهم و تقصيراً بهم، و قد استغفروا الله من ذنوبهم، فاستغفِر لهم يا رسول الله.

فقال النّبي صلى الله عليه وآله: اللّهم اغفر للأنصار و لأبناء الأنصار، و لأبناء أبناء الأنصار. يا

---

١. أمنّ: من المنّة و هي النّعمة.

٢. سبل الهدى و الرشاد، ج ٥، ص ٤٠٢ – ٤٠٣.

٣. وَ غرَصدره على فلان: توقّد عليه من الغيظ، فهو واغر الصّدر عليه. و الغِلّ: الحِقد و الغشّ.

معشر الأنصار، أما ترضون أن يرجع غيركم بالشّاة و النّعم، و ترجعون أنتم و في سهمكم رسول الله؟ قالوا: بلي رضينا. فقال رسول الله ﷺ عند ذلک: الأنصار كَرِشِي[1] و عَيْبَتي،[2] لو سلک النّاس شِعْباً[3] و سلک الأنصار شِعْباً لَسَلَكْتُ شعب الأنصار.[4] فطابت نفوسهم بهذه السّياسة الرّشيدة الحكيمة.

رجوع رسول الله ﷺ إلى المدينة

قالوا: انتهى رسول الله ﷺ إلى الجعرانة ليلة الخميس، لخمس ليال خلون من ذي القعدة، فأقام بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة، ثمّ خرج ﷺ بمن معه من الجعرانة متّجهاً إلى مكّة، فأتمّ عمرته و حلّ من إحرامه و استخلف على مكّة عتّاب بن أسيد و معه معاذ بن جبل يفقّه النّاس بالدّين و يعلّمهم القرآن، و خرج منها متّجهاً إلى المدينة بمن معه من المهاجرين و الأنصار و دخلها في الأيّام الأخيرة من ذي القعدة بعد انتصارَين من أعظم انتصارات الّتي حقّقها في حروبه و غزواته. و هما فتح مكّة و هزيمة جيشٍ مؤلّفٍ من ثلاثين ألف مقاتل في حنين، هزيمة لم تعرف هوازن و أحلافها أسوأمنها و تركت هذه الانتصارات المتتالية أثراً بليغاً في نفوس عظماء العرب و قادتهم الّذين كانوا لا يتصوّرون أن تضطرّهم الأيّام للخضوع لمحمّدٍ و الإقرار له بالطّاعة.

---

۱. الكرش : الجماعة من النّاس و عيال الرّجال.

۲. عيبتي: موضع سرّي.

۳. الشّعب: الطريق بين الجبلين.

۴. الإرشاد للمفيد، ج ۱، ص ۱۴۵ و ۱۴۶، و إعلام الورى، ص ۱۲۵ و ۱۲۶. و البحار، ج۲۱،ص۱۵۹ و۱۷۱ – ۱۷۲.

الفصل الثّاني عشر

غزوة تبوك

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الإعداد و الاستعداد

و قد صرّحوا بأنّ تبوک[1] آخر مغازيه صلى الله عليه وآله و هي المعروفة بغزوة العُسرة و تعرف بالفاضحة لافتضاح المنافقين فيها، و كانت في رجب سنة تسع، قبل حَجّة الوداع. و قد اختلفت المزاعم و الاجتهادات في سببها، فقيل: إنّه قد اتّصل به صلى الله عليه وآله نبأ من بلاد الرّوم أنّ مَلِکَ الرّوم قد هيّأ جيشا كبيراً لغزو العرب في شبه الجزيرة، و أعدّ العُدّة للقضاء على محمّد و أتباعه، الّذين أصبحوا يهدّدون المناطق المتاخمة لحدود الحجاز.

و كتب صلى الله عليه وآله إلى قبائل العرب، ممّن قد دخل الإسلام، و بعث إليهم الرّسل، يرغّبهم في الجهاد و الغزو، و بيّن للنّاس مقصده و أنّه يريد بلاد الرّوم، لبعد الشُّقَّة و شدّة الزّمان و كثرة العدوّ الّذي يَصمُد له، ليتأهّب النّاس لذلک أُهْبَتَه، فأمر النّاس بالجهاز، فأوعب معه بشر كثيرٌ، و تخلّف عنه آخرون، فعاتب الله تعالى من تخلّف منهم لغير عذر من المنافقين و المقصّرين، و وبّخَهُم و بيّن أمرهم.[2]

هذا ما جاء في كتب السّيرة[3] ولكنّا نقول: إنّ الإعلان بمقصده صلى الله عليه وآله لم يكن

---

١. تبوک اسم موضع، و هي أقصى موضع بلغه رسول الله صلى الله عليه وآله في غزواته،و هي في طرف الشّام من جهة القبلة و بينها و بين المدينة اثنتا عشرة مرحلة (معجم البلدان و كتاب العين) و قيل: أربع عشرة (فتح الباري، ٨، ص ٨٤)

٢. راجع: الآيتين ٤١ و ٤٢ من سورة التوبة.

٣. راجع: سبل الهدى و الرشاد، ج ٥، ص ٤٣٤.

لمجرّد بُعد الشُّقّة و شدّة الزّمان و كثرة العدوّ، فإنّه قد أرسل قبل سنة و شهرين سريّة إلى مؤته و هي أبعد من تبوک بكثير، لأنّها تقع في تخوم البلقاء من أرض الشّام، و كانت حشود الأعداء عظيمة و هائلة و الشُّقّة أبعد، و عدد جيش المسلمين لا يصل إلى عُشر عدد الجيش الّذي جهزّه هو. من أجل ذلک نقول: لعلّ الأصحّ هو أنّه قد أراد فيما أراد:

١. أن يفضح حقيقة نوايا تلک الطّغمة الّتي تتربّص بالإسلام و المسلمين شرّاً، و هذا ما أشار إليه الشّيخ المفيد «رحمه الله» حيث قال عن تبوک:

«فأوحى الله تبارک و تعالى اسمه إلى نبيّه ﷺ أن يسير إليها بنفسه، و يستنفر النّاس للخروج معه، و أعلمه أنّه لا يحتاج فيها إلى حرب و لا يمنى بقتال عدوّ، و أنّ الأمور تنقادله بغير سيف، و تَعَبَّدَه بامتحان أصحابه بالخروج معه و اختبارهم، ليتميّزوا بذلک، و تظهر به سرائرهم.

فاستنفرهم النّبيّ ﷺ إلى بلاد الرّوم، و قد أيْنَعَت ثمارهم،[1] و اشتدّ القيظ[2] عليهم، فأبطأ أكثرهم عن طاعته رغبةً في العاجل و حرصاً على المعيشة و إصلاحها و خوفاً من شدّة القيظ و بعد المسافة و لقاء العدوّ، ثمّ نهض بعضهم على استثقالٍ للنّهوض و تخلّف آخرون...».[3]

٢. إنّه ﷺ أراد أن يقدم نموذجاً عمليّاً لأمر الإمامة من بعده و ذلک بأن يجعل النّاس يتحسّسون الحاجة إلى الحافظ القوي، و الإمام الوصي، حتّى لايعبث أصحاب الأطماع بمصير النّاس، و لا يفرضوا عليهم مساراً يؤدّي بهم إلى البوار و الهلاک.

٣. إنّ ذلک لابدّ من أن يثير الزّهو و الشّعور بالعزّة في مجتمع المسلمين أينما كانوا و حيثما و جدوا، و سيشدّ أنظارُ كلّ النّاس إليهم و سيشتاقون إلى اللّحاق

---

١. أيْنَعَ الثّمر: أدرک و طاب و حان قطافه.

٢. القيظ: الشّديد الحرّ.

٣. الإرشاد، ج ١، ص ١٥٤ و ١٥٥، و البحار، ج ٢١، ص ٢٠٧.

برکب أهل الإيمان آلذي يسير من نصرٍ إلى نصرٍ، و يضيف مجداً إلى مجدٍ قبل فوات الأوان، حيث لم يکن أحدٌ أعظم في أعينهم و أهيب في قلوبهم من قيصر؛ فإنّ تبوک لم تبق مجالاً لأن يتوهّم أحدٌ أنّ عدم مبادرة قيصر إلى غزوهم، قد کانت بسبب غفلته عنهم، و لعدم اکْتِراثِه[۱] بهم، أو ما إلى ذلک.

العدد و العُدّة

و عن زيد بن ثابت و معاذ بن جبل قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى غزوة تبوک زيادة على ثلاثين ألفاً[۲] و نقل الحاکم في الإکليل عن أبي زرعه قال: کانوا بتبوک سبعين ألفاً. [۳] و جُمِعَ بين الکلامين: بأنّ من قال ثلاثين ألفاً لم يَعُدَّ التّابع، و من قال سبعين ألفاً عَدّ التّابع و المتبوع. و کانت الخيل عشرة آلاف فرس، و قيل: بزيادة ألفين. [۴]

قال عبدالله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب: خرج المسلمون في غزوة تبوک، الرّجلان و الثّلاثة على بعير واحد.[۵] و أمر رسول الله صلى الله عليه وآله جيشه بالاستکثار من النّعال و قال: إنّ الرّجل لا يزال راکباً مادام منتعلاً. [۶]

علي عليه السلام خليفة النّبيّ صلى الله عليه وآله في أهله أو على المدينة کلّها؟

و زعمت بعض الرّوايات: أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله إنّما خلّف علياً عليه السلام في أهله، و أنّه لم

---

۱. اکترث بالأمر: بالي به، يقال: هو لا يکترث لهذا الأمر أي لا يَعبأبه و لا يباليه.

۲. سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ۴۴۲ عن ابن إسحاق و الواقدي.

۳. نفس المصدر، عن الحاکم في الإکليل و ابن الأمين.

۴. نفس المصدر.

۵. نفس المصدر، ص ۴۴۳ عن البيهقي.

۶. سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ۴۴۲.

يستخلفه على المدينة كلّها، حيث قالوا:

و خلّف رسول الله صلی الله علیه و آله علي بن أبي طالب علیه السلام على أهله و أمره بالإقامة فيهم، فأرجف به المنافقون، و قالوا: ما خلّفه إلّا استثقالاً له و تخفّفاً منه. فلمّا قالوا ذلك أخذ علي علیه السلام سلاحه، و خرج حتّى لحق برسول الله صلی الله علیه و آله و هو نازل بالجُرف، فأخبره بما قالوا.

فقال رسول الله صلی الله علیه و آله: كذبوا، و لكنّي خلّفتك لما تركت و رائي، فارجع فاخلفني في أهلي و أهلك، أفلا ترضى يا علي أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟ إلّا أنّه لا نبي بعدي؟ فرجع علي علیه السلام إلى المدينة و هذا الحديث رواه الشّيخان و له طرق.[1]

و نجيب أوّلاً: إنّ معظم نصوص غزوة تبوك لم تخصّ حديث المنزلة في استخلاف النّبي صلی الله علیه و آله لعلي علیه السلام على أهله صلی الله علیه و آله، بل أطلقت الخلافة.

ثانياً: إنّ حديث المنزلة بإطلاقه قد قاله رسول الله صلی الله علیه و آله في مواقف كثيرة كانت تبوك واحدة منها، فقد قاله في: يوم المؤاخاة الأولى؛[2] يوم المؤاخاة الثّانية؛[3] يوم تسمية الحسن و الحسين علیهما السلام؛[4] في حجّة الوداع؛[5] في منى؛[6] يوم غدير خم؛[7] يوم

---

۱. نفس المصدر، ص ۴۴۱، عن ابن إسحاق و البخاري و مسلم، و قال في الهامش: أخرجه البخاري، ج ۷، ص ۷۱، و مسلم، ج ۴، ص ۱۸۷۰.

۲. راجع: البحار، ج ۳۸، ص ۳۳۴، و ج ۸، ص ۳۳۰، و كنز العمال، ج ۱۵، ص ۹۲، و ج ۶، ص ۳۹۰.

۳. راجع: المناقب للخوارزمي، ص ۷، و تذكرة الخواص، ص ۲۰، و الفصول المهمّة، ص ۲۱.

۴. علل الشرايع، ص ۱۳۷ و ۱۳۸، و ينابيع المودّة، ص ۲۲۰، و فرائد السمطين، ج ۲، ص ۱۰۳ ـ ۱۰۵.

۵. البحار، ج ۳۷، ص ۲۵۶ و دعائم الإسلام، ج ۱، ص ۱۶، و وفيات الأعيان، ج ۵، ص ۲۱۳.

۶. البحار، ج ۳۷، ص ۲۶۰ و الدرّ النّظيم، ص ۲۸۴.

۷. البحار، ج ۳۷، ص ۲۰۶، و تفسير العياشي، ج ۱، ص ۳۳۲.

المباهلة[1]، غزوة تبوک؛ عند الرّجوع بغنائم خيبر[2] و مواقف کثيرة أخرى.

و ذلک کلّه يشير إلى أنّ عليّاًعليه‌السلام شبيه بهارون في جميع مزاياه، و أظهَرُها شراکته في الأمر، و وزارته، و شدّ أذره، و إمامته للنّاس في غياب أخيه موسىعليه‌السلام.

ثالثاً: إنّه لو کانت خلافة أميرالمؤمنينعليه‌السلام لرسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله منحصرة في أهلهصلى‌الله‌عليه‌وآله لوقعت المنافات بين صدر الرّواية و ذيلها؛ فإنّ صدرها يقول: إنّه يستخلفه في أهله، و ذيلها يجعله منه کهارون من موسى، مع أنّ هارون إنّما خلّف موسى في قومه لا في أهله.

و صرّحت الآية: بأنّ موسى قد طلب من الله أن يجعل له هارون أخاً و شريکاً له في الأمر الّذي هو إمامة النّاس و قيادتهم.

لماذا خلّف عليّاً في المدينة؟

قال الشّيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه، و نعم ما قال: «و قال: يا علي إنّ المدينة لا تصلح إلّا بي أو بک، و ذلک أنّهصلى‌الله‌عليه‌وآله علم خبث نيّات الأعراب و کثير من أهل مکّة و مَن حولها، ممّن غزاهم و سفک دماءهم، فأشفق أن يطلبوا المدينة عند نأيه عنها و حصوله ببلاد الرّوم، فمتى لم يکن فيها مَن يقوم مقامه، لم يؤمن من مَعَرَّتهم[3] و إيقاع الفساد في دار هجرته، و التّخطّي إلى مايشين أهله، و مخلّفيه.

و علم أنّه لا يقوم مقامه في إرهاب العدوّ و حراسة دار الهجره و حياطة من فيها إلّا أميرالمؤمنينعليه‌السلام، فاستخلفه استخلافاً ظاهراً و نصّ عليه بالإمامة من بعده نصّاً جليّاً، و ذلک فيما تظاهرت به الرّواية أنّ أهل النّفاق لمّا علموا باستخلاف رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله على المدينة حسدوه لذلک و عظم عليهم مقامه فيها بعد خروجه، و علموا

---

۱. البحار، ج ۲۱، ص ۳۴۳، و المناقب للخوارزمي، ص ۱۰۸، العمدة لابن البطريق، ص ۴۶.

۲. الأمالي للصدوق، ص ۸۵، و المناقب للخوارزمي، ص ۷۶ و ۹۶.

۳. المَعَرَّة: المساءة و الإثم و الأذى و الجناية.

أنها تتحرّس به، و لا يكون فيها للعدوّ مطمع، فساءهم ذلك... .

فأرجفوا و قالوا: لم يستخلفه رسول الله ﷺ إكراماً له و إجلالاً و مودّة، و إنّما خلّفه استثقالاً له.

فلمّا بلغ أميرالمؤمنين عليه السلام إرجاف المنافقين به، أراد تكذيبهم و إظهار فضيحتهم، فلحق بالنّبي ﷺ، فقال : يا رسول الله، إنّ المنافقين يزعمون أنّك خلّفتني استثقالا و مقتاً؟ فقال النّبي ﷺ: ارجع يا أخي إلى مكانك، فإنّ المدينة لا تصلح إلّا بي أو بك، فأنت خليفتي في أهل بيتي، و دار هجرتي و قومي، ألا ترضي أن تكون بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي؟...».[1]

جيش الإسلام في تبوك

عن حُذيفة و معاذ بن جبل، قال: إنّه خرج مع رسول الله ﷺ عام تبوک، فكان يجمع بين الظّهر و العصر، و بين المغرب و العشاء... ثمّ قال: «إنّكم ستأتون غداً إن شاء الله تعالى عين تبوک، و إنّكم لن تأتوها حتّى يضحى النّهار، فمن جاءها، فلايمسّ من مائها شيئاً حتّى آتي».

و عن عُروة: أنّ النّبي ﷺ حين نزل تبوک، و كان في زمانٍ قلّ ماؤها فيه، فاغترف غرفة بيده من ماء فمضمض بها فاه، ثمّ بصقه فيها، ففارت عينها، حتّى امتلأت. فهي كذلک حتّى السّاعة.[2]

قالوا: و لمّا وصل رسول الله ﷺ تبوک، كان هِرَقْل بِحِمْص و لم يكن يَهِمّ بالّذي بلغ رسول الله عنه من جمعه، و لا حَدَّثَته نفسه بذلک.[3] فوجّه إليه النّبي ﷺ

---

١. البحار، ج ٢١، ص ٢٠٧ و ٢٠٨، و الإرشاد، ج ١، ص ١٥٦.

٢. سبل الهدى و الرشاد، ج ٥، ص ٤٥١ – ٤٥٣ عن أبي نعيم و عن البيهقي في الدّلائل.

٣. إنّا نقبل من هؤلاء أن يقولوا: إنّ فلاناً لم يفعل الشّيء الفلاني، و لكنّ لا نقبل منهم أن يقولوا: إنّ فلاناً لم يهمّ بالأمر الفلاني، لأنّ الهمّ بالشيء فعل قلبّي قد تصاحبه بعض الحركات

رسالةً يدعوه فيها إلى الإسلام أو إلى الجزية.

فقرأه و قال للرّسول: اذهب إلى نبيّكم، فأخبره أنّي متّبعه، ولكن لا أريد أن أدع ملكي و بعث معه بدنانير إلى رسول اللهﷺ، فرجع، فأخبره، فقال رسول اللهﷺ: كَذِب و قسّم الدّنانير.[١]

و ذكر السُّهيلي: أنّ هِرَقْل أهدى لرسول اللهﷺ هدية، فقبل رسول اللهﷺ هديته و فرّقها على المسلمين.[٢]

ثمّ إنّ هِرَقل أمر منادياً ينادي: ألا إنّ هِرَقل قد آمن بمحمّدٍ و اتّبعه، فدخلت الأجناد في سلاحها و طافت بقصره تريد قتله، فأرسل إليهم: إنّي أردت أن أختبر صلابتكم في دينكم، فقد رضيت عنكم، فرضوا عنه.[٣]

و لا شكّ في انّ رسالة النّبيﷺ إلى هِرَقل كانت في غاية الدّقّة، و هي رسالة هادئة و حازمة، و قد راعت أهداف الإسلام من دون أن تعطي ذلك الطّاغية أيّة ذريعة للتّمرّد، أو اللامبالاة، ولكن هرقل تخلّص أوّلاً من دِحية الكلبي بكذبة كان يعرف أنّها لا تنفع مع النّبيﷺ حين زعم له أنّه قد أسلم.

إنّ هرقل هذا لا يجرؤ على التّفوّه بكلمة «لا» أمام دعوة رسول اللهﷺ له، رغم أنّه يدعوه و قومَه إلى إعطاء الجزية عن يدٍ و هم صاغرون.[٤]

و لم يَحدُث في تاريخ طواغيت الأرض و عُتاتها أن تأتي عساكر أعدائهم لتقف

باتّجاه ما يهمّ به، و قد يخلو عنها، و أمّا أن يقول قائل لنا: إنّ فلاناً لم تحدّثه نفسه بالشّيء الفلاني، فذلك ما لا يمكن قبوله من أحدٍ إلّا من نبي أو وصي نبي، لأنّه قول يستبطن العبث بنا و الاستخفاف بعقولنا، و هذا ما لا نرضاه لأنفسنا، لأنّه من إنسان لم يطلعه الله على غيبه، و لا أوقفه على ما يكنه ضمائر عباده.

١. صحيح ابن حبان، ج ١٠، ص ٣٥٨، و سبل الهدى و الرشاد، ج ٥، ص ٤٥٧.

٢. سبل الهدى و الرشاد، ج ٥، ص ٤٥٩ و ج ١١، ص ٣٥٦.

٣. نفس المصدر، ص ٤٥٩.

٤. عن يدٍ: عن قهر و إذلالٍ، و صاغرون: اي ذليلون مُهانون.

على تخوم بلادهم، و هي ثُلّة قليلة العدد، ضعيفة العُدّة، ثمّ يسكتون و لا يحرّكون ساكنا، و كأنّ شيئاً لم يكن، مع قدرتهم على تجنيد عشره أضعاف ذلک العدوّ بأفضل عُدّةٍ و أو في عدد. بل تراه يتحايل عن ذلک العدوّ و يرسل له بالهدايا، و بالكلمات المعسولة، حتّى إنّه ليَدّعي – كاذباً – الانقيادله، و القبول به، و التّبعيّة و الطّاعة لكلّ ما يأمر به و ينهى عنه.

و الّذي يبدولنا: هو أنّ سبب هذا الاستخذاء من هرقل، هو ما جرى في مؤته. فهي قد عرفت قيصر و من معه: أنّ الأمر في أيّة مواجهة مع هذا النّبيّ الكريمﷺ سيكون بالغ الخطورة، إن لم نقل: إنّهم كانوا على يقين من أنّه لن يأتي لهم بغير الخزي و العار، و الهزيمة النّكراء. إذ إنّ مئات الألوف الّتي جاء بها قيصر إلى حرب مؤته قد واجهت ثلاثة آلاف فقط من المسلمين، و كان من المتوقّع أن يسقط أكثر المسلمين صرعى في أوّل ساعة، بل في الدّقائق الأولى من المعركة، ولكن ما حصل كان نقيض ذلک، فإنّ الحرب طالت ربما لأيّام و لم يسقط فيها من الشّهداء سوى عدد ضئيل جداً لا يتجاوز السّبعة أشخاص، كان القادة الثّلاثة منهم. و قد كان هذا، و الحال أنّ النّبيﷺ لم يكن معهم، فلو كان معهم، فكيف ستكون عليه الحال و المال.

و ها هو قيصر يرى عشرة أضعاف الثّلاثة آلاف و معهم قائدهم و سيّدهم الّذي يقدّسونه و يفدونه بأنفسهم. فأي جيش يمكن أن يواجه هؤلاء و ينتصر عليهم. و لذلک اتّخذ قرار الخداع دون الانصياع و المماطلة بديلاً عن المواجهة و المقابلة.

بركات غزوة تبوك

لقد كان لغزوة تبوک بركات و آثار هامّة نشير إلى بعضها:

١. فقد عرف الناس أنّهﷺ يقصد بحركته هذه إرهاب أعظم مَلِکٍ في ذلک الزّمن و قد كتب إليه يدعوه إلى الإسلام أو الجزية، ثمّ أرسل إليه رسالة دعوة

أخرى من بلاد يراها ذلک الطّاغية جزءاً من مملكته بعد أن وطأتها جيوش الإسلام، و بسطﷺ نفوذه عليها و نشر دعوته و دينه فيها، و أصبحت مناطق منها تدين بالولاء لهذا النّبيّ الكريم و تؤدّي له الجزيه.

٢. إنّ الله تعالى قد ألقى الرّعب في قلوب أعداء الله، فبادروا إلى إعلان إسلامهم أو استسلامهم، ففي تبوک فتح الله له دُومة الجَندل و أخذ مَلِكَها، و فيها جاءه أسقف أيْلَة و هو يُحَنَّة بن رؤبة، و وفد إليه أهل أذْرحَ و سئلوه الصّلح على الجزية، و وفد إليه أهل مقنا، و مالک بن أحمر و قومه يطلبون العهد و الأمان[١]، فكانت هذه المعاهدات مع الفئات المختلفة هي النّتيجة الطّبيعيّة لذلک، و كلّ ذلک من شأنه أن يُؤلم قيصر و يُهين كبرياءَه الشّيطاني و يُثير حميّته، و هو الرّجل المغرور بنفسه و بملكه العريض و لا يرى له نظيراً على وجه الأرض، فهل هناک من ذُلٍّ و خزي لقيصر أعظم من أن يقف النّبيﷺ الّذي يَصِفونه بالعربي و المسلم بجيوشه على تخوم مملكته و يطأ بجيوشه أطرافاً منها عزيزة عليه ليطلب منه الإسلام أو الجزية!!؟ و أيّة عِزّة هذه الّتي منحها الله لرسوله و للمؤمنين!

٣. و يضاف إلى ذلک كلّه رعب ساير القبائل المعادية، مثل عاملة، و لَخْم، و جُذام و سائر الّذين جمعوا الجموع و أرادوا مهاجمة المسلمين.

و بذلک يكون النّبيﷺ قد حقّق في هذه الغزوة انتصاراً لم تحقّقه غزوة من غزواته، فلقد انهار ذلک الجيش الّذي يبلغ مأتي ألفٍ أو يزيد و انسحب عن خطّ المواجِهة إلى حصونه و معسكراته و سلمت للمسلمين تلک المناطق المتاخمة لحدود الحجاز بعد أن التزم أهلها بالجزية و عاهدوا النّبيﷺ على أن لا يتعاونوا مع أحدٍ ؟؟.

---

١. راجع: التنبيه و الإشراف، ص ٢٣٦ و مكاتيب الرسول، ج ٢، ص ٤١٤، و تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٦٨.

مسجد ضرار

عن ابن عباس و سعيد بن جبير و غيرهما: أنّ مسجد قُباء بُني في موضع كان لامرأةيقال لها «لَيَّة» كانت تربط حماراً لها فيه، فابتني سعد بن أبي خيثمة و بنو عمرو بن عوف مسجداً، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يأتيهم فيصلّي فيه، فأتاهم و صلّى فيه، فحسدتهم أخوالهم عمرو بن عوف، فقال لهم أبوعامر الفاسق قبل خروجه إلى الشّام: ابنوا مسجدكم، و استمدّوا فيه بما استطعتم من قوّة و سلاح، فإنّي ذاهب إلى قيصر، فآتي بجيش من الرّوم، فأُخرج محمّداً و أصحابه، فكانوا يرصدون قدوم أبي عامر الفاسق، و كانوا اثني عشر رجلاً، و قيل: أكثر من ذلک.

فلمّا فرغوا من مسجدهم، أرادوا أن يصلّي فيه رسول الله ﷺ ليروّج لهم ما أرادوه من الفساد و الكفر و العناد، فأتى جماعة منهم لرسول الله ﷺ و هو يتوجّه إلى تبوک، فقالوا: يا رسول الله، إنّا بنينا مسجداً لذي العلّة و الحاجة و اللّيلة المُطيرة، و إنّا نحبّ أن تأتينا، فتصلّي فيه.

قال: إنّي على جناح سفرٍ و إذا قدمنا إن شاء الله صلّينا لكم فيه.[1]

إنّ النّبيّ ﷺ لم يُظهر لهم أي شيءٍ غير عاديّ، بل ذكر لهم أنّ شغلَ السّفر يمنعه من تلبية طلبهم. و هذا التّأجيل يمنحه الفرصة لاستخراج دخائلهم و لكي تكشف تقلّبات الأحوال باطنهم للنّاس.

فلمّا رجع رسول الله من غزوة تبوک و نزل بذي أوان،[2] أنزل الله سبحانه و تعالى: «والّذين اتخذوا مسجداً ضراراً و كفراً....»[3] أمر النّبيّ ﷺ جماعةً من المسلمين بهدمه و إحراقه و أمر أن يُتَّخَذَ كناسةً تُلقي فيه الجيف، كما روي عن

---

۱. سبل الهدى و الرشاد، ج ۵، ص ۴۷۰، و ج ۱۲، ص ۷۲ عن ابن إسحاق و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبي حاتم و ابن مردوية و البيهقي في الدّلائل و الواقدي.

۲. مكان، بينه و بين المدينة ساعة.

۳. التوبة: ۱۰۷.

أبي عبدالله عليه السلام.[۱]

و قالوا: إنّ سبب تسمية مسجدهم بمسجد ضرار، أنّهم كانوا يضارّون به مسجد قُباء، و ذلک أنّه لمّا بني عمرو بن عوف مسجد قباء، الّذي أسّسه النّبي صلى الله عليه و آله لمّا قدم المدينة، و صلّى فيه، قالت طائفة من المنافقين: نبني نحن أيضاً مسجداً كما بنوا، فنقيل فيه[۲]، فلا نحضر خلف محمّد.[۳]

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

۱. مجمع البيان، ج ۵، ص ۱۲۶، و البحار، ج ۲۱، ص ۲۵۴ عنه.

۲. كذا في الأصل، و الظّاهر أنّ الصحيح «فنصلّي فيه».

۳. راجع: شرح المواهب اللدنيّة، ج ۴، ص ۹۹، و تخريج الأحاديث و الآثار، ج ۲، ص ۱۰۲ و جامع البيان للطبري، ج ۱۱، ص ۳۳.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الثّالث عشر

حجّة الوداع

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الأذان بالحجّ

قالوا: اقام رسول الله صلّی الله علیه و آله بالمدينة عشر سنين يُضحي كلّ عامٍ و لا يحلق و لا يقصّر و يغزو المغازي و لا يحجّ، حتّى كان في ذي القعدة سنة عشر، أجمع الخروج إلى الحجّ، فأمر المؤذّنين أن يؤذّنوا بأعلى أصواتهم: بأنّ رسول الله صلّی الله علیه و آله يحجّ في عامه هذا؛[1] حتّى بلغت دعوته إلى أقاصي بلاد الإسلام، فتجهّز النّاس للخروج معه، و حضر المدينة، من ضواحيها و من حولها و يقرب منها خلق كثيرٌ و وافاه في الطّريق خلائق لا يحصون و كانوا من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله مَدّ البصر.

و قد ذكرت الرّوايات: أنّ الّذين خرجوا معه كانوا سبعين ألفاً،[2] و قيل تسعون ألفاً.[3] و قيل: مائة و عشرون ألفاً،[4] و يقال أكثر من ذلک.[5]

قال العلّامة الأميني «هذه عِدّة من خرج معه؛ إمّا الّذين حجّوا معه، فأكثر من ذلک، كالمقيمين بمكّة و الّذين أتوا من اليمن مع علي علیه السلام و أبي موسى».[6]

---

١. البحار، ج ٢١، ص ٣٩٠، عن الكافي، و الحدائق الناضرة، ج ١۴، ص ٣١۶.

٢. البحار، ج ٣٧، ص ٢٠٢، و التفسير الصّافي، ج ٢، ص ۵٣.

٣. الغدير، ج ١، ص ٩، والسيرة الحلبيّة، ج ٣، ص ٣٠٨.

۴. البحار، ج ٣٧، ص ١۵٠، و الغدير، ج ١، ص ٩٠ و ٢٩۶.

۵. راجع: الغدير، ج ١، ص ٩ و السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٣٠٨.

۶. الغدير، ج ١، ص ٩.

لماذا هذا الاهتمام؟!

إنّ حشد الأمّة إلى الحجّ، و إرسال الكتب إلى أقصى بلاد الإسلام، و أمر المؤذّنين بأن يؤذّنوا: بأنّ رسول الله ﷺ يحجّ في عامه هذا و... لم يكن مصادفة و لا كان استجابة لرغبة شخصيّة تقضي بجمع النّبيّ ﷺ النّاس حوله. فحاشاه من ذلک و لا لغير ذلک من أمور دنيويّة، فإنّ النّبيّ ﷺ لا يفكّر و لا يفعل إلّا وفق ما يريده الله تبارک و تعالى.

و لعلّ الهدف من كلّ هذا الحشد هو تحقيق أمورٍ كلّها تعود بالنّفع العميم على الإسلام و المسلمين، و يمكن أن يكون منها مايلي:

۱. إنّه أراد للنّاس المتمرّدين، بل و المنافقين، عند أوّل فرصة تنسح لهم، أن يروا عظمة الإسلام و امتداداته الواسعة، و أنّه لم يعدّ بإمكان أحدٍ الوقوف في وجهه، فلييأس الطّامعون، و ليراجع حساباتهم المتوهّمون.

۲. إنّه يريد أن يربط على قلوب الضّعفاء و يشدّ على أيديهم و يُريهم عياناً ما يحصنم من خدع أهل الباطل و كيد أهل الحقد و الشّنآن، و من كلّ ما يمارسونه معهم من تخويف أو تضعيف.

۳. أن ينصب عليّاً عليه السلام إماماً و خليفة من بعده أمام كلّ هذه الجموع الهائلة. ليكونوا هم الشّهداء بالحقّ على أنفسهم و على جميع النّاس، يوم لا ينفع مال و لا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم.

و خرج ﷺ من المدينة لأربع بقين من ذي القعدة،[۱] فنهض إلى أن نزل بذي طَوى،[۲] فبات بها ليلة الأحد، لأربع خلون من ذي الحجّة، و صلّى بها الصّبح، ثم اغتسل من يومه، و نهض إلى مكّة من أعلاها، من الثّنيّة العليا، الّتي تشرّف على

۱. البحار، ج ۲۱، ص ۳۸۹ و ۳۹۰ عن السّرائر، ص۴۷۷ و عن الكافي (الفروع)، ج۱، ص۲۳۳.

۲. و هي المعروفة اليوم بآبار الزّاهر.

الحجون، ثمّ سار حتّى دخل المسجد ضحى من باب عبد مناف و هو الّذي تسمّيه النّاس: «باب بني شيبة».[١] فطاف بالبيت سبعة أشواط، ثمّ صلّى خلف مقام إبراهيم و سعى بين الصّفا و المروة بمن معه من المسلمين.

و قدم عليعليه‌السلام من اليمن على رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله و هو بمكّة، فدخل على فاطمةعليها‌السلام و هي قد أحلّت، فوجد ريحاً طيّبة و وجد عليها ثياباً مصبوغة، فقال: ما هذا يا فاطمة؟ فقالت: أمرنا بهذا رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله... .

و نزل رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله بمكّة بالبطحاء هو و أصحابه، و لم ينزل الدّور فلمّا كان يوم التّروية عند زوال الشّمس أمر النّاس أن يغتسلوا و يهلّوا بالحجّ، فخرج النّبيصلى‌الله‌عليه‌وآله و أصحابه مهلّين بالحجّ إلى عرفات و مرّ في طريقة إليها على منى، فنزل فيها و قبيل الفجر من اليوم التّاسع خروج منها إلى عرفات فنزل بها بقيّة يومه، حتّى غربت الشّمس و ذهبت الصّفرة من ناحية المشرق، عند ذلك ركب ناقته و مضى، حتّى أتى المزدلفة، فصلّى بها المغرب و العشاء بأذانٍ و إقامتين و لم يفصل بينهما و بات فيها. فلمّا أصبح أفاض منها، فلمّا اجتاز الوادي نزل و مضى، فرمى جمرة العقبة و نحر الهدي و حلق رأسه. و لمّا فرغ من أعمال ذلك اليوم، زار البيت و رجع إلى مني و أقام بها، حتّى كان اليوم الثّالث من آخر ايام التّشريق – كما جاء في صحيح معاوية بن عمّار[٢] – ثمّ رمى الجمار و نفر حتّى انتهى إلى الأبطح و دخل من أعلى مكّة من عَقَبَة المدنيّين، ثم خرج من أسفل مكّة عند غروب الشمس،[٣] و اتجّه إلى المدينة من يومه و لم يدخل المسجد الحرام و لم يطف بالبيت.[٤]

---

١. سبل الهدى و الرشاد، ج ٨، ص ٤٦١ و ٤٦٢ عن الطبراني، و راجع: المعجم الأوسط للطبراني، ج ٣، ص ٢٣٨.

٢. راجع: الكافي، ج ٤، ص ٢٤٨، و الحدائق النّاضرة، ج ١٤، ص ٣١٩، و تهذيب الأحكام، ج ٥، ص ٤٥٧، و البحار، ج ٢١، ص ٣٨٩ و ٣٩٣.

٣. السيرة النبوية لابن كثير، ج ٤، ص ٤١٢، و السيرة الحلبيّة، ج ٣، ص ٣٣٥.

٤. الكافي، ج ٤، ص ٢٤٨، و البحار، ج ٢١، ص ٣٩٣.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الرّابع عشر

غدير خم

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

توطئة و تمهيد

قال الله سبحانه و تعالى في كتابه الكريم: «يا أيها الرَّسُولَ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَ اللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ إِنَّ اللّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ».[1]

نزلت هذه الآية الشّريفة في حجّة الوداع لتؤكّد على لزوم تبليغ النّبيّ صلى الله عليه و آله ما أمر به من أمر الإمامة و ولاية علي عليه السلام على النّاس، كما ذكرته المصادر الكثيرة و الرّوايات الموثوقة.

إنّ من يراجع كتب الحديث و التاريخ، يجدها طافحة[2] بالنّصوص و الآثار الدالّة على إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام، و لسوف لا يبقى لديه ادنى شكّ في أنّ النّبيّ صلى الله عليه و آله لم يألُ جُهداً[3] و لم يدّخر وُسعاً في تأكيد هذا الأمر و تثبيته و قطع دابر مختلف التّعلّلات و المعاذير فيه، في كلّ زمان و مكان، و في مختلف الظّروف و الأحوال.

و قد توجّت جميع تلك الجهود باحتفال جماهيري عام نصب فيه النّبيّ صلى الله عليه و آله رسميّاً عليّاً عليه السلام بعد انتهائه من حجّة الوداع في مكان يقال له «غدير خم» و أخذ البيعة له فعلاً من عشرات الألوف من المسلمين.

إنّ قضيّة الغدير رغم مرور الدّهور و الأحقاب و بعد ألف و أربع مائة سنة، قد

---

١. المائدة : ٦٧

٢. طفح الإناء: امتلأ و ارتفع حتّى يفيض فهو طافحٌ.

٣. ألا في الأمر: قصّرو أبطأ.

بقيت و لسوف تبقى القضيّة الأكثر حسّاسيّة و أهمّيّة، لأنّها الأكثر صلة بالإيمان و بالإنسان، و الأعمق تأثيراً في حياة هذا الكائن، و أكثر ارتباطاً بمستقبل هذا الإنسان و بمصيره، إن في الدنيا، و إن في الآخرة.

و هذا بالذّات هو السّر في احتفاظ هذه القضيّة بكلّ حيويّتها و حسّاسيّتها بالنّسبة إليه على مرّ الدّهور و تعاقب العصور.

و ما ذلك إلّا لأنّ القضيّة لا تقتصر على أن تكون مجرّد قضيّة خلافة و حكم و سلطة في الحياة الدّنيا، و لا هي قضيّة: أن يحكم هذا، أو يحكم ذاك لسنوات معدودة و ينتهي الأمر... بل الأمر أهمّ و أخطر، و أدهى و أعظم من ذلك، كما أنّه ليس حدثاً عابراً فرضته بعض الظّروف، لا يلبث أن ينتهي و يتلاشي تبعاً لتلاشي و انتهاء الظّروف الّتي فرضته أو أوجدته، و ليصبح في جملة ما يحتضنه التّاريخ من الأحداث لا يختلف عنها في شيءٍ، و لا أثر له في الحياة الحاضرة إلّا بمقدار ما يبعثه من زهوٍ و اعتزازٍ، على مستوى المشاعر و الانفعالات، لا أكثر.

بل أمر الإمامة يمسّ في الصّميم حقيقة هذا الإنسان و مصيره و مستقبله، و دنياه و آخرته، و يؤثّر في مختلف جهات وجوده و حياته، فيكون ضرورةً للبشريّة و ليس فوقه ضرورة على الإطلاق، فعدم تبليغ الإمامة يجعل الدّين و الرّسالة بلا مضمون و بلا فائدة و يكون وجوده كعدمه تماماً، كما صرّحت به الآية الكريمة: «وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ» .

الصّخَب[1] و الغضب

لقد ذكرت الرّوايات الصّحيحة: أن رسول اللهﷺ قد خطب النّاس في حجّة الوداع في عرفة، فلمّا أراد أن يتحدّث في أمر الإمامة و ذكر حديث الثّقلين، ثمّ ذكر

---

١. الصّخَب: شدّة الصّوت و اختلاط الأصوات.

عدد الأئمّة و أنّهم اثنا عشر، واجهته فئات من الناس بالضّجيج و الفَوْضي،[1] إلى حدّ أنّه لم يتمكّن من إيصال كلامه إلى النّاس.

فتأخيره إبلاغ ما أنزل إليه في شأن الإمامة و الولاية، قد كان بسبب المعارضة الكبيرة الّتي يجدها لدى قريش، الّتي كانت لا تتورّع عن واجهة النّبيّ صلی الله علیه وآله، ليس فقط بالضّجيج و الصَّخَب، و إنّما باتّهام شخصه، و الطّعن و التّشكيك في خلوص عمله و نيّته.

مع التّذكير بأنّ الله تعالى لم يكن أمَرَ النّبيّ صلی الله علیه وآله بأن يبلّغ أمر الولاية على كلّ حالٍ، بل وفقاً لظروف و مقتضيات النّجاح، أي أنّه أمره بإبلاغٍ منتج لا بإبلاغ عقيم.

و كان صلی الله علیه وآله يحتاج إلى ما يطمئنّه إلى جدوى تبليغ أمر الإمامة و عدم إثارة قريش للشّبهات الّتي تضيع جُهده، ولو باتّهامه في عقله أو في عصمته، فحين جاءته العصمة بادر إلى ما أمره الله تعالى به.

فقد جاء في نص: أنّه لمّا أمر صلی الله علیه وآله بنصب علي علیه السلام خشي من قومه و أهل النّفاق و الشّقاق أن يتفرّقوا و يرجعوا جاهليّةً، لما عرف من عداوتهم و لما تنطوي عليه أنفسهم لعلي علیه السلام من العداوة و البغضاء و سأل جبرائيل أن يسأل ربّه العصمة من النّاس.

ثمّ تذكر الرّواية: أنّه انتظر ذلك حتّى بلغ مسجد الخَيْف. فجاءه جبرئيل، فأمره بذلك مرّة أخرى، و لم يأته بالعصمة، ثمّ جاء مرّة أخرى في كُراء الغميم[2] و أمره بذلك، ولكنّه لم يأته بالعصمة، ثمّ لمّا بلغ غدير خم جاءه بالعصمة...».[3]

و أخيراً نقول: الخير فيما وقع؛ فإنّ ما جرى في عرفة و منى و إظهار هؤلاء

---

١. قومٌ فوضي: متساوون لا رئيس لهم و قيل متفرّقون و قيل مختلط بعضهم ببعض. أمرهم فوضي بينهم أي: هم مختلطون يتصرّف كل منهم فيما للآخر.

٢. موضع بين مكة و المدينة.

٣. راجع: مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي، ص ٢٥، و العمدة لابن البطريق، ص ١٠٧، و الإحتجاج، ج ١، ص ٧٣، و الغدير، ج ١، ص ٢٢.

النّاس على حقيقتهم، و ما تبع ذلک من فوائد و عوائد، قد كان ضروريّاً و لازماً للحفاظ على مستقبل الدّعوة و بقائها، فقد عرفت الأمّة الوفي و التّقي من المتآمر و الغادر، و المؤمن الخالص من غير الخالص، و في ذلک النّفع الكثير و الخير العميم. «فَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ يَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيراً كَثِيراً».[1]

حديث الغدير

إنّ ما جرى في يوم الغدير قد جعل هذا اليوم من أكثر الأيّام حسّاسيّة و أهميّة للإسلام و لأهله. و قد أصبح هذا اليوم عيداً لدى طائفة كبيرة من المسلمين المؤمنين، و اعتبرته طائفة أخرى يوم بلاءٍ و عناءٍ، تتعامل مع كلّ ما يجري فيه بالحقد و الشّنآن.

و من جهة أخرى، فإنّ هذا اليوم قد حَظِي بعناية بالغة، من حيث البحث و التّقصي لما قيل فيه و جرى، فألّفت الكتب الكثيرة منذ عهود الإسلام الأولى و إلى يومنا هذا.

و نحن نريد عرض ما جرى مع مراعاة الاختصار و نبدأ بذكر ما أورده صاحب كتاب الغدير كما يلي:

«فلمّا قضى مناسكه، و انصرف راجعاً إلى المدينة، و معه من كان من الجموع المذكورات، وصل إلى غدير خم من الجحفة الّتي تشعّب فيها طرق المدنيّين و المصريّين و العراقيّين، و ذلک يوم الخميس الثّامن عشر من ذي الحجّة، نزل إليه جبرئيل الأمين عن الله بقوله: «يا أيّها الرّسول...» و أمره أن يقيم عليّاً عَلَماً للنّاس و يبلّغهم ما نزل فيه من الولاية، و فرض الطّاعة على كلّ أحد.

و كان أوائل القوم قريباً من الجُحفة، فأمر رسول الله ﷺ أن يردّ من تقدّم

---

۱. النساء : ۱۹.

منهم و يحبس من تأخّر عنهم في ذلک المكان، و نهى عن سَمُرات خمس متقاربات، دَوحات عظام،[١] أن لا ينزل تحتهنّ أحدٌ، حتّى إذا أخذ القوم منازلهم، فَقُمَّ ما[٢] تحتهنّ.

حتّى إذا نودي بالصّلاة – صلاة الظهر – عمد إليهنّ، فصلّى بالنّاس تحتهنّ و كان يوماً هاجِراً يضع الرّجل بعض ردائه على رأسه و بعضه تحت قدميه من شدّة الرّمضاء، و ظلّل لرسول الله صلّى الله عليه و آله بثوبٍ على شجرة سَمُرة من الشّمس.

فلمّا انصرف من صلاته، قام خطيباً وسط القوم على أقتاب الإبل، و أسمع الجميع، رافعاً عقيرته،[٣] فقال:

الحمدلله و نستعينه و نؤمن به و نتوكّل عليه و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيّئات أعمالنا، الّذي لا هادي لمن أضلّ و لا مضلّ لمن هدي، و أشهد أن لا إله إلّا الله و أنّ محمّداً عبده و رسوله. أمّا بعد، أيّها النّاس، قد نبّأني اللّطيف الخبير: أنّه لم يعمر نبي إلّا مثل نصف عمر الّذي قبله، و إنّي أو شک أن أدعى فأجيب، و إنّي مسؤول و أنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟

قالوا: نشهد أنّک قد بلّغتَ و نصحتَ و جهدتَ، فجزاک الله خيراً... .

ثمّ قال: أيّها النّاس، ألا تسمعون؟ قالوا: نعم.

قال: فإنّي فَرَط على الحوض، و أنتم واردون على الحوض، و إنّ عرضه ما بين صنعاء و بُصري[٤]، فيه أقداح عدد النّجوم من فضّة، فانظروا كيف تخلفوني في الثّقلين.[٥]

فنادى منادٍ: و ما الثّقلان يا رسول الله؟

---

١. دوحات، جمع الدّوحة و الدّوحة: الشّجرة العظيمة المتّسعة من أي شجر كانت.

٢. قَمَّ الشّيء قَمّاً: كَنَسَه و القمامة: الكناسه.

٣. رافعاً عقيرته: رافعاً صوته.

٤. صنعاء: عاصمة اليمن اليوم. و بُصري قصبة كورة حوران من أعمال دمشق.

٥. الثَّقَل: - فتح المثلّثة و المثنّاة – كلّ شيءٍ خطير نفيس.

قال: الثّقل الأكبر كتاب الله، طرف بيد الله عزّوجلّ و طرف بأيديكم، فتمسّكوا به لا تضلّوا؛ و الآخر الأصغر عترتي، و إنّ اللّطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا على الحوض، فسألت ذلک لهما ربّي، فلا تقدّموهما فتهلكوا، و لا تقصّروا عنهما فتهلكو.

ثمّ أخذ بيد على، فرفعها حتّى رؤي بياض أباطهما،[1] و عرفه القوم أجمعون، فقال: أيّها النّاس، من أولى النّاس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله و رسوله أعلم.

قال: إنّ الله مولاي، و أنا مولى المؤمنين، و أنا أولي بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه – فعلي مولاه – يقولها ثلاث مرّات و في لفظ أحمد، إمام الحنابلة، أربع مرّات – ثمّ قال: اللّهم وال من والاه و عاد من عاداه، و أحِبَّ من أحبّه، و أبغِض من أبغضه، و انصر من نصره، و اخذل من خذله، و أدرِ الحقّ معه حيث دار. ألا فليبلّغ الشّاهدَ الغائبَ.

ثمّ لم يتفرّقوا حتّى نزل أمين وحي الله بقوله: «اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الاسلام ديناً» . فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر على إكمال الدّين و إتمام النّعمة و رضي الرّب برسالتي و الولاية لعلي من بعدي.

ثمّ طفق القوم يهنّئون أميرالمؤمنين صلوات الله عليه و ممّن هنّأه في مقدّم الصّحابة: الشّيخان؛ ابوبكر و عمر، كلّ يقول: بخٍ بخٍ لک يابن أبي طالب، أصبحتَ و أمسيتَ مولاي و مولي كلّ مؤمن و مؤمنة.

و قال ابن عباس: وجبت والله في أعناق القوم».[2]

---

۱. آباط، جمع إبط: باطن الكتف يذكّر و يؤنّث.

۲. الغدير، ج ۱، ص ۱۰ – ۱۱.

في ظلال حديث الغدير

كان حديثنا في الفصل يهدف إلى إعطاء لمحة عن الحدث الخالد آلّذي جرى في غدير خم. و نريد هنا أن نعمق فهمنا لمرامي الأقوال و التّوجيهات في المواقف المختلفة. لنستفيد الفكرة الهادية و الوعي الصّحيح و العميق لسياسة الإسلام، القائمة على الحق و العدل و الهُدى الإلهي، فنقول:

۱. الخروج السّريع من مكّة

إنّ من جملة ما لابدّ أن يثير انتباه النّاس، ليتبلور لديهم أكثر من سؤال هو إسراعه صلّى الله عليه و آله في الخروج من مكّة، حتّى إنّه لم يطف بالبيت، بل هو لم يدخل المسجد الحرام أصلاً، و لو لإلقاء نظرة الوداع على بيت الله تبارك و تعالى.

و لا أحدّ من النّاس يجهل مدى علاقة النّبي صلّى الله عليه و آله ببيت الله و حبّه له، فلابدّ أن يتساءلوا عن أسباب هذه السّرعة في المغادرة، و أن يربطوا بين الخروج على هذا النحو و بين ما جرى في مكّة و في منى، حيث واجهته قريش و بين ما يجري في غدير خم.

۲. إرجاع المتقدّم و حبس المتأخّر

و إذا اتّصل بهذا الإجراء إجراءٌ آخر يتمثّل في أنّه صلّى الله عليه و آله حين وصل إلى غدير خم، وقف حتّى لحقه من تأخّر بعده، و أمر بردّ من كان تقدّم؛ فإنّهم سيعرفون أنّ ثَمّة أمراً سيحدث، و أنّه سيكون بالغ الأهمية أيضاً، و سيتوقّعون أن يكون اتّصاله بما جرى في منى و عرفات قويّاً، و سيفتحون آذانهم و تتعلّق قلوبهم بكلّ حركة تصدر عنه، أو كلمة يتفوّه بها.

۳. الدَّوحات الخمس منطقة محظورة

و يتأكّد هذا الأمر لديهم حين منعهم من النّزول تحت الشّجرات الخمس، دوحات المتقاربات العظام، اللّواتي أمر بإزالة الشّوك و تمهيد المكان عندها، حتّى إذا نودي بالصّلات عمد إليهنّ فصلّى بالنّاس تحتهنّ ثم نصب لهم عليّاً عليه السلام.

٤. دقّة و بلاغة في أسلوب الإبلاغ

ثمّ إنّ النّبيّ ﷺ قد اتبع أساليب بالغة الدّقة في واقعة الغدير، بهدف رفع مستوي الإطمينان إلى دقّة و شموليّة المعرفة بما يجري، و اتّساع نطاقها إلى أبعد مدى، حتّى ليكاد الباحث يجزم بأنّ كلّ فرد فرد من المسلمين قد وقف على ما يراد إيقافه عليه و عرف حدوده و تفاصيله؛ بل لقد صرّحت بعض الرّوايات بهذه الشّموليّة، بالقول: «و أخذ بيد على فرفعها حتّى عرفه القوم أجمعون، ثمّ قال: اللّهم وال من والاه...».[1]

و في نصٍّ آخر عن زيد بن أرقم: فقلت لزيد: سمعته من رسول الله ﷺ؟ فقال: و إنّه ما كان في الدّوحات أحدٌ إلّا رآه بعينه و سمعه بأذنيه.[2]

٥. رفع مستوي اليقظة و التّنبّه

إنّ حبس المتقدّمين و إرجاعهم، و انتظار وصول و اجتماع المتأخّرين منهم سيثير لدي أولئك النّاس أكثر من سؤالٍ و سيجعلهم أشدّ انتباهاً و يقظةً و سعياً لفهم مغزي هذا الإجراء النّبوي، و لن تؤثّر سائر الصّوارف على تشويش الفكرة الّتي يراد إيصالها إليهم.

٦. حرّ الرّمضاء

و زاد من شعورهم بخطورة ما يريد ﷺ أن ينتهي بهم إليه أنّ هذه الإجراءات كلّها إنّما تتمّ في حرّ الهاجرة الّذي يصرّح بعض هؤلاء بأنّه كان بالغ الشّدة إلى حدّ أنّ زيد بن أرقم يقول: «ما أتى علينا يومٌ كان أشدّ حرّاً منه» فخطب خطبته

---

١. جامع أحاديث الشيعة، ج ١، ص ٣٣، و كتاب الولاية لابن عقدة الكوفي، ص ٢٣٣، و ينابيع المودّة، ص ٣٨ – ٣٩، و الغدير، ج ١، ص ٢٥ و ٤٧.

٢. الخصائص للنسائي، ص ٢١، و الغدير، ج ١، ص ٣٠ و ٣٤، و مناقب الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام للكوفي، ج ٢، ص ٤٣٥، و السنن الكبري للبيهقي، ج ٥، ص ١٣٠.

هناک، و بدأت إجراءات البيعة و التّهنئة لعليّ عليه السلام.

٧. فليبلّغ الشاهدُ الغائبَ

ثمّ إنّه صلی الله علیه و آله لم يتّكل على ما يعرفه من رغبة النّاس بنقل ما يصادفونه في أسفارهم، إلى زوّارهم بعد عودتهم، فلعلّ أحداً يكتفي بذكر ذلک فور عودته، ثمّ لا يعود لديه دافع إلى ذكره في الفترات اللّاحقة؛ فجاء أمر رسول الله صلی الله علیه و آله لهم ليلزمهم بإبلاغ كلّ من غاب عن هذا المشهد، مهما تطاول الزّمن، و جعل ذلک مسؤوليّة شرعيّة في أعناقهم.

و بذلک يكون قد سدّ باب التّعلّل من أي كان من النّاس بإدّعاء أنّ أحداً لم يبلغه هذا الأمر، و أنه إنّما كان قضيّة في واقعة، و قد لا ينشد الكثيرون لذكرها، إن لم يكن ثمّة ما يلزمهم بذلک، و لعلّهم قد كانت لديهم اهتمامات أخرى شغلتهم عنها.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الخامس عشر

إلى الرّفيق الأعلى

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرض النّبيّ صلى الله عليه و آله و وصاياه

قال الحافظ: اختلف في مدّة مرضه صلى الله عليه و آله، فالأكثر على أنّها ثلاثة عشر يوماً، و كان يخرج إلى الصّلاة إلا أنّه انقطع ثلاثة أيّام.

قال في العيون: أمر رسول الله صلى الله عليه و آله أن يصلّي بالنّاس، فصلّى بهم فيما روينا سبع عشرة صلاة، و رواه البلاذري عن أبي بكر بن أبي سبرة.[1]

و أمّا وصاياه، فعن علي عليه السلام قال: «أوصاني النّبي صلى الله عليه و آله إذا أنامتُّ فغسّلني بستّ قرب من بئر غرس، فإذا فرغت من غسلي، فادرِجني[2] في أكفاني، ثمّ ضع فاك على فمي». قال: ففعلت، فأنبأني بما هو كائن إلى يوم القيامة». و روي نحو ذلك عن الإمام الصّادق عليه السلام.[3]

و عن عمرو بن أبي شعبة، قال: «لمّا حضر رسول الله صلى الله عليه و آله الموت، دخل عليه علي عليه السلام، فأدخل رأسه معه، ثمّ قال: يا علي، إذا أنا متّ فاغسلني و كفّنّي ثمّ أقعِدني و سائِلني و اكتب».[4]

و نقول: يدلّنا هذا النّص علي:

---

١. راجع: سبل الهدى و الرشاد، ج ١٢، ص ٢۴۴، و فتح الباري، ج ٨، ص ٩٨.

٢. بصائر الدرجات، ص ٣٠۴، و البحار، ج ۴٠، ص ٢١٣ و ٢١۴ و ٢١۵ و ج ٢٢، ص ۵٧١ و ۵١۴ عنه.

٣. درج الثوّب درجاً: طواه ولفّه، و الشّيء في الشّيء: طواه و أدخله.

۴. البحار، ج ۴٠، ص ٢١٣ و ٢١۴، و ج ٢٢، ص ۵١٨.

۱. حياة النّبي ﷺ بعد موته: إنّ هذا النّص يدلّ على أنّ النّبي ﷺ حيّ حتّى بعد أن يموت. و لأجل ذلک نقرأ في زياراتنا للمعصومين عليهم السلام – و النّبي ﷺ أعظم شأناً منهم – : «أشهد أنّک ترى مقامي و تسمع كلامي و تردّ سلامي».[1]

بل قالوا: إنّ الأخبار قد تواترت بحياة النّبي ﷺ في قبره و كذلک سائر الأنبياء.[2] و قالوا أيضاً: إنّ صلاتنا معروضة على النّبي ﷺ و إنّ سلامنا يبلغه و هم أحياء عند ربّهم كالشّهداء.[3]

و يؤكّد ذلک النّص القرآني على: أنّ النّبي ﷺ شاهد على أمّته، قال تعالى: «يا أيها النَّبِي إِنَّا أَرْسَلْناکَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً»[4] و شهادته على الأمّة لا تقتصر على خصوص من عاشوا معه في حال حياته.

۲. علي عليه السلام هو الوصي: و غني عن البيان: أنّ وصيّة النّبي ﷺ لعلي عليه السلام بأن يضع فمه على فمه، و سماعه منه ما هو كائن إلى يوم القيامة تؤكّد أنّ لعلي عليه السلام خصوصيّة ليست لأحد سواه، و هي ترتبط بعلم الإمامة من خلال اتّصاله بالنّبي ﷺ بعد موته.

و كان فيما أوصى النّبي ﷺ به عليّاً عليه السلام قوله: «ضع يا على رأسي في حجرک، فقد جاء أمر الله تعالى، فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدک و امسح بها وجهک، ثمّ وجّهني إلى القبلة، و تولّ أمري، و صلّ على أوّل النّاس، و لا تفارقني حتّى تواريني في رمسي».

فأخذ علي عليه السلام رأسه، فوضعه في حجره ... إلى أن تقول الرّواية: ثمّ قبض ﷺ و يد أميرالمؤمنين عليه السلام تحت حنكه، ففاضت نفسه ﷺ فيها، فرفعها إلى وجهه،

---

۱. راجع: عدّة الدّاعي لابن فهد الحلّي، ص ۵۶، و جامع أحاديث الشيعة، ج ۱۲، ص ۳۶۵.
۲. سبل الهدى و الرشاد، ج ۱۰، ص ۴۶۶ و ۴۸۶، و ج ۱۲، ص ۳۵۵ و ۳۵۶.
۳. نفس المصدر، ج ۱۲، ص ۳۵۵.
۴. الأحزاب : ۴۵.

فمسحه بها، ثمّ وجّهه و غمضه و مدّ عليه إزاره، و اشتغل بالنّظر في أمره.[۱]

و كان ممّا أوصى به صلى الله عليه و آله: أن يدفن في بيته الّذي قبض فيه، و يكفّن بثلاث أثواب: أحدها يمان، و لا يدخل قبره غير علي عليه السلام.[۲]

و يذكر نصّ آخر: أنّ ممّا أوصى به النّبي صلى الله عليه و آله عليّاً عليه السلام قوله: «يا علي كن أنت و ابنتي فاطمة و الحسن و الحسين، و كبّروا خمساً و سبعين تكبيرة، و كبّر خمساً و انصرف، و ذلک بعد أن يؤذن لک في الصّلاة.

قال علي عليه السلام : بأبي أنت و أمّي من يُؤذِن غداً؟قال جبرئيل عليه السلام يؤذنک. قال: ثمّ من جاء من أهل بيتي يصلّون على فوجاً فوجاً، ثمّ نساؤهم، ثمّ النّاس بعد ذلک.[۳]

الكتاب الّذي لم يكتب

كان ابن عباس يذكر رزيّة يوم الخميس، و يبكي حتّى يخضب دمعُه الحصباء[۴] و يقول: «الرّزيّة[۵] كلّ الرّزيّة ما حال بيننا و بين كتاب نبيّنا».

و ذلک أنّه لمّا اشتدّ برسول الله صلى الله عليه و آله وجعه قال: «إيتوني بكتاب (أو بكتفٍ و دواةٍ) أكتب لكم كتاباً لا (أو لن) تضلّوا بعده». و كان في البيت لَغَطٌ[۶] فنكل عمر،

---

۱. الإرشاد للمفيد، ص ۹۴ – ۹۸، و البحار، ج ۲۲، ص ۴۷۰ و ۵۲۱.

۲. البحار، ج ۲۲، ص ۴۹۳ و ۴۹۴، و ج ۷۸، ص ۳۷۹، و جامع أحاديث الشيعة، ج ۳، ص ۲۳۱ و ۲۳۴ و ۳۵۰.

۳. البحار، ج ۲۲، ص ۴۹۳ و ۴۹۴، و الوسائل (ط ـ مؤسسة آل البيت)، ج ۳، ص ۸۳.

۴. الحَصْباء: الحصى، و الحصى: صغار الحجارة.

۵. الرّزيّة: المصيبة.

۶. اللَّغَط: الصّوت و الجَلَبة و قيل: أصوات مبهمة لا تفهم.

فرفضها رسول اللهﷺ. فقال عمر: إنّ النّبيّ غلبه الوَجَع (أو يهجر) [۱] و عندنا كتاب الله (أو و عندكم القرآن) حسبنا كتاب الله.

فاختلف أهل البيت و اختصموا و اختلفوا، أو كثر اللّغط بين من يقول:

قرّبوا يكتب لكم، و بين من يقول: القول ما قال عمر.

فقالﷺ: قوموا عنّي، و لا ينبغي عندي (أو عند نبي) التّنازع. [۲]

إساءات لمقام النّبوّة

و مع غضّ النّظر عن نسبة الهجر و الهذيان إلى النّبيّ المعصوم؛ فإنّنا نلاحظ: أنّ الأمر لم يقتصر على ذلک، لأنّهم قد ارتكبوا العديد من الإساءات الأخرى أيضاً، مثل:

۱. مخالفتهم لأمر الرّسولﷺ و امتناعهم عن تلبية طلبه، و منعهم سائر من حضر من ذلک أيضاً.

۲. إنّهم قد رفعوا أصواتهم، و ضجّوا، و لغطوا في محضر رسول اللهﷺ، و قد أمرهم الله بأن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوت النّبيﷺ، و أن يغضّوا أصواتهم عنده.

۳. إنّهم قد تنازعوا في محضرهﷺ و لم يردّوا الأمر إلى النّبيّ، حتّى طردهم من محضره، و قد نها هم الله تعالى عن التّنازع، و أمرهم بردّ ما يتنازعون فيه إلى الله و إلى الرّسول.

۴. إنّهم أغضبوا رسول اللهﷺ و فعلوا في حضرته ما لا ينبغي كما صرّحت به بعض النّصوص.

---

۱. صرّح به في شرح الشّفاء للخفاجي، ج ۴، ص ۲۷۸ و لا بأس بمراجع جميع الهوامش في مكاتيب الرّسول، ج ۳، ص ۶۹۳ – ۷۰۲.

۲. راجع: سبل الهدى و الرشاد، ج ۱۲، ص ۲۴۸ عن أبي يعلي بسند صحيح عن جابر و عن ابن عباس كذلک، و الطّبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج ۲، ق ۲، ص ۳۷، و مسند أحمد، ص ۳۲۴ و ۳۲۶، و مكاتيب الرّسول، ج ۳، ص ۶۹۳ و ۶۹۴ و ۶۹۶ في هامشه عن البخاري، ج ۱، ص ۳۹ و ج ۶، ص ۱۱ و ج ۷، ص ۱۵۶ و ج ۹، ص ۱۳۷ و فتح الباري، ج ۱، ص ۱۸۵ و ج ۸، ص ۱۰۰ و ۱۰۱ و ج ۱۳، ص ۲۸۹.

٥. إنّهم قالوا: حسبنا كتابَ الله، و هذا إقرار منهم باستبعاد السّنّة النّبويّة الشّريفة عن التّداول، مع أنّ الله تعالى يقول لهم: «وَ ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا»[1] و ثبت عندهم حديث الثّقلين بصيغة «كتاب الله و سنّتي».[2]

مع أنّ القرآن فيه بيان كلّ شيءٍ بلاريب، لكن إنّما يعرف القرآن من خوطب به و كلّ شيءٍ أصله في الكتاب ولكن لا تدركه عقول الرّجال من سائر النّاس، بل لابدّ من أن يرجعوا إلى من يفسّره لهم، و هم خصوص النّبيّ الأكرمﷺ، ثمّ الأئمّة الطّاهرون عليهم السّلام من بعده، العارفون بتنزيله و بتأويله، و محكمه و متشابهه، و ناسخه و منسوخه، فلا أحد يستطيع استخراج حقايقه سواهم. و كيف يمكن لعمر، أو لغير عمر أن يعرف عدد ركعات الصّلاة اليوميّة و شرايط الاعتكاف في المساجد، و سائر الأحكام الفرعيّة من القرآن الكريم إلّا بدلالة مَن عنده أمّ الكتاب.

على أنّ الوقائع قد بيّنت عدم معرفتهم لمعني الأبّ و عدم معرفتهم بالكلالة و بأمور كثيرة أخرى نطق بها القرآن.

لماذا يريد النّبيّﷺ الكتابة؟

و قد يسئل سائلٌ عن السّبب في لجوء النّبيّﷺ إلى كتابة الكتاب؟ ألم يكن يكفيه ما جرى في يوم الغدير من البيعة و التّهنئة لعليّعليه السلام بمقام الولاية؟ و نجيب:

أوّلاً: إنّ نفس ما جرى في مرض موتهﷺ من جرأةٍ و إباءٍ و إصرارٍ على عدم تمكينه من كتابة الكتاب يدلّ على ضرورة كتابة هذا الكتاب.

ثانياً: لعلّ هؤلاء النّاس كانوا يخطّطون إلى إنكار دلالة ما جرى، و الاعتماد على

---

١. الحشر: ٧.

٢. راجع: المستدرک للحاكم، ج ١، ص ٩٣، و العلل لأحمد بن حنبل، ج ١، ص ٩ و جامع بيان العلم و فضله لابن عبد البرّ، ج ٢، ص ١٨٠، و الجامع الصغير، ج ١، ص ٥٠٥ و ٦٠٥، و السنن الكبرى للبيهقي، ج ١٠، ص ١١٤.

إرهاق الحدث بالتّأويلات و التّمحلّات الباطلة لتعمية الأمور على العوام. أو لعلّهم يزعمون للنّاس أنّ أموراً قد استجدّت و تقلّباتٍ حدثت، دعت النّبيﷺ إلى العدول عن ذلك الأمر حيث رأى أنّ صرف النّظر عنه أصلح.

لماذا لا يصرّ النّبيّ على الكتابة؟

إذا كانت كتابة الكتاب ضروريّة و إذا كان هو الّذي يحفظ الأمّة من الضّلال، فلماذا صرف النّظر عن كتابته، و لماذا يستسلمﷺ لما أراده عمر و غيره؟! ألم يكن الإصرار على كتابته هو المتعيّن؟ مادام أنّ نفع الكتاب الّذي سوف يكتبه لا يقتصر عى أهل ذلك الزّمان، بل سيكون شاملاً للأمّة بأسرها إلى يوم القيامة.

و نجيب: بما قاله العلّامة السيّد عبدالحسين شرف الدّين(قدس سرّه):

«و إنما عدل عن ذلك لأنّ كلمتهم تلك الّتي فاجؤوه بها اضطرّته إلى العدول، إذ لم يبق بعدها أثر لكتابة الكتاب سوى الفتنة و الاختلاف من بعده في انّه هل هجر فيما كتبه – و العياذ بالله – أو لم يهجر؟

كما اختلفوا في ذلك، و أكثروا اللّغو و اللّغط نصب عينيه، فلم يَتَسَنَّ له يومئذٍ أكثر من قوله لهم: «قوموا عنّي» كما سمعت.

و لو أصرّ فكتب الكتاب لَلَجّوا في قولهم: هجَر، و لأوغل أشياعهم في إثبات هجره – و العياذ بالله – فسطروا به أساطيرهم و ملأواطواميرهم، ردّاً على ذلك الكتاب و على من يحتجّ به.

لهذا اقتضت حكمته البالغة أن يضربﷺ عن ذلك الكتاب صفحاً، لئلّا يفتح هؤلاء المعارضون و أولياؤهم باباً إلى الطّعن في النّبوّة، نعوذ بالله و به نستجير.

و قد رأىﷺ أنّ عليّاً و أولياءه خاضعون لمضمون ذلك الكتاب، سواءٌ عليهم أكتب أم لم يكتب، و غيرهم لا يعمل به و لا يعتبره لو كتب. فالحكمة – و الحال

هذه – توجب تركه، إذ لا أثر له بعد تلك المعارضة سوى الفتنة كما لا يخفى.»[١]

ملك الموت يستأذن على النّبيّ صلى الله عليه وآله

و روي أنّ جبرئيل عليه السلام قال للنّبي صلى الله عليه وآله: إنّ ملك الموت يستأذن عليك، و ما استأذن أحداً قبلك و لا بعدك. فأذن له فدخل و سلّم عليه، و قال: يا أحمد، إنّ الله تعالى بعثني إليك لأطيعك؛ أقبض أو أرجع؟ فأمره، فقبض.[٢]

يوم وفاة النّبيّ صلى الله عليه وآله

تضاربت الأقوال في وقت وفاة النّبي صلى الله عليه وآله: فقيل: توفّي يوم الإثنين من غير تحديد.[٣] و قيل: يوم الإثنين حين زاغت الشّمس، أي ظهراً.[٤] و قيل: يوم الإثنين قبل أن ينتصف النّهار.[٥] و قيل: يوم الإثنين في الضّحى، و جزم به ابن إسحاق. و قيل: الأكثر على أنّه اشتدّ الضّحى.[٦] و قيل: توفّي آخر يوم الإثنين.[٧]

---

١. المراجعات، ص ٢٨٤ و ٢٨٥، و النّص و الاجتهاد، ص ١٧٠ و ١٧١، و الفصول المهمة، ص ٩١، فيما بعدها.

٢. البحار، ج ٢٢، ص ٣٢٢، و راجع: ٥٣٢ و ٥٣٣ و ٣٣٤ عن المناقب لابن شهر آشوب، ج ١، ص ٣٠٣ – ٣٠٦.

٣. البداية و النهاية، ج ٥، ص ٢٩٢، و سبل السّلام، ج ١، ص ١٢.

٤. تنوير الحوالك، ص ٢٣٨، و عمدة القاري، ج ٨، ص ٢١٨، و ج ١٨، ص ٦٠.

٥. البداية و النهاية، ج ٥، ص ٢٧١ و ٢٧٥ و ٢٩٢.

٦. سبل الهدى و الرشاد، ج ١٢، ص ٣٠٥ عن المنهل.

٧. البداية و النهاية، ج ٥، ص ٢٧٥ و سبل الهدى و الرشاد، ج ١٢، ص ٢٤٦.

متى دفن النّبيّ ﷺ؟

و تضاربت الأقوال أيضا في وقت دفن النّبيّ ﷺ. فقيل : دفن يوم الأربعاء، أي بقي ثلاثة أيّام لم يدفن، و كان يدخل عليه النّاس أرسالاً أرسالاً، يصلّون، لا يصفون و لا يَؤُمُّهُم عليه أحدٌ.[۱] و وصف ابن كثير هذا القول بأنّه من الأقوال الغريبة.[۲] و لا شكّ في غرابته، و قد ندب الإسلام إلى الإسراع في دفن الميّت، فلماذا يخالف المسلمون هذا المستحبّ في حقّ نبيّهم بالذّات.

و القول الأصوب و الأصحّ هو: أنّه ﷺ قد دفن بعد وفاته بساعاتٍ يسيرة و قبل أن يفرغ أهل السّقيفة من سقيفتهم، كما روي ذلك عن أهل البيت عليهم السلام بلا شكّ، و لعلّ فراغهم من السّقيفة قد حصل ليلة الثّلثاء، لا سيّما و أنّهم قد انتظروا أبابكر حتّى رجع من السُّنْح،[۳] ثمّ ذهبوا إلى السّقيفة بعد رجوعه.

قال المجلسي رحمه الله: «و وضع خدّه على الأرض، موجّها إلى القبلة على يمينه، ثم وضع عليه اللَّبِن[۴] و أهال عليه التّراب، و كان ذلك في يوم الإثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة عشر من هجرته ﷺ و هو ابن ثلاث و ستّين سنة».[۵]

يضاف إلى ما تقدم: سؤال علي عليه السلام حين فرغ من دفن رسول الله ﷺ عن خبر اهل السقيفة.[۶]

و ورد في بعض النّصوص من أنّ النّبيّ ﷺ قد استشهد في سنة إحدى عشر و في البعض الآخر في سنة عشر – كما تقدّم عن المجلسي – فلعلّه يرجع إلى أنّ أحد الفريقين قد لاحظ السّنة الهجريّة بمعناها الواقعي؛ أي الّتي مبدؤها ربيع

---

۱. البداية و النهاية، ج ۵، ص ۲۹۲، و سبل الهدى و الرشاد، ج ۱۲، ص ۳۳۰ و ۳۳۳.

۲. البداية و النهاية، ج ۵، ص ۲۹۲.

۳. السُّنْح: موضع بعوالي المدينة، و العوالي هي أماكن بأعلى أراضي المدينة.

۴. اللَّبِن: المضروب من الطّين مربعاً.

۵. البحار، ج ۲۲، ص ۵۱۹.

۶. راجع: الأمالي للسيّد المرتضى، ج ۱، ص ۱۹۸.

الأوّل، و الآخرون جرّوا على التغيير الّذي قام به عمر بن الخطّاب، حيث اعتبر أوّل السّنة هو شهر المحرّم.

جسد النّبيّ صلى الله عليه وآله يرفع إلى السّماء

ثمّ إنّ رفع الأجساد إلى السّماء ليس بالأمر الّذي يصحّ التّشكيك فيه، بعد تصريح القرآن و تواتر الحديث به؛ فإنّ معراج نبيّنا الأعظم بجسده و روحه ثابت بلا ريب، و قد أشارت إليه آيات القرآن الكريم[1] و الأحاديث الشّريفة المتواترة. و هذا دليل على الوقوع فضلاً عن الإمكان.

كما أنّ الله تعالى قد أشار إلى رفع النّبيّ إدريس إلى السّماء،[2] و قد صرّحت الروايات: بأنّ الله تعالى قد قبض روحه هناك.[3] كما أنّ عيسى عليه السلام قد رفعه الله إليه.[4]

غير أنّ الكلام إنّما هو في أنّ أجساد الأنبياء و الأوصياء، هل تبقي بعد موتهم في قبورهم، أم أنّها ترفع إلى السّماء أيضاً؟ و على الثّاني هل تبقي في السّماء، أم أنّها تعود بعد مدّة إلى قبورهم في الأرض؟

قد ذكر الشّيخ المفيد و الكراجكي و الفيض الكاشاني و غيرهم: أنّ فقهاءنا و علماءنا متّفقون على أنّ أجساد الأنبياء و الأئمّة صلوات الله و سلامه عليهم، ترفع بعد دفنها إلى السّماء، و ذلک استناداً إلى روايات رأوا أنّها دالّة على ذلک.

ولكنّ التّتبع في روايات الباب يعطى بأنّه لا يمكن الاستدلال بها على أنّ أجساد الأنبياء ترفع إلى السّماء سوى روايتين:

الأولى: ما روي من النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: أنا أكرم على الله من أن يدعني في الأرض

---

١. الآية ١ من سورة الإسراء، و الآيات ٥ – ١٨ من سورة النجم.

٢. الآيه ٥٧ من سورة مريم.

٣. راجع: تفسير البرهان، ج ٣، ص ١٧ و جامع البيان للطبري، ج ١۶، ص ١٢١.

۴. الآية ٥٥ من سورة آل عمران، و الآية ١٥٨ من سورة النساء.

أكثر من ثلاث.[۱]

الثّانية: عن أبي عبدالله عليه السلام: لا تمكث جثّة نبي و لا وصي في الأرض أكثر من أربعين يوماً.[۲]

مع احتمال أن يكون المراد بكلمة «في» في قوله: «في الأرض» ليس هو الظّرفية، بل الكينونة عليها بعد الموت، قبل الدّفن، على حدّ قوله تعالى: «وَ هُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إِلهٌ وَ فِي الأَرْضِ إِلهٌ».[۳]

ولكن يبقى أنّه لابدّ من الجمع بين رواية الثّلاثة أيّام و رواية الأربعين. و لم نجد في النّصوص ما يصلح قرينة للجمع بين هذين النّصين، و لو بأن نحملهما على اختلاف درجات و مقامات الأنبياء سوى قوله ﷺ في الرّواية نفسها: «أنا أكرم على الله...».

فإنّه قد اعتبر ذلك من الكرامة الإلهيّة له ﷺ، و ليس في الأنبياء من يدانيه في ذلك. فيكون إبقاؤه لمدّة ثلاثة أيّام فقط خاصّاً به ﷺ و تمييزاً له عن غيره من الأنبياء عليهم السّلام.

أمّا سائر الأنبياء، حتّى أولوا العزم، فإنّ الله أكرمهم برفعهم، غير أنّهم إنّما يرفعون بعد مضي أيّام تصل إلى الأربعين.

و إنّما قلنا ذلك لانّ لحن الكلام يقتضي أن يكون رقم «الأربعين يوماً» قد جاء لتحديد الغاية القصوى، فلا مانع من أن يرفع بعضهم بعد موته بشهر، أو أقلّ، أو أكثر، بحسب ماله من مقام عند الله تعالى.

و آخر دعوانا أن الحمدلله تبارک و تعالی

---

۱. البحار، ج ۱۸، ص ۲۹۸ و ج ۲۶، ص ۳۰۳ و ج ۹۷، ص ۱۳۱، و كنزالفوائد للكراجكي، ص ۲۵۸، و مستدرک سفينة البحار، ج ۹، ص ۵۱۷.

۲. البحار، ج ۹۷، ص ۱۳۰، و تهذيب الأحكام، ج ۶، ص ۱۰۶، و المزار، ص ۱۸۹.

۳. الزخرف: ۸۴.

المصادر و المراجع

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المصادر و المراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الآحاد و المثاني لابن أبي عاصم، الضحاک، دارالدراية للطّباعة و النشر و التوزيع، سنة ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م و ط دارالمعرفة.

٣. الاحتجاج لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، نشر دارالنّعمان للطباعة و النشر، النجف الأشرف، سنة ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م و ط سنة ١٣١٣ هـ.

٤. إحقاق الحق (الأصل) للشهيد نورالله التّستري، ط مطبعة الخيّام، قم، إيران.

٥. إحياء علوم الدين للغزّالي، دارالمعرفة بيروت، لبنان.

٦. أخبار مكة و ما جاء فيها من الآثار، لإبي الوليد محمد بن عبدالله الأزرقي.

٧. الإختصاص، للشيخ المفيد، نشر دارالمفيد للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، سنة ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م و ط مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران.

٨. الأربعين في مناقب أميرالمؤمنين، للسيد جمال الدين عطاء الله بن الأمير فضل الله الشيرازي الدشتكي، مخطوط.

٩. **الإرشاد**، للمفيد، ط المكتبة الحيدريّة، النجف الأشرف، سنة ١٣٩٢ هـ و ط سنة ١٣٨١ هـ و ط مؤسسة آل البيت، و ط مكتبة الآخوندي، و ط دارالمفيد.

١٠. **أسباب نزول الآيات**، للواحدي النيسابوري، ط مصر، سنه ١٣٨٧ هـ، و مؤسسة الحلبي و شركاه للنشر و التوزيع، القاهرة، سنة ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م.

١١. **الإستغاثة**، لأبي القاسم الكوفي.

١٢. **الإستيعاب**، ليوسف أحمد بن عبدالله أحمد بن محمد أحمد بن عبدالبرّ النمري القرطبي، مطبوع بهامش الإصابة، سنة ١٣٢٨ هـ في دارالمعارف بمصر، و ط دارالجيل، بيروت، سنة ١٤١٢ هـ.

١٣. **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، لعلي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشّيباني المعروف بابن الأثير، ط دارالكتاب العربي و نشر مؤسسة اسماعيليان، طهران، ١٣٨٠ هـ.

١٤. **إسعاف الرّاغبين في سيرة المصطفى و فضائل أهل بيته الطّاهرين**، للشيخ محمد بن علي الصّبان المصري الشافعي، مطبوع بهامش نور الأبصار، ط مطبعة الجمهوريّة، نصر.

١٥. **أسني المطالب في مناقب علي بن أبي طالب**، لشمس الدين محمد بن محمد الجزري الشافعي، مطابع نقش جهان، إيران.

١٦. **الأصنام**، لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، نشر مطبعة كتيبة، إيران، سنة ١٣٦٤ هـ.

١٧. **إعلام الورى بأعلام الهدى**، للطبرسي، ط دارالمعرفة، و نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤١٧هـ، و ط مؤسسة الوفاء و ط سنة ١٣٩٠هـ ١٣٩٩هـ.

۱۸. **أعيان الشيعة**، للسيد محسن الأمين العاملي، ط دارالتعارف، بيروت، و الطبعة الأولي سنة ۱۴۰۳ هـ.

۱۹. **الأغاني**، لأبي الفرج الإصفهاني، ط دارالكتب العلميّة، و ط سياسي، و ط دار إحياء التراث العربي.

۲۰. **أمالي السيد المرتضي**، للشريف أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين، الطبعة الأولي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، سنة ۱۳۲۵ هـ ۱۹۰۷ م، و ط سنة ۱۴۰۳ هـ و ط دارالكتاب العربي، بيروت، سنة ۱۳۸۷ هـ.

۲۱. **أمالي الشيخ**، لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، الطبعة الأولى، نشر دار الثقافة للطباعة و النشر و التوزيع، قم، سنة ۱۴۱۴ هـ، و ط النجف الأشرف.

۲۲. **أمالي الصدوق**، لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي، الطبعة الأولى، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم، ۱۴۱۷هـ، و طبع دارالمعرفة، و ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، و ط الحيدريّة، النّجف، سنة ۱۳۸۹ هـ و ۱۳۹۱ هـ.

۲۳. **أمالي المفيد**، ط مؤسسة النشر الإسلامي، قم، و نشر دارالمفيد.

۲۴. **إمتاع الأسماع**، لتقي الدّين أحمد بن علي بن عبدالقادر المقريزي، الطبعة الثانية، و منشورات محمد علي بيضون، دارالكتب العلمية، بيروت، سنة ۱۴۲۰ هـ ـ ۱۹۹۹ م.

۲۵. **الأموال**، لابن زنجويه، حميد بن مخلد.

۲۶. **الأموال**، لأبي عبيد القاسم بن سلام، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ۱۳۸۸هـ.

۲۷. **أنس الجليل بتاريخ (في أخبار) القدس و الخليل**، لأبي اليمن عبدالرحمان مجيدالدين العليمي الحنبلي، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ۱۳۸۸ هـ.

۲۸. **أنساب الأشراف**، للبلاذري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، بتحقيق المحمودي، ۱۳۹۷ هـ و ط ليدن، و ط دارالمعارف بمصر، ۱۳۵۹ هـ.

۲۹. **الأنوار النعمانية**، للسيد نعمة الله الجزائري، ط تبريز، إيران.

۳۰. **الأوائل**، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، مؤسسة الرسالة، دارالفرقان، بيروت، ۱۴۰۳ هـ.

۳۱. **الأوائل**، لأبي هلال العسكري، ط دمشق، ۱۹۷۵ م.

۳۲. **أوائل المقالات**، للشيخ المفيد، مكتبة الداوري، قم.

۳۳. **بحارالانوار**، للعلامة المجلسي، ط حجريّة، إيران، للمجلد الثامن، و ط أيران، ۱۳۸۵ هـ، و ط مؤسسه الوفاء، بيروت.

۳۴. **البحر المحيط** (تفسير أبي حيان الأندلسي) لمحمد بن يوسف الشّهير بأبي حيان الأندلسي، دارالفكر، ۱۴۰۳ هـ و طبع دارالكتب العلمية، بيروت، ۱۴۲۲ هـ - ۲۰۰۱ م.

۳۵. **البدء و التاريخ**، لابن زيد أحمد بن سهل المطهر ابن طاهر المقدسي القادري، ۱۹۸۸ م.

۳۶. **البداية و النهاية**، لابن كثير، دار إحياء التراث العربي، ۱۴۱۳ هـ و ط مكتبة المعارف، بيروت.

٣٧. **بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد**، لأبي جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار، ١٣٨١ هـ، و منشورات الأعلمي، طهران، ١٤٠٤ هـ.

٣٨. **بهجة المحافل في السير و المعجزات و الشمائل**، للشيخ يحيى بن أبي بكر العامري، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

٣٩. **تاريخ ابن الوردي**، لعمر بن المظفّر بن عمر التميمي الشهير بابن الوردي، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٩ هـ.

٤٠. **تاريخ الإسلام**، لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، قسم المغازي، دارالكتاب المصري، القاهرة، و دارالكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٠٥ هـ، و ط دارالكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م.

٤١. **تاريخ الأمم و الملوك**، دارالمعارف بمصر، و ط مؤسسة الأعلمي، بيروت، و ط مطبعة الإستقامة بالقاهرة، و ط ليدن.

٤٢. **تاريخ بغداد**، للخطيب البغدادي، دارالكتاب العربي، بيروت، و ط دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م.

٤٣. **تاريخ جرجان**، لحمزة بن يوسف السهمي، حيدرآباد، الهند، ١٣٨٧ هـ، و ط عالم الكتب للطباعة و النشر، بيروت، ١٤٠٧ هـ.

٤٤. **تاريخ الخلفاء**، للسيوطي، مكتبة السعادة بمصر، ١٣٧١ هـ.

٤٥. **تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس**، لحسين بن حمد بن الحسن الديار بكري المالكي، ط مصر، ١٣٨٣ هـ.

٤٦. **تاريخ مدينة دمشق**، دارالكتب العلميّة، و دارالفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، ١٤١٥ و الأجزاء التي حقّقها المحمودي و هي التالية:

أ. ترجمة الإمام علي عليه السلام، ط بيروت.

ب. ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، ط بيروت.

۴۷. **تاريخ اليعقوبي**، لأحمد بن أبي يعقوب، المعروف باليعقوبي، دار صادر بيروت، و ط المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف.

۴۸. **تبرک الصحابة و التابعين**، للعلامة الشيخ علي الأحمدي الميانجي، الدار الإسلامية، بيروت.

۴۹. **تحف العقول**، لابن شعبة الحرّاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ۱۴۰۴ هـ، و ط النجف الأشرف، ۱۳۸۵ هـ.

۵۰. **تخريج الأحاديث و الآثار**، لجمال الدين الزّيعلي، دار ابن خزيمة، الرياض، ۱۴۱۴ هـ.

۵۱. **تذکرة الخواص**، لسبط بن الجوزي، ط النجف الأشرف، ۱۳۸۳ هـ.

۵۲. **تذکرة الفقهاء**، للعلامة الحلي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، إيران.

۵۳. **التراتيب الإدارية** (نظام الحكومة النبوية) للشيخ عبدالحيّ الكتّاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

۵۴. **تصحيح اعتقادات الإمامية** (تصحيح الإعتقاد) للشيخ المفيد، الطبعة الثانية، دارالمفيد، بيروت، ۱۴۱۴ هـ ـ ۱۹۹۳ م، و ط تبريز، ۱۳۷۱ هـ.

۵۵. **تفسير الإمام العسكري**، طبعة قديمة، النجف الأشرف و نشر مدرسة الإمام المهدي (عج)، قم، ۱۴۰۹ هـ.

۵۶. **تفسير البرهان**، للسيد هاشم الحسيني البحراني، مؤسسة اسماعيليان، قم.

٥٧. **تفسير الثعلبي** (الكشف و البيان) ليحيى بن محمد البغدادي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، و نسخة مخطوطة.

٥٨. **تفسير الصافي**، للمولى محسن الملقب بالفيض الكاشاني، مكتبة الصدر، طهران، ١٤١٦ هـ ، و منشورات الأعلمي، بيروت.

٥٩. **تفسير القرآن العظيم**، لأبي الفداء الدمشقي، منشورات دار الفكر، و دارالمعرفة، بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٦٠. **تفسير القمّي**، لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمّي، مؤسسة دارالكتاب، قم، ١٤٠٤ هـ .

٦١. **التفسير الكبير**، للفخر الرّازي، دارالكتب العلمية، طهران، و الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٢. **تفسير مجاهد**، لأبي الحجّاج مجاهد بن جبر التابعي المكي المخزومي، تحقيق عبدالرحمن الطاهر بن محمد السّورتي، مجمع البحوث الإسلامي، إسلام‌آباد.

٦٣. **التمهيد في علوم القرآن**، لمحمد هادي معرفت، مطبعة مهر،قم، ١٣٩٦هـ .

٦٤. **التنبيه و الإشراف**، للمسعودي، دارالصاوي بمصر، ١٣٥٧ هـ ، و دار صعب، بيروت.

٦٥. **تنقيح المقال في علم الرّجال**، للشيخ عبدالله المامقاني، المطبعة المرتضوية، النجف الأشرف، ١٣٥٢ هـ .

۶۶. **تنوير الحوالک**، شرح علي موطأ مالک، لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي، منشورات محمد علي بيضون، دارالكتب العلمية، بيروت، ۱۴۱۸ هـ ـ ۱۹۹۷ م، و دار إحياء الكتب العربية، مصر.

۶۷. **تهذيب الأحكام**، للشيخ الطوسي، دارالكتب الإسلامية، طهران، ۱۳۶۴ و نشر المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.

۶۸. **تهذيب الأسماء و اللغات**، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، إدارة الطباعة المنيرية بمصر.

۶۹. **تهذيب تاريخ دمشق**، لعبدالقادر بدران، دارالمسيرة، بيروت.

۷۰. **تهذيب سيرة ابن هشام**، لعبدالسلام هارون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ۱۳۹۷ هـ

۷۱. **تهذيب المقال في تنقيح كتاب الرجال**، للشيخ أبي العباس أحمد بن علي النّجاشي، تأليف السيد محمد علي موحد الأبطحي، الطبعة الثانية، نشر ابن المؤلف السيد محمد، قم، ۱۴۱۷ هـ .

۷۲. **تيسير المطالب في أمالي الإمام أبي طالب**، لأبي طالب يحيى بن الحسين الزيدي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ۱۳۹۵ هـ .

۷۳. **الثقات**، لحمد بن حبان التميمي البستي، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الهند، ۱۳۹۳ هـ ـ ۱۹۹۳ م.

۷۴. **ثمرات الأوراق في المحاضرات**، للشيخ تقي الدين أبي بكر بن علي المعروف بابن حجة الحموي، مطبوع بهامش المستطرف.

٧٥. **جامع أحاديث الشيعة**، للآقا حسين الطباطبائي البروجردي، المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٩ هـ.

٧٦. **جامع بيان العلم و فضله**، ليوسف بن عبدالله النمري القرطبي، ط المدينه المنورة، ١٣٨٨ هـ و دارالكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨ هـ.

٧٧. **جامع البيان** (تفسير الطبري) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، مصر، ١٣١٢ و دارالفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م.

٧٨. **الجامع لأحكام القرآن**، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م، و ط دارالكتب العلمية، و ط مؤسسة تاريخ العربي.

٧٩. **جامع المقاصد في شرح القواعد**، للمحقق الثاني الشيخ علي بن الحسين الكركي، الطبعة الأولى، نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم ١٤٠٨ هـ.

٨٠. **جوامع السيرة**، لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري.

٨١. **جواهر الكلام في شرح شرايع الإسلام**، للشيخ محمد حسن النجفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨١ م، و دارالكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٥ هـ.

٨٢. **الحاوي الكبير**، لأبي الحسن الماوردي علي بن محمد بن حبيب البصري.

٨٣. **حدائق الأنوار**، لإبي بكر محمد بن عمر المعروف بابن السراج الرازي.

٨٤. **الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة**، للشيخ يوسف البحراني، مؤسسه النشر الإسلامي، قم.

٨٥. **حلية الأولياء**، لأبي نعيم الإصفهاني، دارالكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٧ هـ.

٨٦. **حياة الحيوان**، لكمال الدين محمد بن موسي الدميري، المكتبة الشرفية بالقاهرة، و ط دارالقاموس الحديث.

٨٧. **حياة الصحابة**، لمحمد بن يوسف الكاندهلوي، دارالنصر للطباعة، القاهرة، ١٣٨٩ هـ، و دارالوعي بحلب، سوريا، ١٣٩١ هـ.

٨٨. **حياة محمد**، لمحمد حسنين هيكل، الطبعة الأولى، مطبعة مصر،١٣٥٤هـ، و الطبعة الثانية، دارالكتب المصرية، ١٣٥٤ هـ.

٨٩. **خاتم النبيين**، لمحمد أبي زهرة، الدوحة (قطر)، ١٤٠٠ هـ.

٩٠. **خدمات متقابل اسلام و ايران**، للشيخ مرتضى مطهري، ط إيران.

٩١. **خصائص أميرالمؤمنين عليه السلام**، لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٨ هـ، و ط التقدم بمصر، و مكتبة نينوا الحديثة، طهران.

٩٢. **الخصال**، للشيخ الصدوق القمي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٣ هـ.

٩٣. **الدر المنثور**، لعلي بن محمد الجبعي العاملي، مطبعة مهر استوار، قم، ١٣٩٨هـ

٩٤. **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، لجلال الدين السيوطي، دارالمعرفة، بيروت، و ط دارالفكر، و ط سنة ١٣٧٧ هـ.

٩٥. **الدر النّظيم**، للشيخ جمال الدين، يوسف بن حاتم الشّامي المشغري العاملي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

٩٦. **دعائم الإسلام**، للقاضي النعمان المغربي، درالمعارف، مصر، ١٣٨٣ هـ.

٩٧. **دلائل الإمامة**، لأبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري الصغير، الطبعة الأولى، مركز الطباعة و النشر في مؤسسة البعثة، ١٤١٣ هـ.

٩٨. **دلائل الصدق**، للشيخ محمد حسن المظفر، ط إيران، ١٣٩٥ هـ.

٩٩. **دلائل النبوة**، لأبي نعيم، دارالمعرفة، بيروت، ١٣٩٧ هـ.

١٠٠. **ذخائر العقبى**، لأحمد بن عبدالله الطبري، دارالمعرفة، بيروت، ١٩٧٤ م.

١٠١. **ربيع الأبرار و نصوص الأخبار**، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، مطبعة العاني، بغداد.

١٠٢. رسالة حول بنات النبي، مطبوعة مع مكارم الأخلاق، طبعة حجرية.

١٠٣. **الرسول العربي و فنّ الحرب**، لمصطفي طلّاس، ط ١٣٩٧ هـ.

١٠٤. **الروض الأنف**، للسهيلي، شركة الطباعة الفنية المتحدة، مؤسسة نبع الفكر العربي للطباعة بمصر، و ط سنة ١٣٩١ هـ.

١٠٥. **روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان**، للشهيد الثاني، طبعة حجرية، نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم.

١٠٦. **الرياض النضرة في مناقب العشرة**، لمحب الدين أبي جعفر أحمد بن محمد الطبري، دارالكتب العلمية، بيروت، و ط محمد أمين بمصر، و ط الخانجي بمصر.

١٠٧. **سبل السلام**، للسيد محمد بن إسماعيل الكحلاني، الطبعة الرابعة شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده بمصر، ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م.

١٠٨. **سبل الهدى و الرّشاد**، للصالحي الشامي، ط مصر، و نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

١٠٩. **سعد السعود**، للسيد بن طاووس، مطبعة أمير، قم، ١٣٦٣ هـ، و منشورات الرضي، قم ١٣٦٣ هـ.

١١٠. **سفينة البحار**، للشيخ عباس القمي، مؤسسة فرهاني، إيران.

١١١. **السنن الكبرى**، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دارالفكر، و ط الهند، ١٤١٩ هـ.

١١٢. **سير أعلام النبلاء**، لشمس الدين، أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦ هـ، و ط سنة ١٤١٣ هـ.

١١٣. **السيرة الحلبيّة**، لعلي بن برهان الدين الحلبي الشافعي، دارالمعرفة، بيروت، ١٤٠٠ هـ، و ط دار إحياء التراث العربي، و مطبعة مصطفى محمد بمصر، سنة ١٣٩١، و ط البهية بمصر.

١١٤. **سيرة المصطفى**، للسيد هاشم معروف الحسني، دارالقلم، بيروت، ١٩٧٥م.

١١٥. **سيرة مغلطاي**، للشيخ علاء الدين مغلطاي بن قليج المصري، ط مصر، ١٣٢٦.

١١٦. **السيرة النبوية**، لابن كثير، دارالمعرفة، بيروت، ١٣٦٩، و ط سنة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م.

١١٧. **السيرة النبويه**، لابن هشام، ط تراث الإسلام، و نشر مكتبة محمد علي صبيح و أولاده، مصر، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م، و ط دار الجيل، و المطبعة الخيرية بمصر، و ط سنة ١٤١٣ هـ، و ط دارالكنوز الأدبية.

١١٨. **السيرة النبوية**، لأبي الحسن الندوي، المطبعة العصرية، صيدا، لبنان.

١١٩. **السيرة النبوية و الآثار المحمدية**، لأحمد زيني دحلان، دارالمعرفة، بيروت، و مطبوع بهامش السيرة الحلبية.

١٢٠. **شذرات الذهب**، لابن عماد الحنبلي، المكتبة التجاري، بيروت.

١٢١. **شرح أصول الكافي**، للمولى محمد صالح المازندراني، الطبعة الأولى دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠ م.

١٢٢. **شرح التجريد**، للقاضي القوشجي، ط حجرية، إيران، ١٣٠٧ هـ.

١٢٣. **شرح الشفاء**، للعلامة شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي.

١٢٤. **شرح صحيح مسلم**، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي الشافعي الدمشقي، مطبوع بهامش إرشاد الساري، و دارالكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م، و ط دارالكتب العلمية.

١٢٥. **شرح نهج البلاغة**، لعزّالدين عبدالحميد بن محمد بن أبي الحديد المعتزلي، المعروف بابن أبي الحديد، دار إحياء الكتب العربية عيسي البابي الحلبي و شركاه، ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٥٩ م، و منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م و ط سنة ١٩٨٣ م و طبع دار إحياء.

١٢٦. **الشعر و الشعراء**، لابن قتيبة الدينوري، دار صادر، بيروت، عن ط ليدن، ١٩٠٢ م.

١٢٧. **شواهد التنزيل لقواعد التفضيل**، لعبيدالله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٣٩٣ هـ، و مؤسسة الطبع و النشر التابعة لوزارة الثقافة و الإرشاد الإسلامي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠ م.

١٢٨. **شواهد النبوة**، لنورالدين عبدالرحمان بن أحمد الدمشقي الجامي الشافعي.

۱۲۹. **صحيح ابن حبان**، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ۱۴۱۴ هـ - ۱۹۹۳ م، و مخطوط في مكتبة قبوسراي في استانبول.

۱۳۰. **صحيح البخاري**، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم المغيرة بن بردزبة البخاري، ط الميمنية، و طبع مشكول و ط المكتبة الثقافية و نشر دارالفكر، بيروت، ۱۹۸۱ م، و ط دار إحياء التراث العربي، و ط محمد علي صبيح بمصر و أولاده بالأزهر، مصر.

۱۳۱. **صفة الصفوة**، لابن الجوزي، ط حيدرآباد الدكن، الهند، و ط دار الوعي، حلب، سوريا، ۱۳۹۰ هـ.

۱۳۲. **الصواعق المحرقة**، لابن حجر الهيثمي المكي، المكتبة الميمنية بمصر، و دار الطباعة المحمدية، القاهرة، و دار البلاغة، مصر، و الطبعة الثانية، مكتبة القاهرة، ۱۳۸۵ هـ.

۱۳۳. **الطبقات الكبري**، لابن سعد، دار صادر، ۱۳۸۸ هـ، و ط ليدن و ط دار المعارف، مصر، و دار إحياء التراث العربي، بيروت، ۱۴۰۵ هـ و ط بيروت، ۱۳۸۸ هـ.

۱۳۴. **العبر و ديوان المبتدأ و الخبر** (تاريخ ابن خلدون)، لعبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي، مؤسسة الأعلمي، ۱۳۹۱ هـ، و الطبعة الرّابعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

۱۳۵. **عدّة الداعي و نجاح الساعي**، لأحمد بن فهد الحلي، مكتبة وجداني، قم.

۱۳۶. **علل الشرائع**، للشيخ الصدوق، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ۱۳۸۵هـ - ۱۹۹۶ م.

۱۳۷. **العلل و معرفة الرجال**، لأحمد بن حنبل، ط أنقرة، تركيا، ۱۹۶۳ م.

١٣٨. **العمدة**، ليحيى بن الحسن الأسدي الحلي المعروف بابن البطريق، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٧ هـ.

١٣٩. **عمدة القاري**، لبدرالدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، و نشر دارالفكر.

١٤٠. **عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السّير** (السيرة النبوية) لمحمد بن عبدالله بن يحيى ـ ابن سيد الناس، مؤسسة عزالدين للطباعة و النشر، بيروت، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م، و ط دارالمعرفة، بيروت، و ط دارالحضارة.

١٤١. **عيون أخبار الرّضا**عليه السلام، لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م و ط دارالعلم، قم، ١٣٧٧ هـ.

١٤٢. **الغدير في الكتاب و السنة و الأدب**، للعلامة الأميني النجفي، دارالكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م، و ط مركز الغدير للدراسات الإسلامية، قم، ١٤١٦ هـ، و ط سنة ١٤٢٤ هـ.

١٤٣. **غريب الحديث**، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٩٨ م.

١٤٤. **فتح الباري**، شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٠٠ هـ، و ط دارالفكر و ط دارالكتب العلمية.

١٤٥. **الفتوح**، لأبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي، دارالأضواء، بيروت، ١٤١١ هـ، و ط الهند سنة ١٣٩٥ هـ.

١٤٦. **فجر الاسلام**، لأحمد أمين المصري، ط بيروت، ١٩٦٩ م.

١٤٧. **فرائد السمطين**، للشيخ إبراهيم بن محمد الجويني، دارالنعمان، النجف، و مؤسسة المحمودي، بيروت، ١٤٠٠ هـ .

١٤٨. **الفصول المهمة في معرفة الأئمة**، لابن الصّباغ المالكي، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨١ هـ .

١٤٩. **فقه السيرة**، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، ١٣٩٣ هـ .

١٥٠. **قاموس الرجال**، للشيخ محمد تقي التّستري، مركز نشر الكتاب، طهران، ١٣٧٩ هـ ، و مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٠ هـ .

١٥١. **الكافي**، للكليني، ط دارالأضواء، بيروت، و ط مطبعة الحيدري، طهران، ١٣٧٧ هـ ، و ط دارالكتب الإسلامية، ١٣٦٣ هـ . ش، و مطبعة النجف، ١٣٨٥ هـ .

١٥٢. **الكامل في التاريخ**، لعلي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير، دار صادر بيروت، ١٣٨٥ هـ ، و ط سنة ١٣٨٥، و ط سنة ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م، و ط دارالكتاب العربي.

١٥٣. **الكشّاف**، لأبي القاسم جار الله محمود ابن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، و نشر شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده بمصر، ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٦ م.

١٥٤. **كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغرّاء**، للشيخ جعفر كاشف الغطاء، طبعة حجرية، انتشارات مهدوي، اصفهان.

١٥٥. **كشف الغمة**، لأبي الحسن علي بن عيسى الإربلي، المطبعة العلمية، قم، ١٣٨١ هـ ، و ط دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٥ م.

١٥٦. **كشف المحجة لثمرة المهجة**، لرضي الدين أبي القاسم علي بن موسى، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٠ هـ.

١٥٧. **كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب**، لأبي عبدالله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٩٠ هـ.

١٥٨. **كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال**، لعلاء الدين علي المتّقي بن حسام الدين الهندي، حيدرآباد، الدكن، الهند، ١٣٨١، و ط مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م، و ط سوريا.

١٥٩. **كنز الفوائد**، لأبي الفتح محمد بن علي الكراجكي، دار الأضواء، بيروت، طبعة حجرية، مكتبة المصطفوي، قم، ١٣٦٩ هـ. ش.

١٦٠. **اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**، لجلال الدين السيوطي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥ هـ.

١٦١. **اللهوف في قتلى الطفوف**، لعلي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس، منشورات مكتبة الداوري، قم، ١٣٣١ هـ.

١٦٢. **مجمع البحرين**، للشيخ فخرالدين الطريحي، المكتبة المرتضوية، طهران، الطبعة الثانية، مكتبة النشر الثقافة الإسلامية، ١٤٠٨ هـ.

١٦٣. **مجمع البيان في تفسير القرآن**، لأبي علي الفضل بن الحسن الطّبرسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٩ هـ، و مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م، و مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٥٦.

۱۶۴. **مجمع الزوائد و منبع الفوائد**، لنورالدين علي بن أبـي بكـر الهيثمـي، دار الكتب العلمية، بيروت، ۱۴۰۸ هـ ـ ۱۹۸۸ م، و الطبعة الثانية، دار الكتـاب، بيـروت، ۱۹۶۷ م.

۱۶۵. **مجموعة الوثـائق الـسياسية**، لمحمـد حميـد الله، دار النفـائس، بيـروت، ۱۴۰۵ هـ.

۱۶۶. **محاضرات الأدباء و محاورات الشّعراء و البلغاء**، لأبي القاسم الحـسين بـن محمد الرّاغب الإصفهاني، ط بيروت.

۱۶۷. **محاضرات الأوائل**، لعـلاء الـدين البـسنوي الـسكتواري، ط بـولاق، مـصر، ۱۳۰۰ هـ، و دار إحياء التراث العربي، بيروت.

۱۶۸. **المحبر**، لمحمد بن حبيب البغدادي، مطبعة الدائرة، ۱۳۶۱ هـ.

۱۶۹. **مختـصر التـاريخ**، للـشيخ ظهيرالـدين علـي بـن محمـد المـشهور بـابن الكازروني، مطبعة الحكومة، بغداد، ۱۳۹۰ هـ.

۱۷۰. **مختصر تاريخ أبي الفداء**، دار الفكر، بيروت.

۱۷۱. **مختصر تاريخ دمشق**، لمحمد بن مكرم بـن منظـور، دار الفكـر، دمـشق، ۱۴۰۹ هـ و ط استانبول.

۱۷۲. **مدينة البلاغة**، لموسى بن عبدالله بن محمود الزنجاني.

۱۷۳. **مدينة معاجز الأئمة الإثني عشر**، للـسيد هاشـم بـن سـليمان البحرانـي، مؤسسة المعارف الإسلامية، ۱۴۱۳ و ط حجريه.

١٧٤. **المراجعات**، للسيد عبدالحسين شرف الدين الموسوي، الطبعة الأولى، مطبعة العرفان، صيدا، لبنان، ١٣٥٥ هـ ، و الطبعة الثانية، بيروت، تحقيق و تعليق حسين الراضي، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م.

١٧٥. **مروج الذهب و معادن الجوهر**، لعلي بن الحسين المسعودي، دار الأندلس، بيروت، ١٩٦٥ م و طبعة أخرى.

١٧٦. **المزار**، للشيخ المفيد، دار المفيد، بيروت، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م.

١٧٧. **المستجاد من فعلات الأجواد**، لأبي علي المحسن بن علي التنوخي.

١٧٨. **مستدرك سفينة البحار**، للشيخ علي نمازي الشاهرودي، مؤسسة البعثة، إيران، ١٤١٠ هـ ، و مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٨ هـ .

١٧٩. **المستدرک على الصحيحين**، للحافظ أبي عبدالله الحاكم النيسابوري، ط الهند، ١٣٤٢ هـ و تحقيق يوسف عبدالرحمان المرعشلي.

١٨٠. **مسند أبي يعلي**، للحافظ أحمد بن علي بن المثنّى التميمي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، بيروت و دمشق، ١٤٠٧ هـ .

١٨١. **مسند أحمد بن حنبل**، ط صادر، بيروت و طبعة الحلبي و ط دار الحديث، القاهرة و ط الميمنية، مصر ١٣١٣.

١٨٢. **مسند الكلابي**، لأبي الحسين عبدالوهاب الكلابي المعروف بابن أخي تبوک، مطبوع بآخر مناقب علي بن أبي طالب، لابن المغازلي، ١٣٩٤.

١٨٣. **المصباح**، للكفعمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.

١٨٤. **المصنّف**، لأبي بكر عبدالرزّاق بن همام الصنعاني، الطبعة الأولى، المجلس العلمي، بيروت، ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٨٠ م.

۱۸۵. **المصنّف**، لعبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، دار الفكر، بيروت، ۱۴۰۹ هـ ـ ۱۹۸۹ م و ط السلفيّة، الهند، ۱۳۹۹.

۱۸۶. **معارج النبوّة**، للمولى معين الكاشفي، ط مكتبة لكنهو.

۱۸۷. **المعارف**، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، دار المعارف، القاهرة، تحقيق الدكتور ثروت عكاشة، و الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ۱۳۹۰ هـ ـ ۱۹۷۰ م، تحقيق محمد إسماعيل عبدالله الصاوي، و مطبعة دار الكتب، مصر، ۱۹۶۰ م.

۱۸۸. **معاني القرآن الكريم**، لأبي جعفر النحّاس، الطبعة الأولى، جامعة أم القرى، المملكة العربيّة السعودية، ۱۴۰۹ هـ.

۱۸۹. **المعجم الأوسط**، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار الحرمين للطباعة و النشر و التوزيع، ۱۴۱۵ هـ ـ ۱۹۹۵ م.

۱۹۰. **معجم البلدان**، لشهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، دار صادر، بيروت، ۱۳۸۸ و دار إحياء التراث العربي، بيروت، ۱۳۹۹ هـ ـ ۱۹۷۹ م، و ط دار الكتب العلمية.

۱۹۱. **المعجم الكبير**، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، مطبعة الأمة، بغداد، و نشر مكتبة ابن تيمية، و الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي.

۱۹۲. **معجم ما استعجم من أسماء البلاد و المواضع**، لأبي عبيد الأندلسي، الطبعة الثالثة، عالم الكتب، بيروت، ۱۴۰۳ هـ ـ ۱۹۸۳ م.

۱۹۳. **معرفة الصحابة**، لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الإصبهاني، مخطوط في مكتبة طوب قپوسراي، رقم ۴۹۶.

۱۹۴. **معرفة علوم الحديث**، للحاكم أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحافظ النيسابوري، دار الآفاق الحديث، بيروت، ۱۴۰۰ هـ ـ ۱۹۸۰ م، و ط المدينة المنورة، ۱۳۹۷.

۱۹۵. **المغازي**، لمحمد بن عمر الواقدي، انتشارات إسماعيليان، طهران.

۱۹۶. **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، للدكتور جواد علي، دار العلم للملايين، بيروت، ۱۹۷۶ م، و مكتبة النهضة، بغداد.

۱۹۷. **مقاتل الطالبيين**، لأبي الفرج الإصبهاني، الطبعة الثانية، أفست عن الطبعة المصرية الأولى في القاهرة، ۱۳۶۸ هـ ـ ۱۹۴۹ م، و مؤسسة إسماعيليان، طهران، ۱۹۷۰، و منشورات مكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ۱۳۸۵ هـ.

۱۹۸. **مقتل الحسين عليه السلام**، للخوارزمي، النجف الأشرف، و مكتبة المفيد، قم.

۱۹۹. **مقتل الحسين عليه السلام**، للسيد عبدالرزاق المقرّم، ط الآداب، النجف الأشرف، ۱۳۷۲ هـ.

۲۰۰. **مكاتيب الرّسول**، للشيخ علي الأحمدي الميانجي،نشر مصطفوي،۱۳۷۹هـ، و المطبعة العلمية، قم، و دار الحديث، ۱۹۹۸ م.

۲۰۱. المناقب، للموفق بن أحمد البكري الخوارزمي، الطبعة الثانية، مؤسسة النشر الإسلامي، ۱۴۱۱ هـ، و ط تبريز، و ط النجف.

۲۰۲. **مناقب الإمام علي عليه السلام**، لأبي الحسن علي بن محمد بن المغازلي الشافعي، المكتبة الإسلامية، طهران، ۱۳۹۴ هـ.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

۲۰۳. **مناقب آل أبي طالب**، لمشيرالدين إبي عبدالله محمد بن علي بن شهر آشوب، ط المصطفوي، المطبعة العلميّة، قم، و ط دار الأضواء، بيروت، و ط المكتبة الحيدريّة، النجف، ۱۳۷۶ هـ ـ ۱۹۵۶، و طبعة حجريّة.

۲۰۴. **منتخب كنز العمال**، مطبوع بهامش مسند أحمد، ۱۳۱۳ هـ.

۲۰۵. **المهذّب**، للقاضي عبدالعزيز بن البرّاج الطرابلسي، مطبوع ضمن الينابيع الفقهيّة، قم، ۱۴۰۶ هـ، و مؤسسة النشر الإسلامي، ۱۴۰۶ هـ.

۲۰۶. **المواهب اللدنّيه بالمنح المحمدية**، لشهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني الشافعي، دار الكتب العلمية.

۲۰۷. **موسوعة التاريخ الإسلامي**، للشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي، الطبعة الأولى، مجمع الفكر الإسلامي، ۱۴۱۷ هـ.

۲۰۸. **الميزان في تفسير القرآن**، للسيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ إيران، ۱۳۹۴ هـ و ط مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

۲۰۹. **النّبوّة**، للشيخ محمد حسن آل ياسين، دارمكتبة الحياة، بيروت، ۱۳۹۲هـ.

۲۱۰. **نزل الأبرار**، للحافظ محمد البدخشاني الحارثي، مطابع نقش جهان، طهران، ۱۴۰۳ هـ.

۲۱۱. **نسب قريش**، لمصعب الزّبيري، دار المعارف، مصر.

۲۱۲. **النص و الإجتهاد**، للسيد عبدالحسين شرف الدّين الموسوي، الطبعة الأولى، مطبعة سيدالشهداء، قم ۱۴۰۴ هـ و ط كربلا، ۱۳۸۶ هـ.

۲۱۳. **النصايح الكافية لمن يتولّى معاوية**، للسيد محمد بن عقيل العلوي، معطبة النجاح، بغداد، و دارالثقافة، قم، ۱۴۱۲ هـ.

٢١٤. **نهاية الإرب في فنون الأدب**، لأحمد بن عبدالوهاب النويري، الهيئة المصرية العمة للكتاب.

٢١٥. **النهاية في غريب الحديث و الأثر**، لابن الأثير، الطبعة الرابعة، مؤسسة إسماعيليان، قم، ١٣٦٤ هـ. ش.

٢١٦. **نهج البلاغة**، جمع الشريف الرضي (شرح الشيخ محمد عبده)، دار الإستقامة.

٢١٧. **نهج الحقّ و كشف الصدق**، للعلامة الحلي، مطبوع مع دلائل الصدق، مؤسسة الطباعة و النشر، دار الهجرة، قم، ١٤٢١ هـ، و مطبعة الصدر، ١٤٠٧ هـ.

٢١٨. **نور الأبصار**، للسيد مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي، المطبعة اليوسفية، نشر مكتبة الجمهورية، مصر.

٢١٩. **نور الثقلين** (تفسير)، للشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، مؤسسة إسماعيليان، قم ١٤١٢ هـ، و مطبعة الحكمة، قم.

٢٢٠. **نور القبس**، ليوسف بن أحمد اليغموري، ط سنة ١٣٨٤ هـ.

٢٢١. **وسائل الشيعة**، للشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي، آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤١٤ هـ، و الإسلامية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٣ هـ، و طبعة حجرية.

٢٢٢. **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**، لنورالدين علي بن أحمد السمهودي، ط بيروت، ١٣٩٣ هـ.

٢٢٣. **وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان**، لأحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلّكان، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨، و طبعة قديمة سنة ١٣١٠ ه و نشر دار الثقافة، بيروت، تحقيق إحسان عباس.

٢٢٤. **وقعة صفين**، لنصر بن مزاحم المنقري، ط سنة ١٣٨٢ ه.

٢٢٥. **الولاية**، لأبي العباس أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي.

٢٢٦. **ينابيع المودة**، للقندوزي الحنفي، ط اسلامبول، تركيا، ١٣٠١ ه، و ط بمبئي، و ط دار الأسوة.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی